دراسات في

تاريخ وحضارة البيضان

الدّيمانيين

من خلال كلام وطبع وعادات أولاد ديمان

دراسة تاريخية اجتماعية انثروبولوجية

لمجتمع قبلي بيضاني (عربي إسلامي) في الجنوب

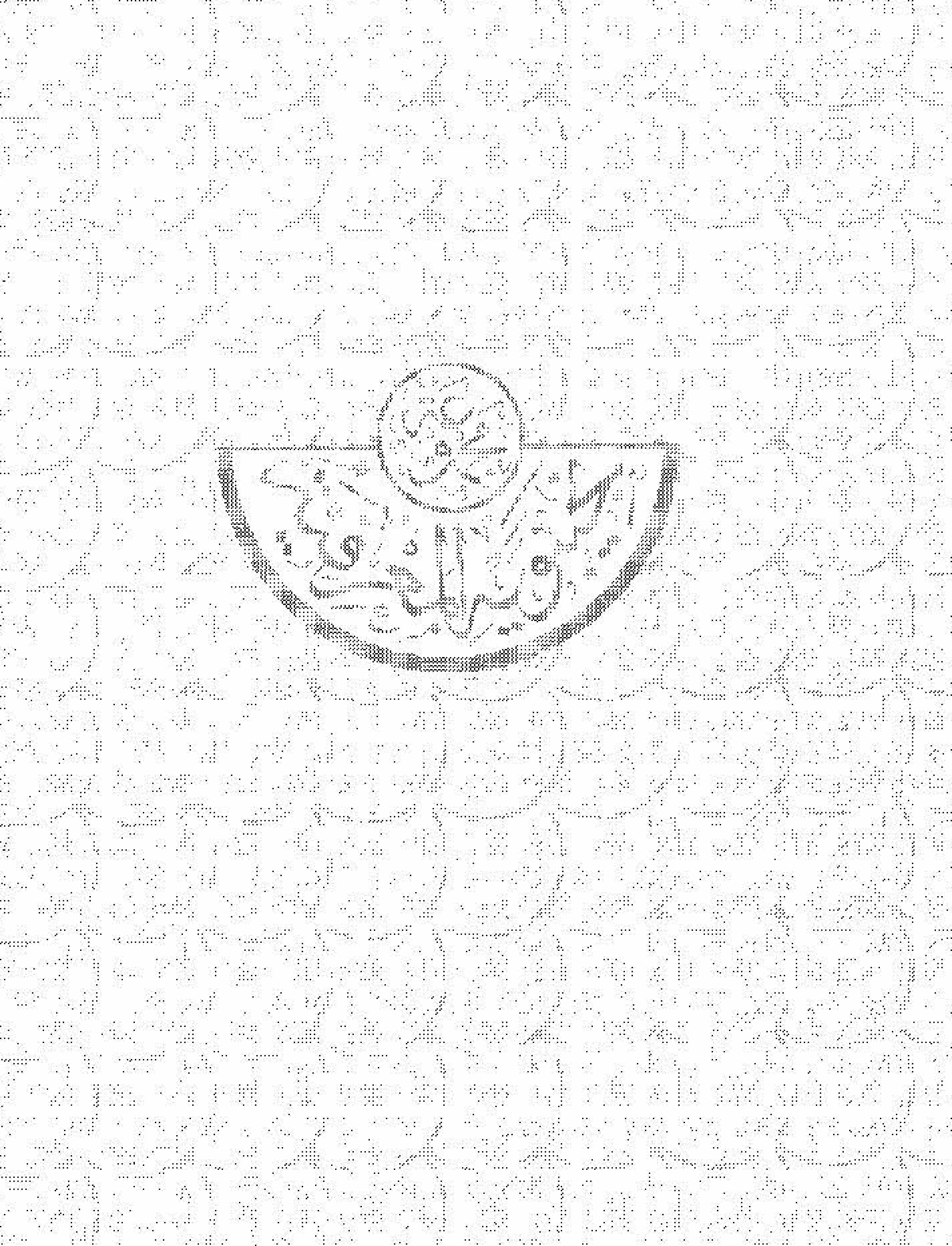
الغربي الشنقيطي (الموريتاني)

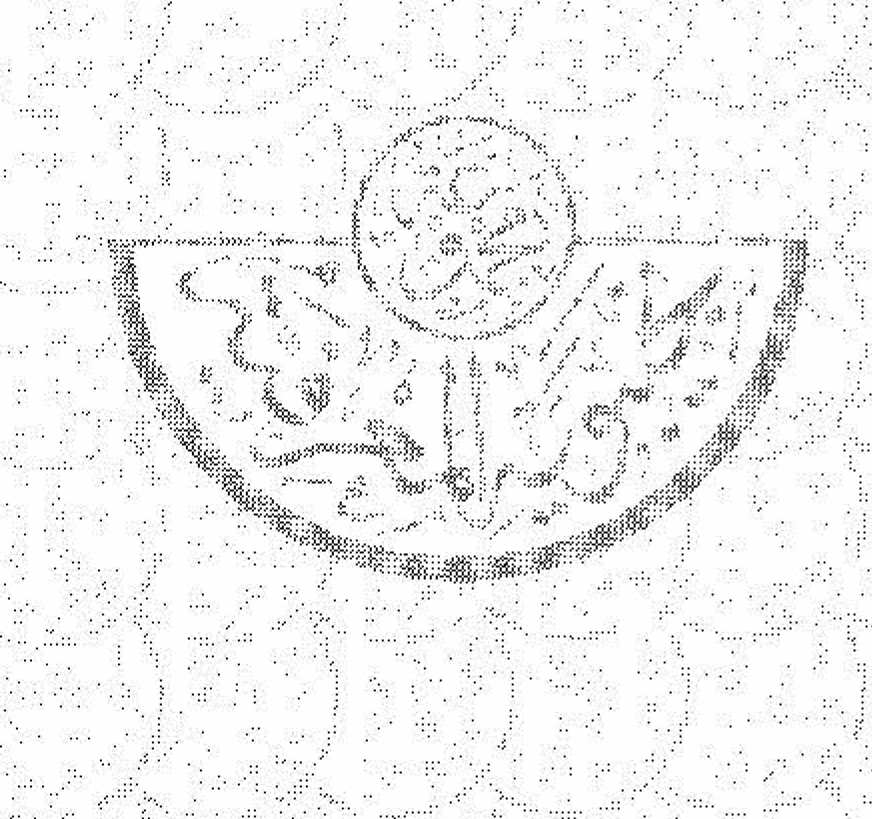
(من منتصف القرن 17 إلى نهاية القرن 20 م)

تأليف

الحسين بن محنض







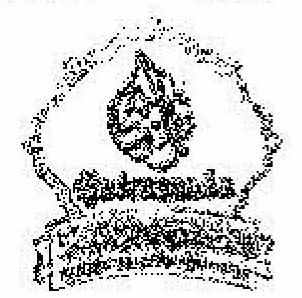
الديمان

من خلال كلام وطبع وعادات أولاد ديمان

ISBN 978-9920-727-64-8

9 789920 727648

من إصدارات



إحدى مؤسسات



تطلب إصدارات ومنشورات

مجموعة نجيبويه المعرفية من:

رقم (44) - بلوك (52) - منظر (1) سيدي البرنوصي

هاتف: (+212)522765808 - 667893030

مركز نجيبويه . الدار البيضاء - المملكة المغربية

****

قسيمة (505) - برج (أ)

16 شارع المعهد - حدائق القبة

هاتف: (+20)224875690-1115550071

دار المذهب - القاهرة - جمهورية مصر العربية

****

تفرغ زينة - خلف معرض أرابلة

هاتف: (+222)37030207-20203238

ديوان الشناقطة - انواكشوط - الجمهورية الإسلامية الموريتانية

رقم الإيداع القانوني في المكتبة الوطنية للجمهورية الإسلامية الموريتانية

2019 MR 2163

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية (الخزانة العامة) بالمملكة المغربية

2019 MO 5278

الرقم الدولي المعياري للكتاب (ردمك)

978-9920-727-64-8


dr.a.najeeb@gmail.com


www.facebook.com/najeebawaih


@najeebawaih

+90 531 623 53 53

دراسات في

تاريخ وحضارة البيضان

الديمانيين

من خلال كلام وطبع وعادات أولاد ديمان

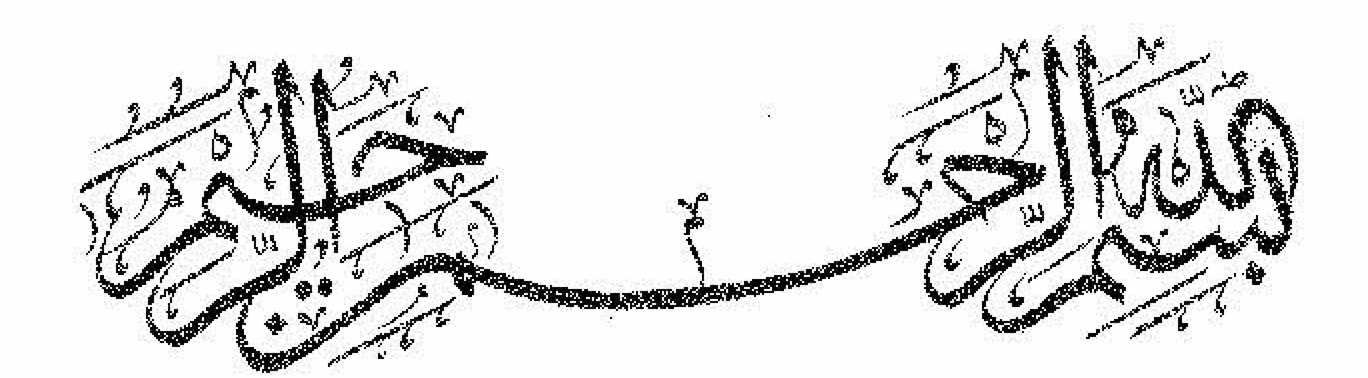
دراسة تاريخية اجتماعية انثروبولوجية

مجتمع قبلي بيضاني (عربي إسلامي) في الجنوب
الغربي الشنقيطي (الموريتاني)

(من منتصف القرن 17 إلى نهاية القرن 20 م)

تأليف

الحسين بن محنض


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ما يزال المجتمع البيضاني يشكل أرضية خصبة في مجال البحث، رغم الدراسات والبحوث الكثيرة التي أنجزت حوله حتى الآن. كما أنه ما يزال يعاني من عدم التكافؤ في موضوعاته، فقد اتجهت أغلب البحوث والدراسات المهتمة بالمجتمع البيضاني إلى الجوانب التاريخية والأدبية والدينية فيه، فيما أغفلت الجوانب الاجتماعية والأنثروبولوجية.

ولعل هذا البحث الذي لم يرد له أن يكون دراسة اجتماعية أو أنثروبولوجية صرفة -حيث إنه لم يغفل الجوانب التاريخية والأدبية- يكون إسهامًا في ترسيخ الوعي بضرورة الاهتمام بهذا النوع من البحوث والدراسات، فهو يهدف إلى دراسة المجتمع الديماني الذي هو أحد المجتمعات القبلية التي تسكن في منطقة إيگيدي الموجودة بعمق الجنوب الغربي لبلاد الگبله.

وتتميز هذه القبيلة عن القبائل الموريتانية الأخرى بما هو معروف لدى المجتمع البيضاني عموما بالديمين(=استدمين)، الذي هو نسق اجتماعي وثقافي وأخلاقي تميزت به هذه القبيلة وباتت معروفة به، حتى إن الفرد أصبح يكفي أن يكون من قبيلة أولاد ديمان لكي يعتبره الناس "متديمنا"، ويبحثوا في كل ما يصدر عنه، ولو كان بريئا، عن أي آثار محتملة للديمين.

ولقد دفعتني هذه الملاحظة إلى الاهتمام بهذه الظاهرة، ومحاولة معرفة كيف وجدت؟ وكيف تطورت؟ والوقوف على الخصوصيات التي أسهمت في تميزها عن إطارها العام الذي هو البيئة الاجتماعية لمختلف قبائل تشمشه الأخرى، والخروج بها على أساس أنها نسق اجتماعي مستقل، استطاع، لا أن يحتفظ بخصوصياته التي اتخذ لنفسه فحسب، بل وكذلك أن يدخل في منافسة الأنساق الاجتماعية الأخرى التي يجمعها معه نفس الوسط، ومزاحمتها.

إنني لم أحاول أن أعرف كيف تكون هذا النسق فقط، ولكن كيف كان يعمل كذلك. ومن أجل ذلك فقد رجعت بهذا البحث إلى ما قبل أولاد ديمان، أي إلى التونكليين (=التونگجيين) باعتبارهم السلف العام لأولاد ديمان، وبحثت في

تاريخهم عن مسار نشأتهم، وطبيعة واقعهم، وعوامل تفككهم، رغم شح المصادر، لعلمي أن المعلومات عن الماضي ضرورية لفهم أية ظواهر اجتماعية، معتمدا المزج بين البناء التركيبي الذي يمكننا من تفسير استعمالات اجتماعية تبدو عسيرة الفهم باعتبارها شواهد على مرحلة متقدمة من تاريخ وحياة المجتمع، وبين البناء الأنثولوجي الذي يعني تتبع الطريقة التي أثر فيها مجتمع سابق في مجتمع لاحق. وربما لجأت إلى معالجة المادة التاريخية بطريقة اجتماعية.

ولأنني أظن -وهذا ما جعلني أعود إلى فترة ما قبل الوجود الديماني- أن الخطوط العريضة لتاريخهم الفعلي قد وضعت قبل وجودهم بأماد، فقد حرصت على أن أرجع بعيدا إلى الخلف متتبعا -بطريقة سردية تساعد على استيعاب الأحداث التاريخية قليلة التداول- خطوط مسارهم التاريخي، ومحاولا الممايزة بين البناء الذي تغير في هذا المجتمع منذ أن وجد أسلافه البعيدون (المرابطون)، وبين البناء الثابت الذي ظل قائما رغم التبدلات التي أحدثتها التحولات المتلاحقة من حروب وهجرات وشقاقات مختلفة، لكنني لم أمايز أبدا بين ما تشارك فيه المجتمعات القبائلية الأخرى قبيلة أولاد ديمان من أنساق وعادات وتقاليد، ولم أهتم بممايزتها إلا من حيث تكون الإشارة إلى مواقع الخصوصية الديمانية فيها ضرورية، فنحن أحيانا نرى الخاص في العام، وإذا ما لاحظنا وجود نسق معين أو عادات أو تقاليد في قبيلة أولاد ديمان فلا يمنع ذلك وجودها في غيرها من قبائل تشمشة، أو في قبائل الزوايا أو قبائل العرب، أو حتى في عموم قبائل البيضان.

إن اهتمامي بالديمين يأتي من ملاحظة أن هذا الكلام لا بد أن يكون وليد قرون عديدة من الممارسة والتقمص، حيث لا يمكن أن يكون المستوى الرفيع الذي هو عليه الآن، إلا نتيجة تراكمات كثيرة احتواها زمن طويل من الممارسة الديمانية، كما أن الحكايات والشواهد التي بين أيدينا منه لا بد أن تكون حصيلة اصطفاء قام به الجمهور، بحيث تكون الشواهد التي حفظها لنا التاريخ هي وحدها التي استطاعت أن تقاوم تحدي الزمن.

كما يأتي من ملاحظة أن من أهم العوامل التي جعلت اللسان الديماني لسانا مميزا بين الألسنة البيضانية المختلفة هو كونه يشكل عامل توسط بين الفهم

الصنهاجي، حيث كانت قبيلة أولاد ديمان تمثل إحدى أكبر بؤره قبل التعرب، وبين الفهم الحساني للحياة وللوجود، فاللسان الديماني قد أضاف إلى موروثه القائم على الثقافة الصنهاجية، الذي هو حصيلة روافد مروية من التقاليد والمعارف الشفهية والأساطير والآداب، موروثا جديدا يقوم على الثقافة الحسانية التي هي جزء من الثقافة العربية الغنية بتراكمات معارفها ومروياتها، حيث استطاع اللسان الديماني من خلال تمازج الثقافتين الحسانية والصنهاجية أن يزيد من مستوى البعد التعبيري، ويوسع من دائرة الأفق التأويلي لكلام أولاد ديمان، بفضل اتساع وتنوع المرجعية الثقافية لديهم.

وقد وجدت في المصادر والمراجع التاريخية والاجتماعية والانتروبولوجية العامة ما مكنني من تأطير هذا البحث، مستندا في ذلك إلى مراجع أهمها في مجال التعريفات الاجتماعية والأنتروبولوجية: "مقدمة في الأنتربولوجيا الاجتماعية" للوسي مير (ترجمة وشرح شاكر مصطفى سليم)، وفي مجال علمي الاجتماع والأنتروبولوجيا عموما: "مقدمة ابن خلدون" والدراسات التي تناولت مفهوم العصبية لديه، و"البداوة والإسلام والسلطة السياسية في مجتمع البيضان قبل الاستعمار" لعبد الودود بن الشيخ، لاسيما ما تعلق منها بدراسته النقدية للمجتمعات الانقسامية، محاولا تقديم إطار نظري يمكن من استيعاب أكثر للموضوع.

كما استفدت من المصادر والمراجع التاريخية للبلاد في تقديم صورة عن الظروف التاريخية التي سبقت أو اكتنفت ظهور أولاد ديمان، وتاريخهم مع الديمين، وفي مقدمة هذه المصادر والمراجع: "شيم الزوايا" و"أمر الولي ناصر الدين" كلاهما لمحمد اليدالي، وكتاب "الأعداد" لأحمدو بن احبيب، و"تاريخ إمارة الترارزة" لأحمد سالم بن باكا، و"حياة موريتانيا" للمختار بن حامدن، رغم القصور الواضح الذي تعاني منه المصادر التاريخية فيما يتعلق بما بين دولة المرابطين ومقدم بني حسان، هذا القصور الذي حاولت تلافيه من خلال ما استطعت تجميعه من مصادر مختلفة خلال بحثي التاريخي.

أما الديمين، وإن كانت دراسته في مظاهره المختلفة (الكلام، الطبع، العادات) تقتضي اللجوء إلى أدوات ومناهج البحث الحديثة، فقد استفدت فضلا عن ذلك في

دراسته من مجموعة من المصادر والمراجع التي ألفها أولاد ديمان عن بنيتهم وأنسابهم ومناقبهم وطبعهم وعاداتهم، وهي عديدة من أبرزها: "أنساب أئمة العشائر"، المشهور باسم "كتاب الأنساب" أو "نبذة في أنساب الصحراء القصوى" لوالد بن خالنا الديماني، و"اللؤلؤ والمرجان في مآثر بني ديمان" لمحمذن بن حبلل الديماني، و"نظم طبع أولاد ديمان" لبابه بن محمودن بن محنض بابه الديماني، و"ذات ألواح ودسر" في الرد عن بني ديمان وذكر بعض مناقبهم لسيدي أحمد بن أسمه الديماني، و"عقود الجمان في أنساب بعض بني ديمان" لعبد الله بن امين الديماني. كما استفدت من بعض ما كتبه عنهم سواهم كـ: "نظم نوادر هزل أولاد ديمان" للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا الأبييري، و"مجمع البحرين في نظم طبع أولاد ديمان" للمختار بن جنكي اليدالي.

ولا شك أن صعوبات عديدة اعترضتني في سبيل إنجاز هذا العمل منها افتقار المصادر والمراجع التي بين يدي لرؤية شمولية لمفهوم الديمين، مما حتم علي التأسيس لهذه الرؤية في هذا البحث. ومنها غياب خيط ناظم لشتات مواضيع الديمين، مما استوجب مني أن أوجد هذا الخيط عن طريق بناء منهج جامع لمختلف المواضيع ذات العلاقة بالديمين. ومنها كون أغلب مصادر ومراجع هذا البحث غير متوفر، ويحتاج إلى جهد مضن للحصول عليه. ومنها صعوبة إعادة قولبة مواد كتبت وفق منهج تقليدي لأغراض متباينة في قالب منهجي معاصر، واستثمارها وتحليلها للخروج منها بخلاصات علمية مفيدة ومنسجمة ومترابطة.

ولهذه الأسباب فقد اعتمدت تقسيما منهجيا يستوعب، لا مجرد ظاهرة الديمين من خلال كلام وطبع وعادات أولاد ديمان فحسب، بل وأيضا أطرها الاجتماعية والانتروبولوجية، وسياقاتها وملابساتها التاريخية والجغرافية والثقافية، والعوامل الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أثرت فيها، فبدأت البحث بفصل خصصته لتأطيرات عامة اجتماعية وأنتروبولوجية، عرفت من خلالها بجملة من المفاهيم الضرورية للتعامل مع الموضوع، هي: النسب، والقبيلة، والتقسيم الفئوي الوظيفي، والأنساق السياسية.

ثم انتقلت إلى الفصل الثاني الذي خصصته للمهاد التاريخي الذي تحدثت فيه

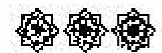
عن السياقات التاريخية والجغرافية والثقافية لأولاد ديمان، وعن التونكلين الذين هم أسلافهم، وتشمشه التي هي حاضنتهم، وحركة الإمام ناصر الدين التي كانوا قادتها، ثم عن أولاد ديمان ما بعد حرب شرببه.

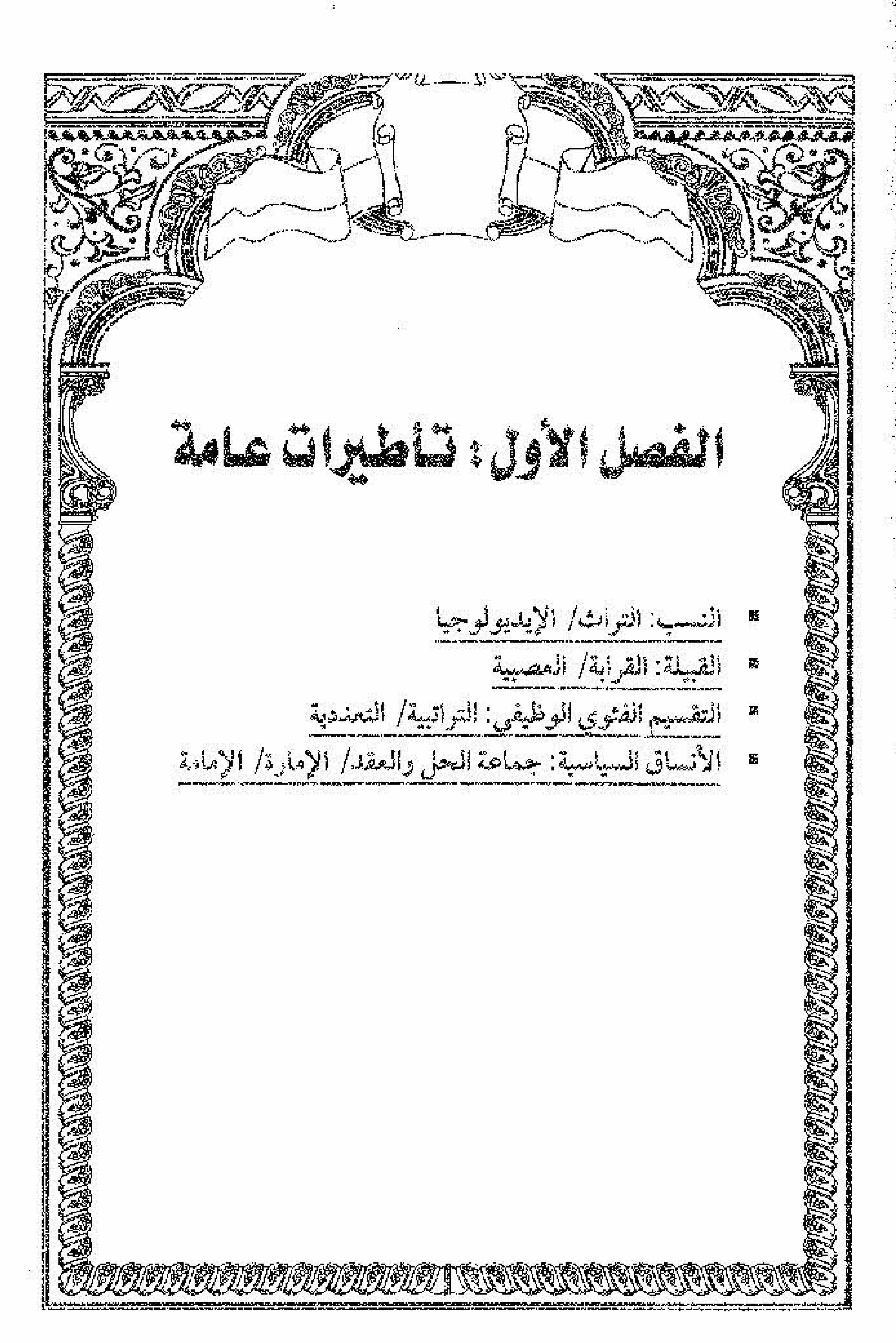
وانتقلت بعد ذلك إلى الفصل الثالث الذي خصصته للديميين، بادئا بمفهومه، ثم كلام أولاد ديمان، ثم طبع أولاد ديمان، ثم عادات أولاد ديمان، ثم أولاد ديمان والعيش، ثم أولاد ديمان والنوادر.

وختمت البحث بخاتمة تتضمن أهم الخلاصات والنتائج التي خلصت إليها.

ثم أرفقت به مجموعة من الملاحق المهمة التي تعزز مادة البحث وتثريها.

والله الموفق.





الفصل الأول: تأطيرات عامة

- النسب: التراث/ الإيديولوجيا
- القبيلة: القرابة/ العصبية
- التقسيم الفئوي الوظيفي: التراتبية/ التعددية
- الأنساق السياسية: جماعة الحل والعقد/ الإمارة/ الإمامة

النسب: التراث / الإيديولوجيا

من الصعب أن تكتب عن النسب في المجتمع البيضاني شيئا ذا قيمة، لا لأن النسب لا يساعد على تفسير الكثير من الظواهر التاريخية والاجتماعية لهذا المجتمع بل لأنه لدى البيضان تجاوز مبررات وجوده الاجتماعية والسياسية ليصبح تعبيرا عن إيديولوجيا أكثر مما هو تعبير عن تاريخ وعن تراث. إننا نعني بالنسب الذي هو إيديولوجيا الخطوط النسبية البعيدة لأسلاف لا تتأثر بهم الأنساق السياسية والاجتماعية للقبائل، لا خطوط العلائق القرابية القريبة الحية التي تربط بين مختلف أعضاء الفخذ أو القبيلة وتربطهم جميعا بسلف عام. صحيح أن المجتمع البيضاني مجتمع انقسامي، ومعنى المجتمع الانقسامي أنه ينقسم إلى وحدات تنتسب إلى سلف بعيد، ويرتبط بعضها ببعض بروابط القرابة، فالقبيلة تنقسم إلى أفخاذ، ويعيش كل فخذ في إقليم خاص به، ويمارس فعالياته بصورة مستقلة عن الأفخاذ الأخرى، وبحرية مطلقة. وبذلك فليس للقبيلة سلطة مركزية موحدة، ولكن إذا جد خطر (كالحرب)، أو إذا اقتضت الضرورة (كجمع دية)، فقد يتحد عدد من الأفخاذ أو جميعهم، أو عدد من القبائل (كما هو الحال بالنسبة القبائل تشمشه)[1] لمواجهة هذه المسألة.

إن كل فخذ ينقسم إلى ما يسمى "اخيام" (=بطون)، وكل "خيمة" تضم مجموعة من العائلات تستمر في التضاعف إلى أن تصبح العائلة "خيمة"، و"الخيمة" فخذا، والفخذ قبيلة، حتى ليجوز القول إن كل رجل في نهاية الأمر هو مؤسس فخذ، لأن الأفخاذ الصغيرة دائمة الظهور والانبثاق نتيجة لانقسام الأفخاذ الكبرى، لكن هذا الانقسام نظري جدا، لأنه عادة لا يصبح رمز "خيمة" أو فخذ أو قبيلة إلا أشخاص يحضرون في ذاكراتنا أكثر من غيرهم، لارتباطهم بظرف أو واقع أو أسطورة معينة (هجرة، بطولة، مشيخة، رئاسة ...)، كما أنه كثيرا ما يحدث أن

---

(1) قبائل تشمشه هي خمس قبائل لا يجمعها سلف واحد، منها قبيلة أولاد ديمان موضع الدراسة، تحالفت وشكلت بذلك صورة القبيلة الواحدة. راجع تفاصيل ذلك في المهاد التاريخي (الفصل الثاني من هذا البحث).

تنضوي الأفخاذ الأقل عمقا تحت جناح الأفخاذ الأكثر عمقا لأغراض معينة. كما يحدث نتيجة حرب أو هجرة أن تندمج أفخاذ أو قبائل في المجتمع ويعطون مكانا مناسبا بشكل ما من أشكال التبني أو التحالف، وقد يحدث التحام كلي بين هذه الجماعات بتشابك الخطوط القرابية وتداخلها بحيث يصعب مع الزمن التفريق بينها. وتعرف هذه الظاهرة في المجتمع اليمني بـ"ادخيله"، ولذلك فإنه يمكن القول بأن القبيلة تقوم أيضا على فكرة عمليتي الانشطار والالتحام[1] كما تقوم على فكرة السلف العام.

ومع أنه يمكننا بصورة واقعية أن نتتبع خط النسب انطلاقا من هذا الانبثاق حتى المؤسس الأعلى للفخذ أو القبيلة، فإن تتبعنا لهذا الخط إلى أبعد من ذلك بكثير يبقى أمرا نظريا جدا، وأحيانا غير قابل للتطبيق، لأن السلف العام دائم التراجع إلى الماضي ليصبح مع مرور الزمن في طي النسيان. وقليلون هم الأسلاف الذين يحدث أن نفكر فيهم لأنه لم يعد لهم تأثير على الأنساق الاجتماعية والسياسية للقبيلة، ولم يعد لهم دور في ديناميكيتها الدائرة حول قيمتي (القرابة/ العصبية)، كما لم يحدث أن احتفظ الناس في ذاكراتهم بأسلافهم لأجيال طويلة لمجرد التذكار، حتى قبائل الجزيرة العربية التي تعتبر الأنموذج الأبرز في الاحتفاظ بالأنساب، لم تستطع أن تحتفظ في ذاكراتها بأسلافها لأكثر من أجيال معدودة، مما جعل النسابة والمؤرخين العرب كثيرا ما اختلفوا على نسبة هذه القبيلة أو تلك، حتى النسب النبوي الشريف البالغ الأهمية لدى العرب والمسلمين لأسباب دينية، لم يتفق النسابون والمؤرخون على ما بعد عدنان الأب العشريني لمحمد ﷺ منه.

ولذلك فإننا نظن أنه إذا أراد مجتمع أن يستدعي أسلافه البعيدين، ويستحضر خطوطهم النسبية، ليقحمها في ديناميكية النسق القبائلي (القرابة/ العصبية) الحاضر، فإن الأمر يتحول من تراث ومن تاريخ إلى إيديولوجيا تجعل الخلط الواقع بين الأنساب الصحيحة والأنساب المنتحلة أمرا متعذرا في الوقت الراهن، لاسيما بعد

---

(1) الانشطار هو انقسام الجماعة القرابية كالفخذ أو القبيلة إلى جماعتين متمايزتين أو أكثر، والالتحام هو اتحاد جماعتين أو أكثر من الجماعات حتى تصير كالجماعة الواحدة لسبب ما كمواجهة ظروف معينة.

حملة التعرب الواسعة التي شهدتها قبائل البلاد مع موجة الاجتياح الحساني (ق٩-١١هـ/ ١٥-١٧م)، وما رافقها من بناء لتحالفات سياسية وعصبيات اجتماعية جديدة.

ولذلك فإننا نؤثر ألا نعطي مسألة النسب والانتماء حجما أكبر من الحجم المتاح لها، كما نؤثر عدم الخوض فيما عرفته هذه القبيلة من عمليات الانضمام أو الانفصام، مكتفين في الجانب الأتنلوجي بدراستها من خلال بنيتها المستندة إلى الأب المؤسس لا تلك المستندة إلى الانشطار والالتحام، دون أن نهمل ما هو ضروري لتكوين فكرة عن هذه القبيلة ومدلولها، مع عدم التطرق إلى النسب إلا من حيث هو موروث تاريخي أو هوية تتحدد من خلالها للشخص مكانته، وحقوقه، وواجباته، وطلباته، وثروته في المجتمع، الأشياء التي تعتمد بشكل كبير على علاقات نسبه بالآخرين.



القبيلة: القرابة / العصبية

إن الشخص لا يعترف دائما بقرابته مع كل الأفراد الذين يرتبط بهم بنسب عام، بل يعترف فقط بالأشخاص الذين يجسد ارتباطه بهم في الواقع ولو بشكل من الأشكال، وبهذا فإن دائرة الأقارب المعترف بهم تختلف من شخص لآخر. وعادة ما تتسع هذه الدائرة في المجتمعات ذات التكنولوجيا البسيطة وتضيق في المجتمعات الصناعية حتى لا تكاد تتجاوز الحواشي المقربين وهذا ما يطلق عليه ريفرز[1] «الاعتراف الاجتماعي بالروابط الحياتية».

ومع أن الشخص يرتبط بخطوط قرابية مع الأشخاص القريبين لأبويه كليهما إلا أن الاعتراف بهذه الروابط الحياتية غالبا ما يكون بأحد الجانبين على حساب الجانب الآخر، أي أنه عادة ما يتم تعقب القرابة في خط واحد فقط، إما خط الذكور وإما خط الإناث (النسب الأحادي الخط)، فالنسب عن طريق الذكور يسمى نسبا أبويا[2] والنسب عن طريق الإناث يسمى نسبيا أمويا[3]. وبما أن المجتمع البيضاني أصبح مجتمعا أبويا خالصا منذ الاجتياح الحساني[4] وتعريبه تعريبا كاملا[5]، فإن الشخص

---

(1) ريفرز ويليام هالس (1864-1922م): عالم، وطبيب نفسي، وانتربولوجي بريطاني. مؤسس المدرسة الانتشارية، عني بدراسة الروابط القرابية وكان أول من استعمل الطريقة النسبية، أسس مدرسة علم النفس التجريبي في جامعة كامبردج.

(2) هذا المصطلح روماني الأصل. ولم يكن للرومان مصطلح واضح لوصف النسب عن طريق الإناث الذي يبدو أنهم ما كانوا يهتمون به بشكل خاص. انظر: لوسي مير، مقدمة في الأنثربولوجيا الاجتماعية، ترجمة وشرح شاكر مصطفى سليم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1983م، ص84.

(3) يعني النسب الأموي أن الأقارب يرتبطون بروابط القرابة عن طريق الإناث (الأمهات) فيبدأ خط نسبة الأجيال الصاعدة للفرد بأمه، ويكون التعاقب والميراث وفق هذا النوع من الخال إلى ابن الأخت.

(4) قبائل بني حسان: هي القبائل العربية التي اجتاحت بلاد شنقيط منذ القرن الهجري 9 (15م)، ودخلت في صراعات مع السكان الأصليين نتجت عنها سيطرتها العسكرية والسياسية على البلاد، مما أفرز التشكيلة الحالية للمجتمع البيضاني.

(5) كانت قبائل صنهاجة قبل أسلمتها وتعريبها قبائل أموية النسب، تدل على ذلك مصادر مختلفة. وما

أصبح يتوقع من بني عمومته ما لم يعد يتوقع من بني خؤولته، وله فيهم من الحقوق وعليه من الواجبات ما ليس له وعليه في أولئك، فالشخص عن طريق أبيه أصبحت له حقوق تملك في مصادر إنتاج القبيلة، كما يشاركهم إقليمهم، ومرعاهم، وءابارهم، والانتساب إلى سلفهم، ويسم مواشيه بسمتهم[1]، وعليهم المطالبة بثأره كما عليه الوقوف إلى جانبهم في أي نزاع ضد الغرباء، ولو كانوا خؤولته لأن "أل خاط اظهر إطّيح[2]". ولا شك أن هناك قرائن متعددة تشير إلى أن المجتمع القديم في هذه البلاد، كان مجتمعا أموميا ينسج علاقاته القرابية عن طريق أمهاته، ويجسد انتماءه العصبي من خلال أخواله، قبل أن يتحول إلى الخط النسبي الأبوي في ظل حمى التعرب التي اجتاحت السكان، رغبة في الانخراط في البنية الاجتماعية للحضارة العربية الإسلامية الوافدة، أو انسجاما مع الواقع الذي فرضه الاجتياح الحساني للبلاد.

وفضلا عما تقدم فإن أي شخص في المجتمع الأبوي، إذا سكن في خؤولته واستقر فيهم يمكن أن تنشأ بينه وبينهم روابط دموية أبوتها افتراضية، أساسها التبني، فينتسب إليهم ويصبحون هم عصبته. ومثل هذه الروابط التي تنشأ بينه وبينهم تلك التي تحدثها "ادخيله"[3] (=التبني)، وهي روابط غير محسوبة الخطوط لكنها تتمتع بفضل الاندماج بنفس فاعلية الروابط القرابية الواقعية في القبيلة، فتعاون القبيلة إذن يكمن في واقع أن أعضاءها متحدون بالقرابة الفعلية (رباط الدم) أو القرابة الوهمية

تزال في المجتمع البيضاني (خاصة الزوايا منهم) حتى الآن إشارات تدل على أهمية النسب الأموي، منها الاعتناء الشديد بقراباتهم عن طريق الخؤولة، وتعظيم دور المرأة وتدوين الأنساب عن طريق الجدات، منها المثل الصنهاجي الذي كان متداولا بينهم: "انْتَمّي اتْكَرْمتْ انْتَمّي يَرّْگتْ" (=إذا ماتت العجوز ماتت القرابة).

(1) عادة ما تتخذ كل قبيلة أو فخذ سمة معينة لماشيتها تسمى بالحسانية "النار"، ثم تتخذ كل خيمة من الفخذ علامة خاصة بها تسمى "الخاصية"، تضيفها إلى "النار" تميز بها ماشيتها عن غيرها من مواشي القبيلة أو الفخذ.

(2) مثل حساني مفاده أن القرابة غير الأبوية لا يعتد بها في وجه القرابة الأبوية.

(3) "ادخيله": مصطلح حساني يطلق على جماعة قرابية غريبة تدخل في قبيلة وتندمج فيها وتلتحم معها، فتشكل معها عصبية واحدة.

(الولاء – الحلف– "ادخيله")، ويرتكز على الدعم والدفاع المتبادلين بين مختلف أعضاء القبيلة والتضامن فيما بينهم. ويجسد هذا الواقع ما يسمى بالعصبية في أحد جوانبها.

ولكي نفهم هذا جيدا يجب علينا أن نحدد مفهوم العصبية المعقد شيئا ما[1]، فهي ليست فقط تجسيدا لمفهوم التعاون الاجتماعي الحاصل بين أعضاء القبيلة، كما أنها لا تتحدد كليا في عوامل الدعم المتبادل والدفاع المشترك والتضامن، رغم أن هذه الأمور تمثل بعض تجلياتها، وهي لا تنتج فقط عن نشوء وشائج القربى، إذ ليست العصبية تعبيرا عن مجرد تراكمات بشرية، بل هي الديناميكية الحاكمة والمنظمة لكل هذه التراكمات، المؤطرة لكل تجلياتها، حيث تعمل على مستويين: مستوى القبيلة في جملتها، ومستوى كل قبيلة جزء (فخذ)، فتنتج بالمستوى الأوسع نمطا خاصا من التنظيم السياسي، وتنتج بالمستوى الأضيق حركية دائمة تؤدي إلى تكوين أرستقراطية قبلية قد تمكن لاحقا من قيادة القبيلة، وأحيانا تتوسع إلى قيادة مختلف القبائل التي تقع تحت سلطتها أيضا، لأن العصبيات المتعددة في الأفخاذ و"الخيام" داخل بنية القبيلة «لا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها، وتغلبها وتستتبعها،

---

(1) يعرف الجابري العصبية عند ابن خلدون (وهو من أهم من درسها) بأنها: «رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطا مستمرا، يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة»، (المختار الهراس، القبيلة والدورة العصبية، قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع المغاربي، المستقبل العربي، ص51، ع9، إبريل 1987م). ويعرفها ابن عمار الصغير بأنها: «حالة ذهنية عاطفية تظهر في العلاقات والسلوكيات التي تتسم بها مجموعة من البشر في حالة البداوة التي تأخذ بيدها إلى الملك والسلطة، وتبرز مرة أخرى كنتيجة للصراعات التي تظهر في المدينة أو الدولة، ولها أطوار تمر بها ومطاف تنتهي إليه». (ابن عمار الصغير، التفكير العلمي عند ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص17). وقد جرت عدة محاولات لترجمة العصبية ترجمة موفقة إلا أنها كانت في كل مرة تترجم بطريقة مختلفة من باحث لآخر حيث ترجمت مثلا بـ L'esprit de clan (=روح الطائفة) عند گوتيه، وبـ L'esprit du corp (=روح الجماعة) عند ديسلان، وترجمها البعض بـ Solidarité sociale (=التضامن الاجتماعي)، بينما احتفظ لها العديد من الباحثين بعبارة العصبية Acabiya نظرا لتعذر إيجاد مقابل لها في اللغات الأخرى.

وتلتحم جميع العصبيات فيها، وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى، وإلا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع[1]»، فالعصبية هي «القوة الناتجة عن التضامن القبلي، وتحركها القبيلة أو القبائل المتوحدة بواسطة أرستقراطيتها[2]».

وهكذا يمكننا أن نقول بأن العصبية هي القوة التي تفرزها القبيلة، وتحمي بواسطتها أعضاءها، وإقليمها، وممتلكاتها المادية: (الثروة/ الريع/ الجباية... إلخ)، والمعنوية: (النسب/ الشرف/ السمعة... إلخ). ولعلنا نتبين من قول ابن خلدون: «ومن كانت عصبيته لا تدفع عنه الضيم، فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للذل والمذلة[3]» السبب الذي جعل المجموعات التي تتم هزيمتها هزيمة نهائية في المجتمع الانقسامي تتخلى عن أنسابها كما تخلت عن أقاليمها وسائر ممتلكاتها، لأن «المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدتها[4]»، فلم تعد الأنساب ذات جدوى بالنسبة إليهم، لأن النسب إذا لم يجد عصبية تحميه وتدافع عنه لا يزيد عن كونه تراكمات كمية لمجموعة من الأسماء البشرية عديمة الجدوى الاجتماعية. كما يمكننا أن نقول استنادا إلى هذا إن القبائل ذات العصبية المهيمنة هي وحدها التي تحظى بالاعتراف المطلق والسريع بالأنساب التي تتبنى، سواء كانت هذه الأنساب صحيحة أو منتحلة. وقد تجلى هذا بصورة بينة في المجتمع البيضاني بعد الاجتياح الحساني، وما رافقه من تحولات عرفتها هذه البلاد السائبة، حيث أصبحت الأنساب، وبالأخص خلال حملة إعادة التأسيس القبلي المواكبة لموجة التعرب الشاملة التي وطدها هذا الاجتياح، هي الوسيلة الأساسية للتفريق بين مختلف الفئات الاجتماعية، فضلا عن تعضيد بنية التقسيم الفئوي الوظيفي لمجتمع البيضان.

❁❁❁

---

(1) عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م، المقدمة، ج 1، ص174.

(2) عبد القادر جغلول، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون، دار الحداثة للطباعة والنشر، الجزائر، 1987، ص64/ 65.

(3) ابن خلدون، المقدمة، مرجع سبق ذكره، ص177.

(4) المرجع نفسه، ج 1، ص176.

التقسيم الفئوي الوظيفي: التراتبية / التعددية

«موريتانيا مجموعة بلاد واقعة عن شمال نهر السينغال، يسكنها خليط من صنهاجة والعرب. أما صنهاجة فدخلها منهم في المائة الخامسة للهجرة، وذلك تحت راية أبي بكر بن عمر اللمتوني، جيش أكثره من لمتونة وكدالة ومسوفة (وهي ثلاث قبائل بربرية من قبائل صنهاجة وما عداها مدرية) دخلوا على السودان فأجلوا بعضهم وملكوا بعضا، وتناسل منهم أكثر ما عدا بني حسان من البيضان الموجودين اليوم فيها. وقد قيل إن في ذلك الجيش آحادا من العرب دخلوا مجاهدين في الفتح الإسلامي. وقد انقسمت صنهاجة في ذلك العهد إلى ثلاثة أقسام: قسم قام بالمملكة والجهاد وحماية الأرض، وقسم قام بالصنائع والحرف وهم اللحمة (بضم اللام، سموا بذلك تشبيها بلحمة الثوب، وهي ماينسج عرضا وخلافها السدى، وهو ما يمد طولا) وذلك لأنهم كانوا يعطون الصدقات والإعانات للمجاهدين والمعلمين، فكان الجهاد والتعليم إسدادا، والإنفاق إلحاما، وقسم قام بالتعلم والتعليم وهم الزوايا سموا بذلك لانزوائهم للعبادة».

المختار بن حامدن(1)

يعلن نص ابن حامدن هذا أن التقسيم الوظيفي في هذه البلاد -بغض النظر عن حقيقة ربطه بجيش أبي بكر بن عمر- سبق دخول بني حسان، مما يعني أنه لم يكن وليد حروب شربه (ق11هـ/ 17م) كما ذهب إليه بعض الدارسين الغربيين، ولا وليد عداء عرقي بين العرب والبربر، كما ذهب إليه بعضهم. كما تعلن الرسالة التي بعث بها محمد بن محمد بن علي اللمتوني في شهر شوال 898هـ/ يوليو-أغسطس 1493م إلى الإمام السيوطي، وكما نبه إليه عبد الودود بن الشيخ في أطروحته(2)، أن هذا

---

(1) المختار بن حامدن الديماني الباركللي: عالم وأديب ومؤرخ، من أهم أعماله موسوعة "حياة موريتانيا"، التي منها هذا النص المقتبس من مقدمة الجزء السياسي (ابن حامدن، الجزء السياسي، مرقون، ص10). ت1993م.

(2) عبد الودود بن الشيخ، البداوة والإسلام والسلطة السياسية في مجتمع البيضان قبل الاستعمار

التقسيم كان موجودا قبل بني حسان، رغم ما طرحته هذه الرسالة من إشكال تمثل في تحديد هوية مرسلها، وموقعه من بلاد التكرور التي ورد أن الرسالة واردة منها، فبينما خلص أغلب الباحثين إلى أن صاحب الرسالة صنهاجي من غرب الصحراء، وأنه من البيئة الولاتية التنبكتية، يرى كل من نوريس وهنويك أن اللمتوني يكتب من مدينة تقع فيما بين النيجر ومالي، بين تادمكه وأكادس، بينما يرى عبد الودود أن اللمتوني كان يكتب من ولاته أو ناحيتها، بدليل أن المجتمع الذي يصفه اللمتوني في بنيته الطبقية وتقاليده وعاداته وأعرافه هو مجتمع البيضان. وقد أيد محمذن بن باباه هذا الرأي[1]، الذي تظهر فقرات عديدة من رسالة اللمتوني وجاهته. ولأهمية هذه الرسالة نورد منها مقاطع تدل على ذلك:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب فيه أسئلة من العاصي الحقير المذنب المنكسر الراجي عفو ربه الكريم الكبير. وسميته مطلب الجواب بفصل الخطاب. . الحمد لله الكامل الذات، الحي القيوم الأزلي الصفات، وصلى الله على حبيبه المفضل على سائر المخلوقات، وعلى آله وصحبه وأزواجه الطاهرات [...] (فصل) نسأل عن قوم [...].

(فصل) ومنهم من يخاصم على الأحرار ويدعوهم بالعبيد، فإن مات من ادعي عليه ذلك لم يقسموا بين ورثته، ثم يدعوهم من بقي باسم الرق، وإن قلت لهم: هؤلاء أحرار كادوا يقتلونك، ويقولون: هؤلاء عبيد أتباع السيف، ومنهم من يجعلهم كالخدم بالضرب والعذاب، ومنهم من يسخر منهم ويأخذ منهم الأموال ولا يضرهم في أنفسهم، ومنهم من يبيعهم بالتنافس والتنازع، ومنهم من يؤمر على قوم فيأخذ منهم الخراج أكثر مما أخذ منه الملوك فإن أبوا نفاهم وسلط عليهم الأمير أو وزراءه، ومنهم من يؤمر على بلد فيتركه ويمشي إلى أحرار قبيلته حيث كانوا فيأخذ منهم من أراد حتى يكون القتال في ذلك.

(فصل) ومنهم من ليس له حرفة إلا الغناء والمزمار ومدح من أعطاه وذم عكسه،

جامعة السوربون، اكتوبر، 1985م.

(1) محمذن بن باباه، مدخل إلى تاريخ موريتانيا، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 2017، ص 228.

ومنهم من ليس له حرفة إلا أن يكون مع الأمراء والكبراء فيأكل معهم ويعيش في أموالهم الحرام [...] ومنهم من حرفته معاداة العلماء والأتقياء والصالحين [...].

(فصل) [...] ومنهم من عادته صحبة العلماء والصلاة على رسول الله ﷺ والأعمال الصالحة، الصدقة وإطعام وقري الضيف وغير ذلك من وجوه الخير ولا يتركون ما هم عليه من استرقاق الأحرار والمقاتلة والظلم وأكل الحرام [...].

(فصل) منهم من لا يفارق الأمراء طرفة عين يأكل معهم ويشرب ويأخذ أموالهم المحرمة، ومنهم من نهى فعاوده فخاف فسكت، ومنهم من يأخذ الزكاة ولا يستحقها، ومنهم من حرفته أن يشترط مع الناس أن يصلي بهم ويقرئ صبيانهم ويرى عندهم المنكر العظيم ويسكت، وإن تكلم قالوا له: اسكت فقد ذكرت ما عليك فخذ شرطك ومالك، ولا تزر وازرة وزر أخرى فيسكت، ومنهم من إذا وعظت الناس قالوا لك: أما نحن فقهاء مثلك؟ فنحن قد رأينا ذلك وسكتنا عنه [...].

(فصل) منهم من يأخذ العشر عند الميراث فلا يقسم لأحد إلا إذا أخذ عشره، ومنهم من اكتسابه بالطلسمات والرقى لباب المحبة والنكاح والوجه عند العامة والخاصة، ومن غضبوا عليه يفعلون به ما قد أرادوا من مكائد سوء، فمرة يوافق فعلهم القدر ويقولون هذا فعلنا.

(فصل) ومنهم من ليس له عمل إلا تلاوة القرآن والحديث والعبادة ولزوم الخلوة وقراءة الرسالة والشهاب وأمثال ذلك.

(فصل) ومنهم من يكون عند الجهال يأكل ويشرب ويكون إمامهم.

(فصل) منهم من يقرئ الصبيان فإذا ختم واحد أو بلغ النصف أو الثلث حمله على درقة من فوق رؤوسهم أو على فرس أو جمل ويجتمع عليه القراء ويطوفون به البلد كله يقرؤون عليه آيات ومدائح رسول الله ﷺ فيعطيهم الناس طعاما وشرابا وغنما وثيابا فيتركونه للفقيه...[1]».

تظهر هذه المقاطع بجلاء وجود التقسيم الطبقي القائم على ثلاثية فئة

---

(1) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الحاوي للفتاوي، ضبط وتصحيح عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ج1، ص272- 281.

المشتغلين بالفروسية ("العرب" كما سيعرفون لاحقا)، وفئة المشتغلين بالعلم ("الزوايا")، وفئة الأتباع ("اللحمة")، الذي تحدث عنه ابن حامدن. كما تظهر أن هذا التقسيم الذي لا بد أنه كان يمثل استجابة لأوضاع اجتماعية وثقافية واقتصادية خاصة بالمجتمع الصحراوي في هذه المنطقة السائبة المترامية الأطراف، التي ظلت دوما -أو لفترات طويلة- تفتقر إلى سلطان مركزي تحتاج إلى ثلاثية: «الحماية/ التعليم/ الإنتاج»، كان سابقا لمقدم بني حسان، مع أنه يجب ألا يغفل دور بني حسان، لازدياد الحاجة خلال التحولات والاضطرابات التي رافقت مقدمهم إلى مزيد من «الحماية» و«التعليم» و«الإنتاج»، في بلورته وتكريسه، بل وفي تحول مواقع بعض القبائل فيه، بما فيها قبائل كانت من الفئة الارستقراطية (صنهاجية وحسانية)، وتراجعت إلى رتبة فئة "اللحمة" بعد أن كانت من رتبة فئتي "الزوايا" أو "العرب". ولم ينج من هذا التحول إلا القبائل التي حمت مكانتها الارستقراطية بالسيف ممن بقي أو أصبح ضمن فئة "العرب"، أو بالعلم ممن بقي أو أصبح ضمن فئة "الزوايا"، ليستقر المجتمع على التقسيم الفئوي الوظيفي الثلاثي المعروف بالحسانية بـ"اعرب" / "ازوايا"/ "لحمه"، وربما عبر فيه عن "العرب" بـ"حسان"، وعن "الزوايا" بـ"الطلبه"، وعن "اللحمه" بـ"لحيه" أو "أزناگه" عند البعض، مع أن "أزناگه" بهذا المعنى الوظيفي أخص من "اللحمه"، حيث لم تكن هذه المصطلحات منضبطة تماما أحيانا، كما أن هذا التقسيم لم يكن بنفس الوضوح والتكريس بالنسبة لكل المجموعات، بل كانت هناك دائما مجموعات حدية قابلة للتصنيف في أكثر من فئة.

وقد أخذ هذا التقسيم أشكالا مختلفة بحسب اختلاف المناطق والفترات، واستوعب جملة من التصنيفات الإضافية التي لها بنيات عرقية أو حرفية أخرى في المجتمع، ليضم إلى جانب "العرب" و"الزوايا" كلا من: "إيگاون" أو "الشعار"، و"لمعلمين" أو "الصناع"، و"أزناگه"، و"الحراطين"، والعبيد.

ومما يؤكد أن هذا التقسيم لم يكن وليد دخول بني حسان البلاد وحروبها المذكورة مع القبائل الصنهاجية هو تعارفه منذ القدم عند قبائل صنهاجة بأسماء صنهاجية أصيلة، فقد كان يأخذ لدى بعض هذه القبائل مثلا شكل: "أأربن"/ "دشفغه"/ "اگون"/ "أنموذن"/ "نغدمن"/ "هرضنن"/ "أويجن" (ترجمته على

التوالي: "اعرب"/ "طلبه"/ "إيگاون"/ "امعلمين"/ "لحمه"/ "احراطين"/ "اعبيد").

لكن لا شك أن مقدم بني حسان وما تبعه من تحولات أثر في بنية هذه المفاهيم، بحيث كرس "العرب" على قمة الهرم الاجتماعي، وكذلك "الزوايا"، وجعل الطبقات الأخرى ملحقة بهاتين الطبقتين، ولم يعترف لها بدور مستقل، فكان عليها أن تعيش -غالبا- في ظل إما "الزوايا" وإما "العرب": "عيش تحت اركاب ولل تحت اكتاب (=عش في ظل ركاب (السلاح) أو كتاب (العلم)[1]).

وكان من نتيجة التكريس الجديد لهذا التقسيم الفئوي الوظيفي دمج واستيعاب التقسيمات السابقة واحتوائها دون تمييز بين القبائل الصنهاجية المتوطنة وقبائل بني حسان الوافدة، ودون مراعاة للانتماء الجينيالوجي لهذه القبائل، فقبيلة إيديقب[2] مثلا التي هي من محتد حساني قبيلة زاوية، وقبيلة إيدوعيش[3] التي هي قبيلة صنهاجية -يجمعها نفس الانتماء الجينيالوجي مع قبيلة تندغه[4] الزاوية- قبيلة "اعرب"، وهكذا.

وقد لعبت ظاهرة "التوبة" التي كانت تعني التخلي عن حمل السلاح، والقيم الوظيفية "العربية"، والتخلق بدلا منها بالقيم الوظيفية "الزاوية"، دورا كبيرا في عملية

---

(1) مثل حساني توحي دلالته بأن المجتمع يضع في مقدمة تراتبيته الطبقية هاتين الطبقتين ("العرب"/ "الزوايا").

(2) إيديقب: من قبائل تشمشه والمنطقة المهمة، قبيلة زاوية من أصل حساني موطنها الگبله، يرتفع نسبها إلى عبيد الله بن حسان الذي تتصل سلسلته بجعفر الطيار.

(3) إيدوعيش: قبيلة أميرية ذات شوكة وصيت، موطنها بتگانت حيث أسست إمارة قوية تنتمي في نسبها إلى الأمير المرابطي يحيى بن عامر (=عمر).

(4) تندغه: من أكبر القبائل الزاوية ببلاد الگبله، تنتمي في نسبها إلى عمر بن تاشفين. يقول شاعرهم المصطفى بن أحمد مولود (بابه):

إنـا تـنـادغ إسـم تـبـرح لـنـا الـغـلـبـه ... عـلـى الـزوايـا بـعـلـم وافـر الـطـلـبـه

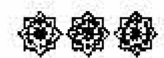
فـالـعـلـم فـيـنـا وفـيـنـا الـمـال أجـمـعـه ... والـعـد والـعـدد الـمـوفـور والـجـلـبـه

أبـنـاء أعـمـامـنـا فـرسـان مـلـحـمـة ... يـدعـون بـالـكـنـدر الـمـسـعـود والـدبـه

إشارة إلى أن قبيلة إيدوعيش (ببطنيها أبكاك والشراتيت) أبناء عمهم.

المتحول من فئة "العرب" إلى فئة "الزوايا"، وأصبح أهلها يعرفون غالبا باسم "التياب". وتوجد الآن مجموعات قبلية عديدة عرفت -أو عرف أسلافها- هذه "التوبة"، إما مستقلة في بنيتها، وإما مندمجة في قبائل أخرى عادة ما تكون من المجموعات "الزاوية".

وفي نفس الوقت حدثت كذلك هجرة قيمية معاكسة، قامت على إثرها بعض قبائل "الزوايا" بالتخلي عن قيمها الوظيفية لصالح القيم الوظيفية "العربية"، حاملة السلاح، ومتحولة بذلك من فئة "الزوايا" إلى فئة "العرب". كما قامت بعض قبائل "الزوايا" بحمل السلاح وتبني القيم العربية، دون أن تتخلى عن قيمها الأصلية، ودون أن يخرجها ذلك عن صفتها "الزاوية". ونفس الشيء فعلته بعض القبائل "العربية" من تبنٍ "للتزاويت" وقيمها دون أن تتخلى عن قيمها الأصلية أو يغير ذلك من انتمائها لفئتها "العربية".



الأنساق السياسية:
جماعة الحل والعقد/ الإمارة / الإمامة

لقد قسم مورگان[1] التطور السياسي الذي عرفته المجتمعات إلى مرحلتين وجعل لكل منهما حكومة، رغم أنه افترض أن الحكومة في المرحلة الأولى كانت قائمة على الأشخاص وعلى العلائق الشخصية البحتة (القرابة)، وسمى هذا الوضع: بالتنظيم الاجتماعي. بينما رأى أن فكرة الثروة ظهرت متأخرة مع ظهور فكرة الإقليم باعتباره الأساس الذي قامت عليه الحكومة العامة، وأطلق اسم التنظيم السياسي على الحكومة التي تدعي حقوقا في إقليم محدد، وهذا ما يسميه الدولة[2]. وظل الأنتروبولوجيون منذ أيامه يساوون في هذا المفهوم بين الحكومة والدولة، مع أنهم أثاروا فكرة أن الشعوب التي لا حكومة لها تملك رغم ذلك أنساقا سياسية[3]، إلا أن فورتس[4] وابريتشارد[5] رأيا أنه ليس لكل المجتمعات حكومات، فهما يعتقدان أن الدول فحسب هي التي تملك حكومات، وهذه تتسم بسلطة مركزية وإدارة إقليمية ونظم قضائية، كما يعتقدان أن لكل مجتمع نسقا سياسيا يعمل داخل إطار إقليمي.

---

(1) الويس هانري مورگان (1818-1881م): محام وأنتروبولوجي أمريكي، اهتم بحضارة الهنود الأمريكيين، كان من دعاة التطور الاجتماعي.

(2) لوسي مير، مقدمة في الأنتروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص126.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4) فورتس مايير (ت 1906م): عالم أنتروبولوجي بريطاني، درس على راد كليف - ابراون ومالينوفسكي، قام بدراسات ميدانية بين التالنسي في غانا، أولى موضوع البناء الاجتماعي اهتماما كبيرا.

(5) إيفانس ابريتشارد (1902-1974م): عالم أنتروبولوجي بريطاني، تتلمذ على مالينوفسكي، يعتبر من أساطين المدرسة الوظيفية، من أهم إنجازاته دراستاه الميدانيتان حول النوير (في دولة السودان والأزانده (يوكاندا).

ويعرف راد كليف ابراون[1] النسق السياسي تعريفا وظيفيا[2] فيقول بأنه «ذلك الجزء من التنظيم العام للمجتمع الذي يهتم بإدامة أو إقامة سيادة النظام في المجتمع داخل إطار إقليمي، عن طريق الممارسة المنظمة لسلطة رادعة، من خلال استعمال أو احتمال استعمال القوة المادية[3]». ويأتي شابيرا[4] فيقول بأن «استعمال القوة ليس هو المقياس الوحيد للنسق السياسي، مضيفا أن «كل مجتمع يعترف بأدوار معينة يمكن أن توصف بأنها حكومية[5]».

ومهما يكن فإن الأنتروبولوجيين المعاصرين يفترضون عموما أن لكل مجتمع نسقا سياسيا رغم أنهم قد يصنفون الأنساق السياسية بطرائق مختلفة، فبعضهم يرى أن كل نسق سياسي هو نسق حكومي، وبعض ءاخر منهم يعتقد أن الأنساق السياسية ليست كذلك، كما أنه من الضروري لدى بعض أن نميز بين الحكومة التي هي إجراءات، وبين الحكومة التي هي مجموعة من وظائف معترف بها[6].

وإذا تجاوزنا تعريف النسق السياسي إلى أشكاله، فيمكننا أن نقول إن قبائل المجتمع البيضاني عموما هي من ذلك النوع من المجتمعات القبلية الذي يطلق عليه فورتس وابريتشارد صفة «مجتمع بلا رئيس[7]»، حيث كل جماعة قرابية مستقلة

---

(1) راد كلف - ابراون (1881-1955م): عالم أنتروبولوجي بريطاني تخرج من جامعة كامبردج، تأثر كثيرا بدوركايم، درس سكان جزر الأندمان وبعض القبائل الأسترالية الأصلية، هو صانع النظرية الوظيفية مع مالينوفسكي وهما مؤسسا مدرسة الأنتروبولوجيا البريطانية الحديثة.

(2) التعريف الوظيفي: هو الذي يعتمد الرابطة بين السمات الحضارية، أو المساهمة التي يقدمها جزء من الحضارة في الحضارة ككل، أو التي تقدمها فعالية جزئية إلى فعالية شاملة. وفكرة الوظيفة وثيقة الصلة بفكرة البناء الاجتماعي، وحول هذه الفكرة قامت المدرسة الوظيفية في الأنتروبولوجيا مؤسسها هو أميل دوركايم.

(3) لوسي مير، مقدمة في الأنتروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص133.

(4) شابيرا إيساك (ت1905م): أنتروبولوجي من جنوب إفريقيا، درس في جامعتي كيب تاون ولندن (1969 / 1935)، نشر كتابات المستكشف ديفد ليفنكستن. له مؤلفات عديدة.

(5) لوسي مير، مقدمة في الأنتروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص128.

(6) المرجع نفسه، ص 129.

(7) يستعمل هذا المصطلح في تصنيف المجتمعات على أسس تطورية، وهو يعني أن الجماعة

استقلالا ذاتيا، ويتبادل الأشخاص الاعتراف بحقوق الآخرين، ومن ينزل به أذى يحق له أن يأخذ حقه بالقوة تحت تأييد أقاربه في الجماعة.

ورغم تداخل الدين والأعراف في صياغة «الضبط الاجتماعي» إلا أنه ليست لدى الجماعة القرابية (الفخذ أو القبيلة) سلطة عليا توقع الجزاء المادي على مرتكب المخالفة، وإنما يطبق مبدأ المقابلة بالمثل، إذ النظام مصوغ على أساس العقد الأخلاقي، ولا يستطيع شخص أن يفرض شيئا على شخص آخر لمجرد أنه من قبيلته، وإنما توجد قواعد تنظم السلوك الاجتماعي، تتمظهر مثلا في ضرورة احترام الأصغر للأكبر وعدم مخالفته الرأي علنا، وفي تولي الشبان الأعمال العامة، وتولي كبار السن الأعمال التي تحتاج إلى الحكمة، كمناقشة القضايا الكبرى وفض المنازعات وجمع الديات، وتفويض "الصربه"[1] وغير ذلك. وبهذه الطريقة تخلق القبيلة لنفسها من هؤلاء الذين يملكون عمرا اجتماعيا معينا –وليس بالضرورة زمنيا– جماعة الحل والعقد التي تأخذ الالتزامات على عاتق القبيلة، ولا تشترك في هذه الجماعة النساء، وتعقد جلساتها عادة في المسجد أو في خيمة مخصصة لذلك أو عند أحد الكبراء، وعادة ما يترأس الجلسة بصورة مباشرة أو غير مباشرة أكبرهم سنا، كما أن أفرادا ينتمون إلى خطوط نسبية معينة ينظر إليهم لاعتبارات اجتماعية أو دينية على أنهم أرفع مقاما من الآخرين يحظون عادة بمباركة آرائهم في هذه الجلسات العامة. وقد يؤول الأمر داخل القبيلة إلى أن يعترف لأحد هؤلاء بسبب توسع تأثير مكانته الاجتماعية أو الدينية بزعامتها، بحيث تعتبر كلمته فاصلة وأوامره مطاعة كليا أو جزئيا. وقد يحدث أن تتوارث ذريته عنه ذلك. لكن هذا الاعتراف لا يجعل من هذه الزعامة الفردية في مثل هذه المجتمعات –إلا استثناء– زعامة مؤسسية تتمتع بسلطة إكراه الآخرين على التبعية لها، بل تبقى زعامة عرفية تستمد سلطتها من الاعتراف الطوعي لباقي أعضاء القبيلة. كما أنه لا توجد لهذه السلطة حدود معينة

القرابية لا يحكمها رئيس بل مجموعة، وعادة ما تكون هذه المجموعة من المسنين، وذوي المراكز الاجتماعية البارزة.

(1) "الصربه": لفظ حساني يطلق على وفد جماعي توفده قبيلة أو فخذ أو أسرة أو شخص لاسترضاء قبيلة أو فخذ أو أسرة أو شخص لترضيتهم أو التصالح معهم.

ثابتة، بل تتمدد وتتقلص بحسب قوة تأثير الشخص الذي يعترف له بها داخل قبيلته، فقد تتعاظم إلى أن تصبح بمثابة سلطة مؤسسية فاعلة في إطار جماعة الحل والعقد التي تتحول في هذه الحالة من جماعة ذات سلطة إلى جماعة مساندة للسلطة، وقد تنكمش إلى أن تصبح مجرد سلطة رمزية عديمة التأثير.

وحيث إن شرعية هذه الزعامة ظرفية أو استثنائية، فهي -بخلاف السلطة المؤسسية- لا تتعارض مع مبدأ التعدد، فقد تتعدد في الخطوط النسبية المختلفة داخل القبيلة الواحدة، بحيث يكون لكل خط زعامته الداخلية المعترف بها، دون أن يلغي أحدها الآخر، وقد يحدث أن تتعاون أو تتصارع دون أن يؤدي هذا الصراع -إلا في حالات معينة- إلى انقسام القبيلة أو إحداث شرخ فيها. كما أنها لا تتعارض مع مبدأ التحول داخل القبيلة، فقد تتحول الزعامة التي كانت في خط نسبي معين إلى خط نسبي آخر بمجرد بروز شخصية كارزمية من هذا الخط الجديد، بمساعدة من دين أو مال أو جاه، وتتلاشى الأولى. ويحدث كل ذلك في سلاسة تبين أن ما كانت تتمتع به تلك الزعامة داخل القبيلة من سلطات لم يكن مؤسسيا، وأنها في الواقع لا تخرج عن طورها الشكلي إلا استثناء، بحيث لا تنفي عن المجتمع الذي تقع فيه صفة «مجتمع بلا رئيس» تسوسه جماعة الحل والعقد.

وإضافة إلى هذه الجماعة (جماعة الحل والعقد) يوجد تنظيم عمري مساعد معروف بـ"الأعصار" يقوم بأدوار معينة في خدمة وتسيير الأمور العامة للقبيلة. وفكرة "الأعصار" تنبع من تقسيم المجتمع إلى فئات عمرية تضم كل فئة ثلاثة أجيال إلى أربعة وربما خمسة، وتسمى كل فئة بـ"العصر". ويحمل "العصر" اسما حركيا تمييزا له عن "الأعصار" الأخرى، وكما توجد "الأعصار" في الذكور توجد "أعصار" موازية للإناث لها هي أيضا مسمياتها الخاصة بها.

وبما أن هذا العمل يتمحور حول أولاد ديمان فقد اخترنا تقديم نموذج من أسماء "الأعصار" فيها، من أولاد يعقوب إتلل بن ديمان (الذين منهم المؤرخ المختار بن حامدن الديماني): ونبدأه بعصر المختار بن حامدن الذي ولد قبيل مستهل القرن العشرين (ولد 1897هـ)، وكان يسمى: "عصر أولاد ادميمه"، يليه: "عصر الغَراگه"، ثم: "عصر أولاد انبوط"، ثم: "عصر أولاد البشنه"، ثم: "عصر

الدَّفَّاره"، ثم: "عصر الغالبين"، ثم: "عصر الأجواد"، ثم: "عصر المنيصره"، ثم: "عصر الغيثاره"، ثم: "عصر الحافظين"، ثم: "عصر المغيسله" الذي يمثل الفترة ما بين 1945/ 1950م، فهذه أحد عشر "عصرا" تغطي نصف قرن، أي بمعدل أربع سنوات ونصف "للعصر" الواحد. وهذا "العصر" الأخير منها هو آخر "الأعصار" تكونا في فخذ أولاد يعقوب إنلل، بينما استمرت هذه "الأعصار" في أفخاذ أخرى من القبيلة إلى ما بعد ذلك بسنوات.

ويقوم "العصر" بأدوار اجتماعية واقتصادية مهمة على مستوى مجتمع القبيلة، فهو يعزز فكرة التضامن والانسجام داخلها، كما أنه يعمل على توحيد مواقفه السياسية أو الاجتماعية مما يجري داخل القبيلة، ويقوم ببلورة موقف مشترك خاص به من الأمور التي تُطرح ويثور حولها الخلاف، من خلال الاجتماعات التي يعقدها على مستواه. وكل "عصر" يكلف بالقيام بمهمات أو خدمات معينة تليق بمستواه وسنه بصورة جماعية.

وعندما يكون هناك ضيوف يتولى كل "عصر" إضافة الضيف الذي يناسبه سنا، ويتعاون أعضاؤه على إكرامه، كما يتعاونون في مناسبات الزواج والأعياد على مساعدة العريس في تكاليف العرس المادية والمعنوية، حيث يقوم أعضاء "العصر" بالإشراف على تنظيم الاحتفالات، وبالخدمة في العرس الذي يقيمه أحد أعضاء "العصر"[1].

وهكذا يوفر "العصر" كثيرا من الجهد على جماعة الحل والعقد، التي ينوبها ويتصرف في إطارها أو تحت شرعيتها، بما يتولى عنها من مهمات، وما يؤديه لها من خدمات، فضلا عن روح التنظيم والتراتبية التي يوفرها لها داخل جماعة الحل والعقد.

---

(1) هناك مظهر آخر من مظاهر عمل "الأعصار" يتجلى في الجانب الرياضي، كما يحدث في لعبة كرة المقلاة ("أحواص")، وصورتها أن يلعب "العصر" في منافسة "العصر" الذي يليه، فإن كانوا متعددين تقسموا بنفس الطريقة، كأن يكونوا ستة فيلعب "الأعصار": واحد وثلاثة وخمسة إلى جانب، و"الأعصار": اثنان وأربعة وستة إلى جانب، وتسمى "الأعصار" المساندة للمتنافسين الرئيسيين بالحسانية: "نصرية".

لكن المجتمع القبلي البيضاني لم يقتصر في أنساقه السياسية على ما ذكر، بل تجاوزها إلى أنساق أرقى كنسق الإمارة، وأيضا نسق الإمامة، وهما نسقان يطرح ظهورهما في المجتمعات الانقسامية عادة لدى الانتربولوجيين سؤالا مهما عن سبب وكيفية ظهورهما، لأن النظرية الانقسامية -وفق نموذجها التركيبي المتداول- تمنع من ظهورهما.

والسبب في ذلك يعود -بالنسبة لي- إلى أن المجتمع البيضاني، وإن كان لا يخرج عن طبيعة المجتمعات الانقسامية عموما، فإنه لا يمكن سحب كل نتائج النظريات التي وضعها فورتس وابريتشارد وتلامذتهما عن نماذج انقسامية أخرى من قبيل قبائل النوير[1] وبربر الأطلس[2] عليه، لتميز مجتمع البيضان بكثير من الخصائص والعوامل. وهذا ما تنبه إليه عبد الودود بن الشيخ، وأشار إليه في خاتمة أطروحته "البداوة والإسلام والسلطة السياسية في مجتمع البيضان قبل الاستعمار" التي بين خلالها بعض أوجه النقد الذي تعاني منه هذه النظرية بقوله:

«لقد تتبعنا بطريقة نقدية تاريخ النظرية [الانقسامية] التي ارتبطت بملاحظة هذه الظواهر القائمة على التناقض الداخلي والتي تسبب انفجار الوحدات الأصلية وتكوين وحدات جديدة مطابقة لنوع التنظيم القبلي، وبدأنا بـ(أميل دوركاييم)[3] الذي يبدو أن كتابه تقسيم العمل الاجتماعي هو أول نص اجتماعي جامع تعرض فيه للمجتمعات الانقسامية، وذلك قبل أن نتعرض للموضوع عند (إيفانس ابريتشارد)، ومن ثم عند تلميذهما المشترك (أرنست گلنير) الذي وسع منظورهما من خلال تحليل ودراسة مجتمع مشابه لمجتمع البيضان، وهو مجتمع بربر الأطلس. وقد قام تلميذ لگلنير بدوره

---

(1) قبائل النوير: جزء من شعوب وسط إفريقيا تعيش في منطقة النيل الأعلى عند الحدود السودانية – الزائيرية، قام بدراستها إيفانس ابريتشارد.

(2) بربر الأطلس قبائل مغربية قام بدراستها تلميذ بريتشارد: أرنست گلنير.

(3) أميل دوركاييم (1858/ 1917): فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، وجه اهتمامه إلى دراسة الجوانب الاجتماعية والخلقية لحياة الجماهير والجماعات، له نظرية معروفة في الدين، وأخرى في التماسك الاجتماعي، طور الأسلوب الوظيفي كثيرا. تأثر بآرائه جيل من الأنتروبولوجيين من بينهم رادكلف براون ومالينوفيسكي. ترك عدة مؤلفات.

(شارل استيوارت)[1] بتوسيع تصورات أستاذه في محاولة لتفسير النظام الاجتماعي والسياسي لمجتمع البيضان في فترة ما قبل الإستعمار. وبعد أن أوضحنا أن نظرية دوركايم في التناقض بين التضامن الحيوي والتضامن الميكانيكي (تخضع المجتمعات "الانقسامية" لقواعد التضامن الميكانيكي) تقوم على أسس بيولوجية تنقص إلى حد كبير من أهميتها، حاولنا أن نظهر حدود البناءات النظرية حول "الانقسامية" الموروثة عن إيفانس ابريتشارد، وذلك في مستوياتها الداخلية والخارجية. ويظهر الفحص المتأني لكتاب هذا الأخير حول "النوير" وجود بعض الصعوبات والضعف في البناءات النظرية، وخاصة فيما يتعلق ببحث ظاهرة الزواج من الأجنبيات، والعلاقات القائمة بين "الانقسامية" السياسية (الإقليمية) و"الانقسامية" السلالية[2].. ليخلص بعد دراسة مستفيضة إلى القول: «أو ليست أخطاء ورثة إيفانس ابريتشارد تكمن بالتحديد في محاولتهم تلك لدراسة مجتمعات متباينة بنفس الأساليب والمصطلحات لمجرد أنه توجد قبائل في كل الحالات[3]».

إن السؤال المطروح بخصوص النسق السياسي للمجتمع البيضاني هو كيف تم الانتقال من نسق القبيلة إلى نسق الإمارة أو الإمامة اللذين هما شكل من أشكال الدولة؟ هذا السؤال الذي لا تبدو النظرية الانقسامية مهيأة للجواب عنه، حيث تركز النظرية الانقسامية على الاهتمام بإبراز "النمو المتوازن" للمجموعات أكثر من اهتمامها بالتناقضات التي ربما تحصل خلال هذا النمو، إذ يحول هذا التوازن –وفق النظرية الانقسامية– دون بروز أية تمايزات من شأنها أن تؤدي إلى إعادة ترتيب ينتج عنه انبثاق سلطة سياسية مستقلة، وبهذا تكون المجتمعات الانقسامية تحمي نفسها فعلا ضد

(1) شارل استيوارت: باحث أمريكي معاصر مهتم بالمجتمع الموريتاني، قام بفهرسة مكتبة أهل الشيخ سيديا في بوتلميت، كما فهرس صحبة سيد أحمد بن أحمد سالم مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، وألف أيضا صحبته كتابا عن الأعلام الموريتانيين.

(2) عبد الودود بن الشيخ، البداوة والإسلام والسلطة في مجتمع البيضان قبل الاستعمار، مجلة الوسيط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، العدد1، 1987، ص7. ويشكل هذا النص فقرة من خاتمة أطروحته التي نال بها شهادة الدكتوراه 1985 من جامعة السوربون.

(3) المرجع نفسه ص7.

الدولة، ويجب البحث عن تفسير لهذا الانتقال في جوانب أوسع من تلك التي تركز عليها النظرية الانقسامية عادة، كما يرى عبد الودود بن الشيخ الذي يعتقد أنه تم بالنسبة للإمارة على مستوى مجتمع البيضان نتيجة لتداخل عوامل أربعة فيما بينها هي: العوامل الطبيعية والاقتصادية/ التجارة (الصحراوية- الأطلسية)/ القرابة/ الإسلام، مستعرضا في أطروحته هذه العوامل، ودورها في حدوث هذا الانتقال[1].

ويبدو لي أنه كان لارتباط المجتمع البيضاني العميق بالإسلام، وحيوية عصبيته القبلية الدور الأبرز في تطور الأنساق السياسية لقبائل البيضان، فمن جهة كانت الثقافة الدينية السائدة في هذه الصحراء التي تميزت بالبداوة العالمة قوية إلى درجة أن مشغل الحكم كان حاضرا -دون توقف- في نقاشات وممارسات أبنائها، وجماعاتها السياسية الأساسية التي ظلت دوما تبحث عن شرعية تتمسك بها، سواء كانت هذه الشرعية منبثقة عنها أو مستوردة من خارجها. ومن جهة كانت الجماعة السياسية الأساسية في المجتمع البدوي مكونة من القبيلة التي يكمن تعاونها في كون أعضائها متحدين بالقرابة الفعلية (رباط الدم) أو الوهمية (الحلف والولاء)، وهذا التعاون يرتكز على الدعم المتبادل بين أعضاء القبيلة، وهذه مع كونها تنقسم بسبب انقسامها المتدرج بين الأفخاذ والخيام «بيوتات مفترقة وعصبيات متعددة، فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها، وتلتحم جميع العصبيات فيها، وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى، وإلا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع[2]» مما يجعل أصحاب العصبية الأقوى -كما يقول ابن خلدون- يتحولون إلى أرستقراطية داخل القبيلة، نظرا إلى أن بروز أرستقراطية قبلية وتفوقها من شأنه حتما أن يقضي على المساواة داخل القبيلة.

وفي حين ترى النظرية الانقسامية أن التضامن القبلي يحول دون ظهور هذه الأرستقراطية وهيمنتها، عن طريق حصرها في إطار شكلي لا يؤثر على النمو المتوازن للقبيلة، فإن ابن خلدون يتصور أن المنافسة أو الحرب التي تخاض داخل القبيلة أو ضد

---

(1) المرجع نفسه ص7.

(2) ابن خلدون، المقدمة، مرجع سبق ذكره، ج1، ص 174.

القبائل الأخرى تمثل الوسيلة التي من خلالها تظهر وتهيمن بواسطة عصبيتها الخاصة بها هذه الأرستقراطية على مثيلاتها داخل القبيلة، لأن الصراع ضد الآخر يدفع تقاليد التضامن إلى الاستمرار، «ثم إذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها[1]»، فإذا تغلبت على أهل هذه العصبية واستتبعتها التحمت بها أيضا وزادت قوة في التغلب إلى قوتها[2]» مما يؤدي إلى توسيع قاعدة هذه القبيلة توسيعا سيكون من نتيجته توطيد الأرستقراطية في داخل القبيلة وهيمنتها، «وصاحب العصبية إذا بلغ رتبة طلب ما فوقها، فإذا بلغ رتبة السؤدد والأتباع ووجد السبيل إلى التغلب والقهر لا يتركه لأنه مطلوب للنفس، ولا يتم اقتدارها عليه إلا بالعصبية التي يكون بها متبوعا[3]».

وطبعا فإن الأرستقراطية حين توطد سلطتها في داخل القبيلة، وتبسطها على نظيراتها فإنها تتجه بذلك تدريجيا إلى تأسيس الإمارة التي هي شكل من أشكال الملك. هذا الملك الذي لا يمكن -كما يقول ابن خلدون- أن يقوم دون أساسين: الأول: «الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجند، والثاني: المال الذي هو قوام أولئك الجند، وإقامة ما يحتاج إليه الملك[4]». وفي نفس الوقت هذا الملك الذي هو نتيجة لتطور العصبية وغايتها هو عامل أساسي من عوامل نفي تلك العصبية وإضعافها، وذلك لا يقوم الملك إلا بعد نجاح صاحب العصبية في التخلص من عصبيته بعد تجاوزها الطورين الأولين من الأطوار الخمسة التي يقرر ابن خلدون أن الملك يمر بها في دورته الطبيعية، «فالطور الأول هو طور الظفر بالبغية وغلب المدافع والممانع والاستيلاء على الملك وانتزاعه[5]»، حيث إن انتصار الأرستقراطية القبلية ينتج باغتناء القبيلة المسيطرة بواسطة جباية الضرائب (مغارم، رسوم، إتاوات) والسيطرة على الطرق التجارية، ولا ينفرد زعيم الأرستقراطية -الذي هو يومئذ سيد

---

(1) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(2) المرجع نفسه، ص174-175.

(3) المرجع نفسه، ص174.

(4) المرجع نفسه، ص363.

(5) المرجع نفسه، ص219-220.

القبيلة- بشيء «لأن ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بحالها[1]»، أي أن الأرستقراطية لم تقطع بعد الجسور مع القبيلة.

أما الطور الثاني فيكون بدخول الأرستقراطية في تناقض مع قبيلتها بسبب السعي إلى احتكار السلطة، والاستئثار بها، والانفراد بمنافعها، بحيث يقوم صاحب السلطة «بالاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة فيه[2]». وفي هذه المرحلة يكون الشقاق بين الملك والعصبية القبلية قد وقع، فيسود صاحب الدولة وحده ويمارس سلطته تامة على كل القبيلة، والقبائل التي من ورائها، بفضل اتساع قاعدة الضرائب والتجارة، حيث تحل الثروة -كما سيذكره ابن خلدون في الطور الثالث- محل العصبية كوسيلة للحكم[3].

وكما حدث مع الإمارة لا يختلف الأمر بالنسبة للإمامة كثيرا، إلا أن مبنى الملك هذه المرة يزداد بالتعاون الديني إضافة إلى العصبية القبلية، وهذا العامل الأخير نتحسسه جليا -كما ذكر ابن خلدون- في قيام دولة المرابطين التي كانت دولة عصبية «إلا أن الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة فلم

---

(1) المرجع نفسه، ص220.

(2) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها. ويحصل الطور الثالث لدى ابن خلدون بدخول صاحب السلطة في «الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك، مما تنزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت، فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج وإحصاء النفقات والقصد فيها وتشييد المباني الحافلة.. مع التوسعة على صنائعه وحاشيته». ثم الطور الرابع وهو «طور القنوع والمسالمة، ويكون صاحب الدولة في هذا الطور قانعا بما بنى أولوه، سلما لأنظاره من الملوك وأقتاله، مقلدا للماضين من سلفه». وأخيرا الطور الخامس وهو «طور الإسراف والتبذير، ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفا لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ، والكرم على بطانته وفي مجالسه، واصطناع أخدان السوء وخضراء الدمن، وتقليدهم عظيمات الأمور التي لا يستقلون بحملها، ولا يعرفون ما يأتون ويذرون منها، مستفسدا لكبار الأولياء من قومه، وصنائع سلفه حتى يضطغنوا عليه ويتخاذلوا عن نصرته، مضيعا من جنده بما أنفق من أعطياتهم في شهواته، وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقده، فيكون مخربا لما كان سلفه يؤسسون، وهادما لما كانوا يبنون. وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه، ولا يكون لها معه برء إلى أن تنقرض» (ابن خلدون، المقدمة ص219-221).

يقف لهم شيء»(1). كما أنه بفضل الاجتماع الديني تضاعفت قوة عصبية حركة الإمام ناصر الدين(2) التي أجهضت حرب شربيه نسقها بسبب انقسام الزوايا وتخاذلهم وعدم خبرتهم العسكرية، بعد أن تركت هذه الحركة أثرها القوي على ممالك السودان المجاورة التي استفادت من تجربتها في إنتاج عدة نماذج إمامية ناجحة.

ورغم إجهاض النسق الإمامي لحركة الإمام ناصر الدين، وهيمنة النسق الأميري في البلاد بعد حرب شربيه، فقد ظلت تنبثق إلى ما قبل مقدم الاستعمار بفترة وجيزة، من هنا وهناك أصوات تطالب بالنسق الإمامي عن طريق الدعوة إلى نصب الإمام(3)، في تعبير منها عن حنينها المستمر إلى نسق سلطة إمامي يواكب النسق الأميري أو يحل محله.

وكثيرا ما ربطت هذه الأصوات فكرة الإمامة بالجهاد مما جعل أصواتا أخرى تعارضها(4)، ربما خشية أن يتكرر سيناريو شربيه، باسطة رداء الشرعية على السلطة الزمنية الممثلة في الإمارة. بل إن أصحاب الدعوة إلى الإمامة أنفسهم، ظلوا في نفس الوقت معترفين بشرعية الأمراء الزمنيين، وكان بعضهم قضاة لهم ومستشارين وزعماء روحيين، فيما يشبه حالة من التناقض أملاها الحرص على عدم التفريط في الوضع القائم، والخوف من مزيد من السيبة يمكن أن يؤدي إليه الخروج على هؤلاء الأمراء.

وهكذا يمكن القول بأن الدعوة إلى الإمامة في المجتمع البيضاني لم تصل منذ

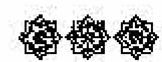
(1) المرجع نفسه، ص198-199.

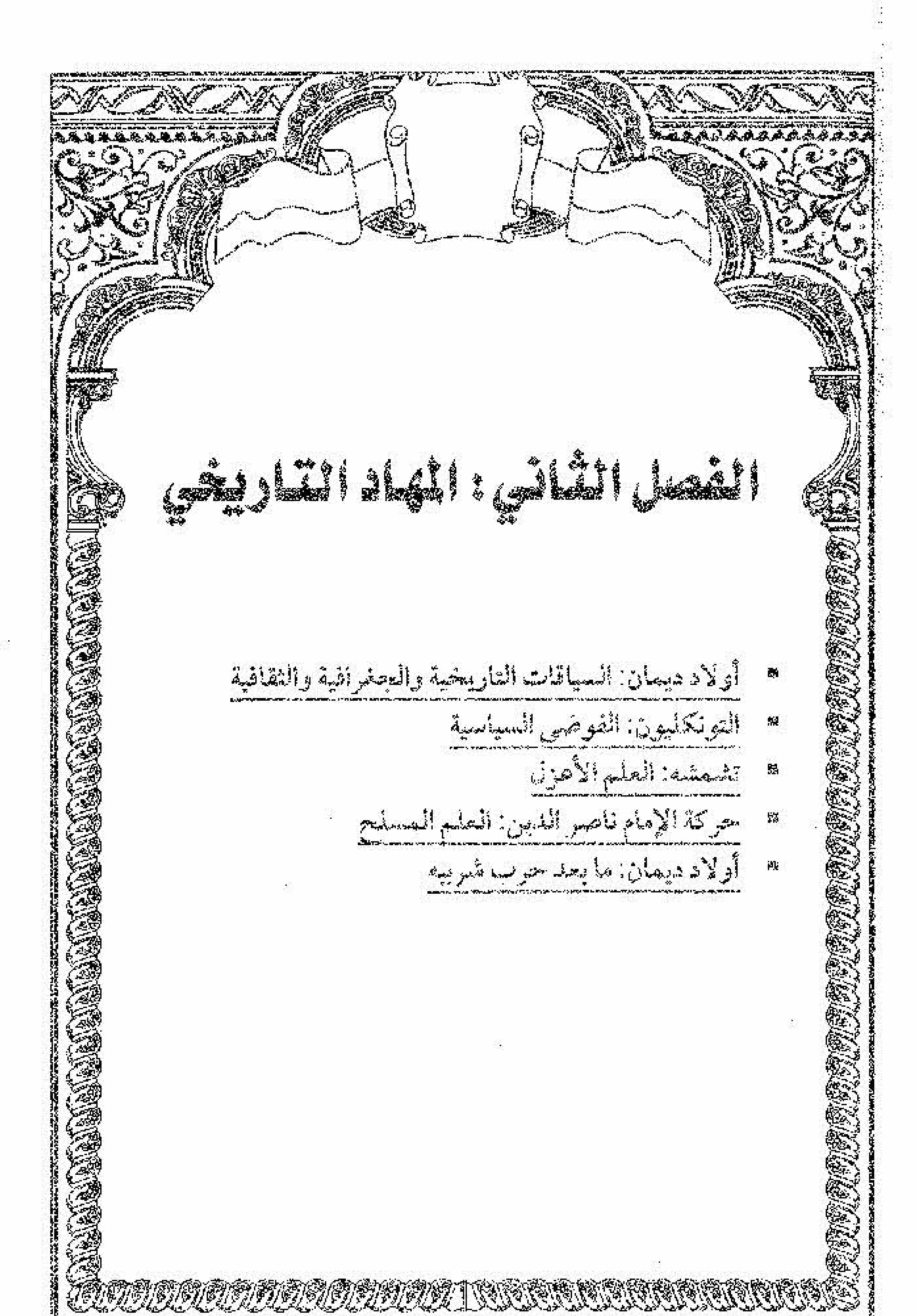
(2) الإمام ناصر الدين: هو أوبك (=أبو بكر) بن أبهم (=أبي أحمد) الديماني الأبهمي عالم وصالح، إمام الزوايا وقائدهم في حرب شربيه بينهم وبين بني حسان، توفي بيوم ترتلاس (أحد أيام هذه الحرب) سنة 1084هـ/ 1673م. راجع فصل المهاد التاريخي من هذه الكتاب.

(3) كانت هناك دعوات عديدة، منها على سبيل المثال دعوة محنض بابه بن اعبيد، والشيخ محمد الفامي، ودعوة جماعة إيجيجبه التي حاولت تنصيب إمام 1834م/ 1250هـ إلا أن مشروعها لم ينجح.

(4) من هؤلاء العلماء مثلا الشيخ سيديا الذي ألف رسالة من 50 صفحة في الإمامة والحسبة وبعث بها إلى جماعة إيجيجبه يحثهم فيها على ترك فكرتهم التي كانوا يريدون إنفاذها.

انهيار مشروع حركة الإمام ناصر الدين إلى مستوى يؤهلها لمنافسة العصبية الأرستقراطية داخل قبائل أصحاب الدعوة إليها، أحرى أن تصل إلى مستوى يمكنها من منافسة الإمارة وعصبيتها الأرستقراطية، بل لم تتجاوز هذه الدعوة مستوى التعبير الواعي عن طموح ديني أو اجتماعي مكبوت. لقد كانت في الواقع أقرب إلى استحضار مجد ماض منها إلى الدعوة لإقامة مجد مستقبلي.





الفصل الثاني: المهاد التاريخي

- أولاد ديمان: السياقات التاريخية والجغرافية والثقافية
- التونكاليون: الفوضى السياسية
- تشمشة: العلم الأعزل
- حركة الإمام ناصر الدين: العلم المسلح
- أولاد ديمان: ما بعد حرب شرببه



أولاد ديمان: السياقات التاريخية والجغرافية والثقافية

«ديمان الذي سميت به القبيلة هو حسب ما في شجرة النسب المحفوظة بن يعقوب بن أشفغ موسى بن مهنض أمغر بن عامر إنلل[1] بن علي بن يحيى بن علي التونكلي بن يحيى بن بيه بن مغمبه بن أبي بكر يحيى بن سانيب بن إبراهيم بن أبي بكر بن موسى بن عيسى المتوفي بن عبد الله بن عمر بن يحيى بن سعيد بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق».

المختار بن حامدن(2)

هذه هي السلسلة التي نقلها مؤرخو ونسابة أولاد ديمان وعلماؤهم بصيغ متقاربة، ساقها عبد الله بن امين في كتابه "عقود الجمان في بعض أنساب بعض بني ديمان" على النحو التالي: «امهنض أمغر بن عامر إنلل[3] بن علي التونكلي بن محمدن بن يحيى بن علي بن بيه بن مغمبه بن أبي بكر بن يحيى بن سانيب بن إبراهيم بن أبي بكر بن موسى بن عيسى المتوفي بن عبد الله بن عمر بن يحيى بن سعيد بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ». مضيفا: «هكذا وجد بخط عبد الرحمن بن أحمد بن محنض بابه بن اعبيد[4]، ونقل من خط اسليمان بن أحمد سالم بن محنض أشفغ بن الفالي بن باركلل[5]، والمختار حي بن عبد الله بن شدك بن

---

(1) ورد في المطبوع: عامريل وهو خطأ، والصواب عامر إنلل كما هو مذكور في نظم محنض بابه بن امين الديماني الباركللي لنسب أولاد ديمان. ومعنى عامر إنلل عامر عبد الله.

(2) المختار بن حامدن، حياة موريتانيا، جزء أولاد ديمان، مرقون، ص30. وقد سقط منه: علي بن يحيى قبل علي التونكلي، ويحيى قبل سانيب، وعبد الله قبل عمر بن يحيى.

(3) ورد في الأصل: عامريل، والتصويب من نظم محنض بابه بن امين لنسب أولاد ديمان كما تقدم.

(4) عبد الرحمن بن أحمد بن محنض بابه بن اعبيد الديماني الباركللي: الورع العالم العابد ت1356هـ (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، 287).

(5) اسليمان بن أحمد سالم بن محنض أشفغ الديماني الباركللي: عالم عامل، سيد همام، منفق، كثير المنافع والمحاسن. (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص179).

يعقوب بن باركلل[1]: عامر إدلل[2] بن علي بن يحيى بن علي بن يحيى بن بيه... إلخ؛ وقد حذف فيه أبو بكر الأخير، وعبد الله الأول، وفيه سالم بن إدريس بدل سعيد بن إدريس. وفي نظم أحمد بن المختار بن محمذن بن أغلميت بن محمذن بن الفالي بن بابحمد[3]: عامر إدلل[4] بن علي بن يحيى بن محمذن بن علي بن بيه، وقد حذف في النظم ما بين أبي بكر الأول وموسى، وما بين عبد الله الأول وعبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ. وفي مكتوب الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان بن أحمد سالم[5] المطبوع مع "كتاب الأنساب" لوالد بن خالنا[6]، و"شيم الزوايا"، و"مناقب الإمام ناصر الدين" للشيخ محمد اليدالي[7]: سعيد بن إدريس مثلما نقل عن عبد الرحمن بن أحمد بن محنض بابه، وقد حذف فيه أيضا عبد الله الأول[8]».

وأورد ابن حامدن أنه «روي عن العالم الثقة انبد بن محمذن بن أشفغ عبد الله[9]

---

(1) المختار عمي بن عبد الله بن شدك الديماني الباركللي: عالم جليل (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص 164).

(2) ورد في الأصل: عامريل، والتصويب من نظم محنض بابه بن امين لنسب أولاد ديمان كما تقدم.

(3) أحمد بن المختار بن محمذن بن أغلميت الديماني البابحمدي: عالم نظامة نسابة (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص 151).

(4) ورد في الأصل: عامريل، والتصويب من نظم محنض بابه بن امين لنسب أولاد ديمان كما تقدم.

(5) الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان الديماني الباركللي: عالم صوفي رئيس شاعر مؤلف، ت 1339هـ. (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص 183).

(6) والد بن خالنا الديماني الأبهمي: العالم المؤرخ الصوفي المؤلف الشاعر ذو الإخبارات المشهورة، اشتهر بالعلم والصلاح والكشف الباهر (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص 402).

(7) محمد بن المختار بن محمد سعيد اليدالي: ولد سنة (1096هـ / 1685م) أحد أبرز علماء وشعراء القطر، له عدة تآليف، أشهرها تفسيره للقرآن الكريم: "الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز"، وله في تاريخ وأخبار أهل البلاد: "شيم الزوايا"، و"أمر الولي ناصر الدين"، و"رسالة النصيحة". نشرت ثلاثتها بتحقيق محمذن بن باباه في كتاب تحت عنوان: الشيخ محمد اليدالي، نصوص من التاريخ الموريتاني، سنة 1990.

(8) عبد الله بن امين، عقود الجمان في أنساب بعض بني ديمان، مخطوط، القسم الأول، ص 36-37.

(9) انبد بن محمذن بن أشفغ عبد الله الديماني الأبهمي: عالم خطاط، هو أول من أدخل القاموس محلة بني ديمان (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص 392).

وناصر الدين ومحمد اليدالي وغيرهم أن عليا التونكلي من ذرية عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وأن ناصر الدين لما بايعته الزوايا على أنه إمام أعظم، قيل: فأين انتسابه لقريش؟ فحلف بالله لنحن من قريش، مع مسائل حلف عليهما، وكان قليل الحلف[1]».

وقال ابن باباه: «وقد ورد أول ذكر لنسب أولاد ديمان إلى الخليفة أبي بكر الصديق في وثيقة بخط محمد الكريم بن الكوري بن سيدي الفاللي[2] موثقة في مكتبة أهل البراء بن بگي[3]، وقال بهذا النسب خيليد بن متليه[4] وأشفغ عبد الله[5] وأحمدو بن زياد[6] ثم محمذن بن أحمد بن العاقل[7]».

---

(1) ابن حامدن، حياة موريتانيا، جزء أولاد ديمان، مرجع سبق ذكره، ص28.

(2) محمد الكريم بن الكوري بن سيدي الفاللي الديماني: اشتهر بالعلم والرئاسة والكرم، وكان رئيس تشمشه في المحافل العامة، تخرج من مدرسة الفقيه مينحنه هو وزميلاه ابن رازگه ومحمد اليدالي. توفي في حدود 1151هـ/ 1738م.

(3) البراء بن بگي الديماني الفاضلي: العلامة القاضي الشاعر المؤلف، ت1336هـ (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص51).

(4) خيليد (=مولود) بن متليه الديماني الفاضلي: عالم صالح، له كرامات عجيبة. (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص54).

(5) أشفغ عبد الله بن أعمر الديماني الأبهمي: فقيه تشمشه الشهير، العلامة القارئ الحجة في رسم المصحف، وأحد أشياخ محمد اليدالي (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص58).

(6) أحمدو بن زياد الديماني الأبهمي: العلامة القاضي المفتي المدرس المؤلف. ت1322هـ (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص394).

(7) محمذن بن باباه، تاشمش ودورها السياسي والثقافي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 2017م، ص26. وهو محمذن بن أحمد بن العاقل الديماني الأبهمي: العلامة البركة الشاعر الأديب المؤلف ذو الكرامات والأحوال. ت1281هـ (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص377). ولمحمذن هذا:

قف بدور حول المسايخ أقوت ... وبربع حول الأديخس عاف

إن ديمان إن تأملت تيمـ ... ـمنا قاله المجيد كاف

لا تضاف الخصال إلا إليهم ... ونعمي بدأبهم من عفاف

ويقال بهذا النسب إلى أبي بكر الصديق أيضا عبد الله بن أحمد بن محمد الباقر الديماني[1]، وعبد الله بن محنض بابه بن اعبيد الديماني[2]، وبابكر بن احجاب

أهل علم وسؤدد وفخار   والدفاع لجارهم والمضاف

تسوري بمعالي السماء بأيد   لنساهم تميم وعبد مناف

لا تفاضل ولا تفاخر قريشا   فعليهم نسج المهيمن ضاف

شيم عمرت الليالي عليها   والليالي قليلة الإنصاف.

(1) عبد الله بن أحمد بن محمد الباقر الديماني الفاضلي: كان شاعرا، ت1321هـ. (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص71). من شعره:

تهوي عقائل من ديمان يرفعها إلى   بواذخ الخمس من راس إلى راس

لبضعة خير الخلق فاطمة   شمس الخلائق من أفاضل الناس.

(2) عبد الله بن محنض بابه بن اعبيد الديماني الباركللي: عالم ورع صالح، صحيح الكشف. ت1310هـ. (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص252). له:

عجبت والدهر كثير العجب   من امرئ يفخر لا بالأدب

إن ينتمي ديمان خير الورى   شمائلا وليس ذا بالكذب

لم يسلك في الآفاق من مثلهم   في عجم كلا ولا في عرب

ومن يقل: في الناس أمثالهم   فالصفر قد شبهه بالذهب

هم الرؤوس في الهدى والتقى   وغيرهم وراءهم كالذنب

لا أدعي حصر الهدى فيهمُ   لكنما التخصيص أمر عجيب

من يسر الله له رشده   يناله دون العنا والتعب

نورهمُ يغنيك عن علمهم   وعلمهم يغني عن اخذ الكتب

أخلاقهم توجد في جارهم   وكل من قارنهم بالنسب

وليس طالب الهدى فيهمُ   مثل الذي في غيرهم قد طلب

يمتاز من إخوانه بينهم   بالدين واللين ونيل الأرب

سيماهمُ تلقهم في وجهه   كالنار يبدو ضوؤها في الحطب

حبهمُ علامة للهدى   وبغضهمْ ذريعة للعطب

أبو الخير صاحب المصطفى   جدهمُ أكرم بذاك النسب

أخلاقهم تنبئ عن ذلكم   سلالة الخير صميم العصب.

الديماني[1]، واحماده بن محمدو بن أبا الديماني[2].

لكن هذه الروايات تحتاج إلى التوفيق بينها وبين روايات أخرى تشير إلى العلاقة الوثيقة بين أصول أولاد ديمان ولمتونة، نجد صداها لدى محمد اليدالي الذي قال في كتابه "أمر الولي ناصر الدين": «ورهط ناصر الدين قيل إنه من لمتونة[3]»، ونقل عن المحجوب الجكني[4] في نفس الكتاب تعريفه لناصر الدين بأنه «من عرب النقاب[5]» الذين هم من لمتونة. كما نجد صداها لدى ناصر الدين نفسه الذي قال فيما نقله عنه محمد اليدالي في نفس الكتاب أيضا: «**لا يصلي بالتلثم إلا الملتونيون، أو قال: المرابطون، شكا من الراوي[6]** يعني نفسه ورهطه. كما نجده لدى بابه بن الشيخ سيديا[7] الذي قال في كتابه "إمارتا مشظوف وإيدوعيش": «**وفي شرح الشيخ محمد بن سعيد اليدالي رحمه الله لقصيدته التي مدح بها النبي ﷺ التي أولها "صلاة ربي مع السلام على حبيبي خير الأنام" أن رهط ناصر الدين متصل بنسب إيدابيهم المتصل بأولاد ديمان، وكانوا جميعا من لمتونة، كما بلغني أن بعض أكابر**

---

(1) بابكر بن احجاب الديماني القاضلي: عالم جليل له تصانيف عديدة أغلبها في السيرة والتاريخ، ولد 1222هـ/ 1807م، وتوفي 1322هـ/ 1904م، قال:

فمن قريش هؤلاء النفر ديسال بعقوب مهنض أمغر
وهكذا ابهنضام أيضا نُسبا لجعفر الطيار منهم نَسبا.

(2) احماده بن محمدو بن محمذن الملقب أبا (بضم الهمزة وتشديد الباء المفخمة) الديماني الأبهمي: من رجال الخير والحلم والصلاح. (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص387).

(3) محمذن بن باباه، الشيخ محمد اليدالي، نصوص من التاريخ الموريتاني، بيت الحكمة، تونس، 1990، ص139.

(4) سيدي المحجوب بن حبيب الجكني: شخصية علمية ودينية وسياسية جكنية كبيرة، بنى لتجكانت كيانا بعد تفرقهم من تنيگي، وجمع كلمتهم على محاربة العروسيين في تگيه. ت1106هـ على ما قال ابن رازگه. (ابن حامدن، جزء تجكانت، مرقون، ص233). وقيل توفي (1102هـ/ 1690م) على المعتمد. (ابن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، ص137، الهامش 99).

(5) المرجع نفسه، ص137.

(6) المرجع نفسه، ص138.

(7) بابه (=الشيخ سيديا) بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا الأبييري: علامة مجدد، وشاعر ومؤرخ، كان له دور علمي وسياسي كبير في عصره في البلاد. توفي 1924.

أولاد ديمان يقول إنهم من لمتونة[1]».

ويبدو أن هذا الانتماء إلى لمتونة قد ظل معلوما لدى أولاد ديمان إلى ما بعد عهد شرببه، حيث وجدت فتوى بخط مولود (خليل) بن متيلي بن سيدي الفاللي بن مختار بن ديمان وقعها بـ: «وكتب مولود بن متيلي اللمتوني[2]». كما وجدت لدى بعض أبناء يحيى التونكلي (عم جد ديمان) رواية تنسبهم إلى أحد إخوة يوسف بن تاشفين اللمتوني، وقفت عليها مخطوطة.

وتعطي إحدى الروايات الشفهية لانتماء أولاد ديمان إلى لمتونة معنى أخص، حيث تذكر أن أولاد ديمان كانوا عتقاء للمتونة[3].

وتفسيرا لهذه الروايات، يقول المختار بن حامدن في موسوعته "حياة موريتانيا": «وأما القول بأنهم من لمتونة فقيل إن أصله أن جدا لهم سكن لمتونة فنسب إليهم، ولعله عيسى اللمتوني المذكور في نسبهم[4]» مضيفا أن: «محمد اليدالي حكى انتسابهم إلى لمتونة على وجه التضعيف[5]». ويقول سيدي أحمد بن أسمه[6]: «لا شك أن أجداد بني ديمان كانوا من لمتونة بالوطن والعصب، وذلك هو سبب نسبة

---

(1) بابه بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، دراسة في التاريخ السياسي الموريتاني، دراسة وتحقيق إزيد بيه بن محمد محمود، ط2، المعهد التربوي الوطني – شركة الكتب الإسلامية، 1994م، ص180.

(2) ابن باباه، تاشمش ودورها السياسي والثقافي، مرجع سبق ذكره، ص27، الهامش 27.

(3) إلى هذه الرواية يشير ابن حامدن في شعره بقوله:

برسوت نفيسي إن برسوت لمتونه ... ووالدي وديمانسا فمن دونه

فإننا أينما سار المطلبي بنا ... أبناء لمتونه أو أحلاف لمتونه.

كما يشير إليها بيها بن أحمد العاقل في جوابه لبابه بن الشيخ سيديا عن أصل أولاد ديمان فقال له: إنه كان يسمع أن ديمان عتيق للمتونه قتله الرقص على شاطئ البحر، ويصدقها عندي حب من أدركت منهم للسماع. وقصة ديمان مع الرقص مما يتكئ به أولاد ديمان للدفاع عن حبهم للسماع مع أنه ليس لها أصل كما قال ابن أسمه في ذات ألواح ودسر (ص37).

(4) ابن حامدن، حياة موريتانيا، جزء أولاد ديمان، مرجع سبق ذكره، ص28.

(5) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(6) سيدي أحمد بن أسمه الديماني البابحمدي: العالم الورع المؤلف، ت 1392هـ. (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص112).

عيسى إليهم[1]». ويذكر محنض بابه بن امين في نظمه لبنات أشفغ أويك[2] الذي أورد في آخره نسبهم أن عيسى بن عبد الله بن عمر بن يحيى بن سعيد البكري المشهور بعيسى اللمتوني جاور لمتونة سنين كان يقرئ لهم فيها أولادهم، فأوهدوه جارية أصبحت أم بعض أولاده[3]، فكانت على هذا أمومة هذه الجارية اللمتونية

---

(1) سيدي أحمد بن أسمه، ذات ألواح ودسر، مخطوطة ص36.

(2) أشفغ أويك: هو أشفغ أويك بن أشفغ مكر بن أشفغ يمخدس بن الحاج أحمد العباسي التمكلاوي. كان صالحا مشهورا مقرئا فاضلا، تزوج بأعشذن (=عائشة) بنت يعقوب إظل بن ديمان، فكان أولاد ديمان أخوال أبنائه، فلذلك تعصبوا معهم قديما. وبناته الأربع المشهورات بالصلاح هن اللواتي نظم محنض بابه بن امين في نظمه المذكور ومطلعه:

ثبـــــت بالبينــــــة المثبتــــــة   صلاح أجداد تشمشه الخمسة

فاتوســـل بهــــمُ لـــذي الجـــلال   إن لصلاح الصـــال رسمت والمسآل

وكان امحمد بن أحمد يوره قد ذكرهن في لاميته المشهورة التي مطلعها:

صبح بـالكبير أبـي الكـرام الكمـل   وأبـي البنـات وعـن حـرز المنـزل

أنعمــن كـل مجاهـد ومشاهـد   سـر الغيـوب وكـل فـاض أنبـل

وهن: فاطمذن، وهينيا، وحنان، وتغوس، ففاطمذن أم خالنا وحوبك ويابل وأحمد أبناء الغالي بن المختار أكد عثمان الأبهمي، وهينيا أم بوالماح (=أبو الماحي) بن متيليه بن سيدي الغالي، وأويك (=ناصر الدين) والمختار (=منير الدين) وحمينا (=محمد) أبناء أشفغ ابهنض بن يعقوب أكدام (=أبويك) الأبهمي، وحنان أم المختار بن أشفغ موسى اليعقوبي، ومحنض الغالي بن أحمد دوله بن المختار اليدامي اليعقوبي، وتغوس أم حبيب الله بن المختار الألفغي.

(3) قال محنض بابه بن امين الديماني الباركللي في نظمه المذكور:

هــــذا وأبنـــاء مهـــنض أمهـــم   جـد جـدود ناصـر الـدين السـري

إلــى متليفــة النبـهي ينتهــي   ن في الــذي قــال الإمــام وهــمُ

صـام التسـلسل بـن علـي ويلـي   ذلــك يحيـى ويلـي ذاك علـي

وقيـر هـذا أمـة تـدعى بتونـس   كـبح ولا ينفـي الحلا اسوداد لـون

وهـو ابـن يحيى نجـل يبّه وأبـي   يبّـه بهيبـة لـه قـد لقبـوا

ثـم يلـي ذاك أبـو بكـر سـليل   يحيى النبيـل نجـل صـاحب النبيـل

وذا ابـن إبـراهيم وهـو ابـن أبـي   بكر بن موسى نجل عيسى المنتجب

وهـو الـذي جـاور لمتونـة سـنين   أقـرأ فيهـا عـدة مـن البنيـن

لأولاد عيسى اللمتوني هي الأصل في تسمية ذرية عيسى اللمتوني (أجداد أولاد ديمان) بعتقاء لمتونة.

مع أنه لا مانع من أن يكون أصل تسمية العتقاء مأخوذا من القصة التي ذكر البدالي، وفيها «أن زمان أولاد رزگ جاء أوديكه الاكرع الامباركي إلى تشمشه، وقال لهم: من أنتم؟ فقالوا له: نحن المعتقون. قال لهم: لا معتق اليوم، ثم طلب منهم المغرم، فأعطوه حلقة، وترك عندهم رمحه دليلا على أنهم عقره. ثم أتاهم أحمد بن دامان فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن المعتقون، فقال لهم: كل من أعتقته أولاد رزگ فنحن نعتقه، ولكن ارحلوا نحو الساحل لئلا يمر بكم أوديكه الاكرع فيسومكم بما لا تقبلون، وهو لم يعلم بمروره بهم، ولا أخبروه بما أعطوه، ثم رحلوا نحو الساحل[1]»، فيكون المراد بعتقاء لمتونة العتقاء من أداء المغرم، وتناست الذاكرة الجمعية مع الزمن قصة هذا العتق فعوضت مدلوله السياسي بمدلول العتق الاجتماعي المعروف لديها.

وديمان الذي تنتسب إليه القبيلة اسمه المختار، وديمان لقبه، وهو ديمان الأصغر، أما ديمان الأكبر فهو جده مهنض أمغر، الذي يرجع إليه أكثر فروع القبيلة، حيث إن لفظ بني ديمان يطلق إطلاقات مختلفة كما قال المختار بن حامدن، فقد «يطلق لفظ بني ديمان على كل من أولاد مهنض أمغر وبني يبداي، ومن معهم من بطون تشمشه، كما يطلق لفظ ذوي يعقوب على بني أبهنضام ومن كان معهم ناحية، وقد يطلق لفظ بني ديمان فيراد به بنو مهنض أمغر وسائر التوبكليين دون غيرهم؛

وأهملت لمه هنالك جاريه   عقيقة من اليعسوب عاريه

وقيل إنهما لسيدي وفد   أم ولا يقدح ذاك معتمده

وهو ابن عابد الإله بن عمر   سليل يحيى بن سعيد الأغر

وذا ابن إدريس وإدريس بن عبـ   ـد الإله التابعي فاسمعا

وأبوا ذا صاحب العدناني   محمد بن عابد الرحمن

وذان نجلا أفضل الصحب أبي   بكر بن عثمان خليفة النبي

صلى وسلم عليه وعلى   أصحابه رب السماوات العلى.

(1) ابن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص82-83.

فالإطلاق الأول نظرا إلى اتحاد البيئة والشيم والأخلاق، والثاني نظرا إلى تفريع شجرة النسب[1]، فإطلاقه الأوسع كان يشمل أولاد ديمان وبعض من شاركهم إيكيدي من قبائل تشمشه نظرا لاشتراكهم في الوطن واتحادهم في الشيم والأخلاق، وهناك إطلاق أضيق من ذلك يراد به أولاد ديمان وإيدوداي نظرا لأنه كانت "بين القبيلتين علاقة متميزة، تنفردان بها عن مكونات الحلف الشمشوي الأخرى[2]"، وإطلاق أضيق من ذلك يراد به التونكليون أو التونكليون ومن تعصب معهم من الأسر والبطون.

والتونكليون هم أولاد علي التونكلي -جد مهنض أمغر الرابع- وأولاد أخيه لأم وابن عمه يحيى التونكلي الذين تعصبت أكثر بقيتهم مع ذرية أولاد مهنض أمغر.

وأولاد مهنض أمغر كما قال ابن أسمه: «خمسة: الأول: موسى وله ابنان: يعقوب وأبو موسى، ولد يعقوب يديمان، وولد أبو موسى خير من لبي الذي ورثه أبو ميجة بالقعدية[3]. والثاني: ابهنض [=أبو أحمد يحيى] وهو جد إيدابهم. والثالث: أوبك [=أبو بكر] وهو جد آل أبا الصالح بتنوين الباء، وهم قبيلة قد انقرضت، ومنهم القاضي عثمان.. والرابع: أشفغ أبياي [=أبو علي] جد أهل أگد الحسن (=أكد الحسن)، والخامس: يدهنض جد إيديقبهض[4]».

---

(1) ابن حامدن، حياة موريتانيا، جزء أولاد ديمان، مرجع سبق ذكره، ص27.

(2) محمد اليدالي، الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق الراجل بن أحمد سالم اليدالي، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 2014م، المجلد 1، مقدمة التحقيق، ص32. وأضاف المحقق: "ويرجع [محمد] اليدالي هذه العلاقة إلى أسباب تاريخية فيقول: "لما قدم النفر الخمسة الذين هم أجداد تشمشه على قبيلة المجلس المعروفة الآن بمدلش، تزوج أشفغ مهنض أمغر، وهو جد أولاد ديمان امرأة منهم، ثم تزوج بداج وهو جد إيدوداي بنت مهنض أمغر، وقيل تزوج شقيقة زوجته، فكانا يدا واحدة دون سائر تشمشه". وقد عززت هذا العامل التاريخي عوامل أخرى منها اتحاد العادات والأخلاق والتعايش في السراء والضراء إلى حد امتزجت معه القبيلتان، وصارتا قبيلة واحدة، وغلب عليهما اسم أولاد ديمان". (الذهب الإبريز، مقدمة المحقق، ص32-33).

(3) يشير إلى أن أبا موسى هذا انقطع عقبه، فآل ميراث آخر نسله وهي خير من لبي إلى بوميجه بن يعقوب إنل بن ديمان بالقعدية.

(4) ابن أسمه، ذات ألواح ودسر، مرجع سبق ذكره، ص36.

وقال عبد الله بن امين: «مهنض أمغر بن عامر إنلل[1] له من امرأة من إيد كشكلك [بطن من المدلش]. أشفغ محمد [=الفقيه موسى] وهو أكبر أبنائه. وله من أخت بابياج [=ديمان] يعقوب جد إيدابشفغ -كما لوالد-، أو بنته أو مجلسية -كما لمحمد اليدالي-: أشفغ أوبك ولم يبق له عقب، وأشفغ يدمهنض كمُّ [=الصغير]، وهو أصغرهم، وأشفغ أبياج [=أبياي] يعقوب، وأشفغ ابهنض [=أبهم] يحيى. فأشفغ محمد بن مهنض أمغر له من فاظمان [=فاطمة] بنت مهنض بن يدر بجاميج: أبو موسى ولم يذكر له عقب، ويعقوب. ويعقوب بن أشفغ محمد له من تفنمست بنت بويكلد بن يدمحمد أحد الخمسة: أبو موسى ديمان (=ديمان) دفين تنيجكه بين تفنجه وانيراگه، وابنة عمران[2]».

وقال ابن حامدن: «وأما مهنض أمغر بن عامر إنلل[3] فأولاده خمسة: أشفغ موسى [جد أولاد ديمان]، وهو أكبرهم، وأشفغ ابهنض جد إيدابهم، وأشفغ أبياي جد أهل أكد الحسن (= أكد الحسن)، وأشفغ أوبك وانقطع، وأشفغ يدمهنض جد إيديشفهنض[4]».

أما أولاد ديمان فثلاثة: «الأول: أحمد وهو أبو محنض الملقب بصاحب الرسول. الثاني: محنض وهو جد أولاد سيدي الفالي وأهل بدي، وهم أولاد عبد الله بن محنض بن يعقوب [=ديمان]. الثالث: يعقوب إنلل، وهو أبو هذه الأفخاذ الثلاثة المسماة أولاد يعقوب إنلل[5]».

وكان ديمان هذا وذريته وسائر ذرية مهنض أمغر قبل وإبان تكون قبيلتهم أولاد ديمان وتميزهم باسمهم الخاص بهم جزءا من أسلافهم التونكليين الذين ينتمون إليهم من جهة النسب، وجزءا من لمتونة التي ينتمون إليها بالوطن والعصب، وجزءا من تشمشه التي انتموا إليها بالحلف، بعدما آوى آباء تشمشه الذين مهنض أمغر

(1) ورد في الأصل: عامريل، والتصويب من نظم محنض بابه بن امين لنسب أولاد ديمان كما تقدم.

(2) ابن امين، عقود الجمان، مرجع سبق ذكره، ص58.

(3) ورد في الأصل: عامريل، والتصويب من نظم محنض بابه بن امين لنسب أولاد ديمان كما تقدم.

(4) ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، مرجع سبق ذكره، ص22.

(5) ابن أسمه، ذات ألواح ودسر، مرجع سبق ذكره، ص37.

(ديمان الأكبر) واحد منهم إلى قبيلة المدلش، حيث ستبدأ مرحلة جديدة من مراحل النشأة الديمانية لعبت فيها جملة من السياقات التاريخية والجغرافية والثقافية دورا أساسيا نستعرضه فيما يلي:

أ- السياق التاريخي:

تشير المعلومات التاريخية المتوفرة[1] إلى أن أسلاف أولاد ديمان كانوا جزءا من قبيلة لمتونة، وتحديدا من طائفتها التندغية التي عسكرت حوالي سنة 624هـ/1227م بعد عقود من الصراع مع الموحدين بالأطراف الشمالية الشرقية لبلاد شنقيط، بنواحي إگيدي (الشمالي)، وأقامت هنالك دولة حلف قبلي عرفت بدولة المرابطين الصحراوية (الصغرى) ترأسها العظير (الخضر) حفيد يحيى (ابن الصحراوية) بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين.

وتحكمت هذه الدولة خلال معظم القرنين السابع والثامن الهجريين (13-14م) في المجال الواقع بين السودان وتوات وآدرار والساقية الحمراء إلى جهة المحيط الأطلسي، قبل أن تتفكك بسبب صراعاتها الداخلية، وتتوزع إلى أربع إمارات أو مشيخات أميرية هي: إمارة لمتونة، وإمارة تندغة، وإمارة ابدوكل، وإمارة بيلگه (=بيتشگه بجيم فارسية).

ترأس إمارة لمتونة منها الشريف المرابط أشفغ الهاشمي اللمتوني، وضمت على وجه الخصوص محلة عرب النقاب اللمتونية التي تميزت بكونها لم تزل محتفظة بعادة اللثام التي اشتهر بها المرابطون. وكان أسلاف أولاد ديمان جزءا من هذه المحلة.

وتوغلت محلات هذه الإمارة جنوبا باتجاه آوكار وآفطوط وأرض الگبله بحثا عن المغارم، ودخلت في حروب متصلة مع المجموعات الأمازيغية والزنجية المختلفة التي وجدت أمامها بالمنطقة، ثم انخرطت في الحرب الصنهاجية الحسانية (شربب الكبرى) التي قادتها ابدوكل إحدى الطوائف النازحة بعد سقوط الدولة المرابطية إلى بلاد شنقيط ضد بني حسان وحلفائهم من الطائفة الهوگارية النازحة

---

(1) راجع لهذا السياق التاريخي: الحسين بن محنض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، ط1، دار الفكر، بيروت، 2010م، ص126-149.

بدورها بعد سقوط المرابطين إلى بلاد شنقيط.

وتفرقت هذه الإمارة (الإمارة اللمتونية) على إثر هزيمة صنهاجة في هذه الحرب التي انتهت بعقد الصلح بين الطرفين، فكان من بقاياها المحلة التي ورثها تاشا في البراكنة، ومحلة إيدغيانو في الترارزة، ومحلة أنباط إيدويدر (=إيدوعيش) الذين سيطروا على الركيبه وتگانت وآفطوط، ومحلة عرب النقاب، ومحلة انگادس التي زحفت باتجاه الترارزة، واستوطنت منطقة إيگيدي منها.

وزحفت إمارة تندغه زحفا بطيئا باتجاه الساقية الحمراء غربا، فنزلت بمنطقة الابيار قرب گليميم إلى الشرق من آخر منازل المدلش في جهة الشمال، حيث كانت محلاتها تطوف آدرار وتتوغل حتى منطقة الگبلة بحثا عن المغارم. ورغم أنها كانت في طريق قبائل بني حسان الطامحة إلى التوغل في بلاد شنقيط فإنها لم تصطدم بها اصطداما ذا تأثير، بل قامت بينها وبين أولاد رزگ الذين آلت إليهم زعامة المنطقة وشائج وعلاقات قوية. ولم تزل الأحداث والحروب المتصلة مع قبائل المناطق الگبلاوي والانقسامات بطائفتهم حتى لم يبق منهم إلا قبيلتهم المعروفة اليوم.

وبقيت إمارة ابدوكل وكانت أكبر إمارات هذه الطائفة في إگيدي (الشمالي) محتفظة باسم المرابطين لكنها مدت سلطانها جنوبا حتى وصلت إلى الحدود السودانية. كما انتشرت في الصحراء الواقعة شمال آدرار وشرقه، ثم حاولت منصرم القرن الثامن للهجرة (14م) أن تكون لها مغارم وإتاوات في آدرار وتگانت فاصطدمت بالطائفة الهوگارية، فاندلعت بين الطرفين حروب شرسة، أدت إلى انغماس آدرار في فوضى ومجاعة شردت سكانه، وأدت إلى مشاركة أبدوكل للطائفة الهوگارية في الهيمنة على آدرار والمناطق المحاذية له.

وتصادفت حرب طائفة ابدوكل والطائفة الهوگارية مع وصول بني حسان إلى أطراف بلاد شنقيط، ومزاحمتهم للطائفتين في خفارة القوافل. وبعد بضعة عقود وصل البرتغاليون إلى السواحل الشنقيطية فطمع كل طرف في الاستفادة من مبادلاتهم التجارية فتحالفت الطائفة الهوگارية مع بني حسان، ونشبت حرب شرببه (الكبرى) بين بني حسان وطائفة ابدوكل، وساندتها طائفة لمتونة، ثم اتسعت حتى شملت سائر صنهاجة، وكانت هذه الحرب من أعنف وأطول ما شهدته هذه البلاد السائبة من حروب.

وتفرقت ابدوكل بعد هزيمتها في هذه الحرب التي دامت أكثر من ثلاثة عقود في آوكار وبلاد الحوضيين، وانحدر قسم منهم إلى أرض الگبلة، فاندمج في قبائلها، وجاز بعضهم إلى بلاد الزنوج (مالي أو السينغال) فاندمج فيهم.

أما إمارة بيلگه (نطقها الصنهاجي بيتشگه بجيم فارسية نسبة إلى أبتشك بن شروال اللمتوني على سبيل التعاقب المعروف بين هذه الجيم واللام في العربية والصنهاجية) التي ترأسها أحمد بن محمذن الباصري الذي كان أبوه محمذن آخر أمراء دولة المرابطين الصحراوية قبل تفككها، فنزحت بعد سلسلة من الحروب بآوكار وتگانت إلى آفطوط والأجزاء الشرقية من بلاد الگبلة (البراكنة)، حيث قامت إمارة قوية في عجز القرن الثامن للهجرة (14م)، عرفت نوعا من الاستقرار رغم السيبة المنتشرة، وخضع لها قسم كبير من منطقة النهر الذي أصبح يعرف منذ ذلك العهد بنهر أبجك نسبة إلى إمارتها إمارة بيتشگه (=بيلگه).

وحافظت بيلگه على قوتها طيلة القرن التاسع للهجرة (15م)، وهمت بتقديم النجدة للمتونة بعدما انهزمت ابدوكل وامتدت الهزيمة إليها في شربيه الكبرى في أواخر القرن التاسع الهجري (15م)، لكن أمير تندغه تدخل مانعا صنهاجة من العودة إلى الحرب محتجا بأن الصلح مع بني حسان كان قد أبرم إثر هزيمة ابدوكل وأنه لا يجوز نقض العهد.

وتفككت إمارة بيلگه تحت ضغط المواجهات المستمرة مع سلطنة آل تنگلل جنوبا، ومع أفواج بني حسان (البرابيش والرحامنة ثم أولاد عگبة ثم أولاد رزگ) القادمة من الشمال، الذين ظلت بيلگه ترفض الإذعان لهم والانصياع لدفع المغارم إليهم.

وقبل تفكك إمارة بيلگه تفككت إمارة لمتونه فنزح أسلاف أولاد ديمان الذين كانوا في عدادها، في أفواج من لمتونة إلى بيلگه، فلما تفككت إمارة بيلگه توجهت شظايا من بيلگه ولمتونة معا غربا إلى أرض گنار بالقسم الجنوب الغربي من بلاد الگبلة، حيث نشأ التونگليون (الأسلاف المباشرون لأولاد ديمان) في محيط مختلط أكثر مجموعاته المباشرة لهم من گنار وأغرمان.

ولما احتدمت الفوضى السياسية ببلاد گنار تفرق التونگليون بتفرق لمتونة التي

كانوا جزءا منها، فلجأ منهم مهنض أعمر بن عامر إنقل بن علي بن يحيى بن علي التونكلي إلى قبيلة المدلش التي كانت تحظى باحترام واسع في منطقة الشاطئ الكدالي، فكان أحد الخمسة المشكلين لقبيلة تشمشه، بينما توزعت شظايا التونكليين الأخرى بين قبائل المنطقة، قبل أن يشكلوا مع الاستتباب النسبي للأمن في ظل انكادس ثم أولاد رزگ نواة قبيلة جديدة سرعان ما عصفت بها الأحداث فالتحق جزء من بقيتهم بتشمشه التي أصبح أولاد ابنهم مهنض أعمر التونكلي (أولاد ديمان) من ركائزها المهمة.

ب- السياق الجغرافي:

ظهر أولاد ديمان في فترة تحولات كبرى (حروب، مجاعات، هجرات، حملات نهب وتخريب) نجم عنها نزوح أغلب السكان الأصليين لبلاد الگبله جنوبا عن مواطنهم وعبور أغلبهم نهر السينغال، مما أتاح الفرصة للوافدين الجدد ليستوطنوا مواطنهم، ومن هؤلاء الوافدين الجدد أولاد ديمان وسائر تشمشه الذين تموقعوا على الأطراف الشمالية لإيگيدي (الجنوبي)، قبل أن يتوغلوا فيه لاحقا.

قال ابن أحمد يوره الديماني[1] في كتابه "إخبار الأحبار بأخبار الآبار": "إيگيدي[2] وهو مستقر بني ديمان من قديم الزمان إلى الآن، لا يبغون به حولا، ولا يبغون به بديلا، مع قلة ثماره، وطول آباره، ليس فيه إلا القتاد يلتقطون علائكه، ويجلبونه إلى مراعي المعارف في زمن الربيع غالبا[3]".

ويطلق إيگيدي على شريط أرضي يمتد من الشمال الغربي باتجاه الجنوب الشرقي، تحده من الشرق والشمال الشرقي منطقة العگل، ومن الشمال أيبار تاگنانت، ومن الشمال الغربي منطقة العريقة، ومن الغرب منطقة انوللان، ومن الجنوب والجنوب الشرقي منطقة الخط، وأطراف حوض نهر السينغال. قال أحمدو

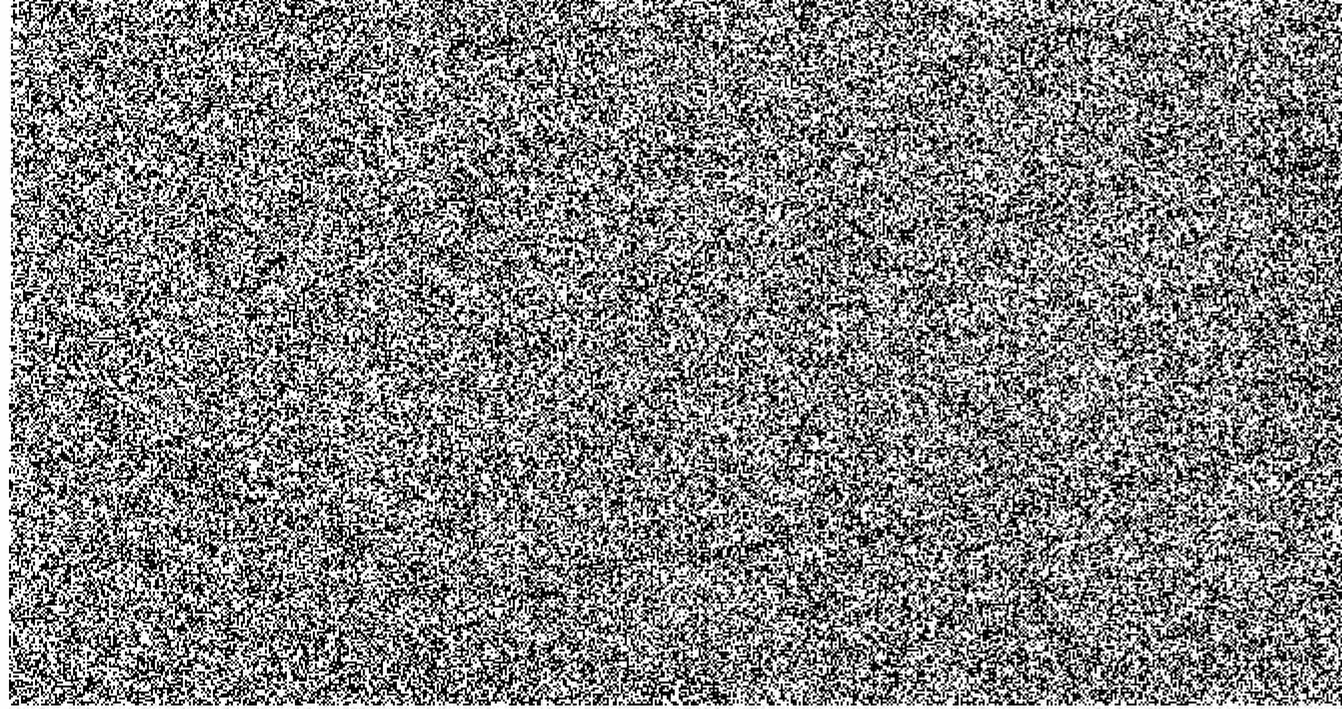
---

(1) محمد بن أحمد يوره الديماني الأبهمي العاقلي: نادرة عصره وأعجوبة قطره علما وأدبا، وكتابة نظما ونثرا. ت 1342هـ. (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص 371).

(2) إيگيدي (= إيگيدن): كلمة صنهاجية تعني الآبار الطوال الدلية التراب، فلذلك تهدم سريعا

(3) محمد بن أحمد يوره الديماني، إخبار الأحبار بأخبار الآبار، تحقيق أحمد (جمال) بن الحسن، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1992م، ص 26.

بن احبيب[1] في كتابه "الأعداد": فهو تقريبا من تندگسمي شمالا والملزقزة جنوبا، وتنطفماطت وآمنيكير في الشمال الشرقي، وتيخنف ويمباز والنائفيت شرقا، والنائلالت في الشرق الجنوبي، وأحسي محمد وتنكن في الغرب الجنوبي، وتمغوت في الشمال الغربي، فإذا تأملته فرى فيه شكل بطن الحوت أحد منازل القمر، وهو على قسمين: في قسمه الشمالي ينبت شجر السيال (الطلح)، وفي قسمه الجنوبي ينبت القتاد (أيروار)[2].



وعد المختار بن جنكي[3] صاحب "نظم المدافن الشمشوية بإيكيدي" -الذي نص في نظمه على أنه لن يذكر إلا شمشويا مدفونا في أرض إيكيدي- أجزاء مختلفة من العربة وقسما من العكل ضمن إيكيدي، فكأنه اعتبر ما حاذى إيكيدي من العربة والعكل مما كانت تسرك ضمنه مجموعة تشمشه، وتملك معظم آباره بمثابة جزء

(1) أحمد بن احبيب اليدمسي (= البهناوي): هو أحمد بن محمذن بن محمد بن أحمد بن احبيب أحد علماء العصر ونبهائهم مدرس ومصنف وأديب سائح. ت 1392هـ (ابن حامدن، مع إيدكبهني، مرقون، ص 3).

(2) أحمد بن احبيب، كتاب الأعداد المسمى سلم العلم والآداب ومعراج الحكمة والعمل الخطاب، دار أسوريتر للنشر، بيلادن، 2012م، ص 233-234. والصورة من نفس المرجع، ص 313.

(3) المختار بن جنكي اليدالي: العالم الشيخ الماهر بالقرآن القاضي، كان مع سعة علمه شاعرا مفلقا، له تآليف عديدة. ت 1321هـ (ابن حامدن، جزء إيدوداي، مرقون، ص 138).

منه عمليا، مع أنه ليس منه جغرافيا.

أما محمذن بن باباه فقال: «وحدود إيگيدي الجغرافية موضع خلاف بين علماء الجغرافيا والتاريخ، فهي تتسع وتضيق بحسب انتشار أو تقهقر المجموعة الشمشوية. تاريخيا كانت حدود إيگيدي تمتد شمالا إلى تنداعمر ابحيك نسبة إلى أعمر بن آك التيدجلي، وتسمى هذه البئر اليوم احسي السعادة، ومن الجهة الغربية يمتد إيگيدي إلى التويدرمي -اتويدرمي- ويحده من جهة الجنوب بوسدره ومن الشرق تنيخلف»[1].

وإيگيدي من حيث التضاريس عبارة عن سهل منخفض تتخلله كثبان ثابتة تفصلها وهاد متفاوتة في العمق والاتساع[2].

وتتميز منطقة إيگيدي «باعتدال المناخ وانتظام المواسم، فهي متاخمة للمنطقة الساحلية المطلة على المحيط الأطلسي غربا، ويحفها من الجنوب نهر السينغال، ويجللها من الشمال الصحراء، فهي متصلة بالمنافذ التي تمر بها المعاملات التجارية، وتتوفر فيها أسباب تنمية المواشي بأنواعها: يوجد بها الماء العذب والكلأ الطيب والمناخ الصحي، وتزخر بغابات القتاد -الصمغ العربي-، وهي أيضا متاخمة للمناطق الزراعية الممتدة على طول ضفاف نهر السينغال، وتستفيد من المصالح المتوفرة بكثرة على ساحل المحيط الأطلسي»[3].

وقد وصف منطقة إيگيدي سيدي أحمد بن أسمه «بطلاقة الهواء، وقلة الأمراض[4]»، وظل عبد الله بن المختار بن بيدح[5] الذي وصفها بدوره بـ: «طلاقة الهواء[6]»، ذلك بقوله: «فلذلك لم تكثر فيهم الأمراض حتى يحتاجوا إلى كثرة الأطباء، مع أن أوفى[7] طبيبهم إليه كان المرجع في علم الطب، وإليه المنتهى بحيث لم

---

(1) ابن باباه، تاشمش ودورها السياسي والثقافي، مرجع سبق ذكره، ص39.

(2) محمد فال بن عبد اللطيف، كتاب أنساب بني أعمر إديقب، مرقون، ص10.

(3) المرجع نفسه، ص38-39.

(4) ابن أسمه، ذات ألواح ودسر، مرجع سبق ذكره، ص36.

(5) عبد الله بن المختار بن بيدح: عالم وأديب وعزيز. ت1962م (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص154).

(6) ابن احبيب، كتاب الأعداد، مرجع سبق ذكره، ص232.

(7) المصطفى (=أوفى) بن أبي بكر بن عبد الله بن أشمغ مصر الشمشوي الألفغي: العالم الصالح

يتقدمه مثله، ولا لحقه أحد بعده، إلا ما كان من بعض بنيه الذين جعل فيهم ذلك كلمة باقية في عقبه[1]». وقال عنها الفاللي بن بابحمد بن يعقوب إنلل بن ديمان[2]، وكان معروفا بين أهل إيكيدي بحكيم الزوايا: «إن سمرة الهواء المضرة لمن بات بها تنتهي لدى أكتنت (بطرف إيكيدي الشمالي)، وقيل منتهاها حيث ينتهي الحدج الطيب، ويبدأ الحدج المر، كما أن مرض العجول المسمى "أمغرغر" لا يكون بها، لأنه لا يكون بأرض ينبت فيها آدرس (=البشام)[3]». وكان ينفر عن الكَيله ويقول: «لا بد للمسافر إليها من رزء تبيعة، إما يتداوى بها، وإما تعطى في تجهيزه إذا مات». يعني أنه لابد أن يمرض وقد لا يسلم.

وللفاللي هذا حكم وتجارب مشهورة بين أهل إيكيدي، منها: «عليكم بالغبرات الثلاث: غبرة البير، وغبرة الحميرة (المغرة) وغبرة تينكت[4]».

ومنها: «عليكم في الشتاء بالغبرات الثلاث: غبرة اللحم، وغبرة الفرو، وغبرة النيله[5]».

ومنها: «الجوع في الشتاء يخشى على النفس منه، والجوع في الصيف يخشى على العقل منه».

ومنها: «اصبروا ساعة، ويوما، وجمعة، وشهرا، وسنة، والعمر كله، فالساعة عن الطعام، واليوم للغضب، والجمعة للعكله والبئر، والشهر للرفيق في السفر، والسنة للجار الجنب، والعمر للزوجة والجار ذي القربى».

ومنها: «فعل الرجل مع الجماعة ولو خطأ خير من فعله وحده ولو صوابا».

الطبيب. برع في الطب الذي ألف فيه كتابه المشهور "العمدة" براعة لا مثيل لها حتى انتهت إليه رئاسته في هذه البلاد. ت1300هـ/ 1881.

(1) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(2) الفاللي بن بابحمد بن يعقوب إنلل بن ديمان: عالم عامل حكيم، يلقب بحكيم الزوايا وكلامه في الحكمة والتجارب مأثور. ت حوالي 1140هـ (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص98).

(3) ابن باباه، تاشمش ودورها السياسي والثقافي، مرجع سبق ذكره، ص40.

(4) تينكت مادة حديدية مصنوعة من رماد الحديد المحمي يداوي بها البيضان نقص الحديد.

(5) الفرو: كساء من الجلود يصنع من جلود الضأن المدبوغة باطنه أملس وظاهره غير منتوف الشعر. والنيله معروفة وهي قماش تتخذ منه ملاحف سود تبقي آثار لونها بالجسد.

ومنها: «إذا أشكل عليك الأمر ولم تدر ما تفعل فاسكن حتى تدري ما تفعل، وإذا لم تدر ما تفعل فافعل ما فعل الجمهور».

ومنها: «قد تصطنع اليد عند الرجل بماله». يعني قضاء الدين.

ومنها: «الكريم لا خلوة له».

ومنها: «اقرأ العلم واستره».

ومنها: «إذا طلعت الدبران فاترك اللوح واشتغل بالماشية حتى لا تهلك».

ومنها: «لا يفضحكم مالكم إن خرج من أيديكم ولكن أنتم في فسحة من أن لا تسلفوه».

ومنها: «إذا جئتم ضيوفا فارحلوا ما دام يؤدم لكم بالسمن».

وقال لابنته يختبر عقلها: «ما العقل؟» فقالت: «الموافقة والإنصاف». فودعها وشكر لها.

ومن تجاربه المشهورة: «"تسعايت الفالي"» (=«التسعة الفالية»)، وهي تسع مسائل كان يقول الفالي إنها تجيء مع حلول التاسع من أكتوبر (بالتقويم اليولياني الذي كان معمولا به، ويوافق بالتقويم الغريغوري المعمول به حاليا 23 أكتوبر) وهي:

1- «"إينع اللحم"» (= يصبح صالحا لا يخشى فساده)، وهذا مؤذن ببدء موسم "وتكاله".

2- "تكبر ربت الرماد" (=تتضخم ربوة الرماد) لكثرة اصطلاء الناس من البرد.

3- "تحفر العنز قابلة مبركه" (=تحفر الشاة في مبركها) بسبب البرد.

4- "يزداد إعوكي في الحيوان" (=تزداد العواقل من الحلاتب) بسبب انتهاء فترة لبنها.

5- "يزداد آسكره من أهل البل" (=تزداد الحوض بعودة المتجمعين من أهل الإبل).

6- "أتيجي كربه من السهوة" (=تأتي الرفقة من الساحل)، ومراده القافلة التي تبيع الملك في ميناء يعني "بورتانيك".

7- "يرتفد اعمود وينطوح واحد" (=يرفع عمود ويوضع آخر)، ومراده أن عمود العلك يرفع، وعمود السجف يوضع.

8- "تخسر عصمه" (=تتفكك أسرة)، وذلك أن ذا المروءة من أولاد ديمان لايطلق زوجته إلا في الشتاء، لأنها في الصيف تكون رثة الحال نحيلة، ثم تحتاج في الخريف إلى التسمين لتصلح حالها، فيمسكها زوجها الراغب في طلاقها حتى يستهل الشتاء ثم يطلقها).

9- "تنتصب بشنه باميهت، إيكيدي" (تطبخ الذرة بماء إيكيدي) كناية عن وصول البشنة المحروثة في شمامة إلى إيكيدي».

ومنها: «إذا دخل إبريل انخفضت رقبة الملقاطة (=ملقاطة العلك) وارتفعت رقبة الناقة». يعني أن كمية العلك الملتقطة تأخذ في التناقص، بينما يضمحل العشب فتحتاج الناقة إلى الأكل من الشجر(1).

ونقل محمد فال بن عبد اللطيف أن أهل إيكيدي كانوا يوردون في شأن إيكيدي حكمة مسجعة بالصنهاجية ترجمتها: «عليكم بأرض سبعها الذئب، ومرضها الجوع، وفاكهتها دقيق العلك(2)»، لذلك كانت منطقة إيكيدي محببة إليهم.

---

(1) لبابحمد والد الفاللي هذا أيضا حكايات، حكيمة تشبه حكايات ابنه الفاللي، منها حكايته مع زوجته تمخدست بنت إيميجن (جد بطن إيدميجن) التي تعرف بكنيتها أم انيوسف المشهورة بالعقل وضعف البدن، تروي الروايات الشفوية (الأسطورية) بأنها «مدت يديها لتسأل ربها فانسلت جريدتاها»، و«أن وطابا (=شكوة) فارغا منفوخا سقط على فخذيها فتكسرتا» من شدة ضعف بدنها. من أقوالها المأثورة قولها عن النفاس: «هو المرض الذي لاغبنتني به بنات عمي». ومن قصصها: «أن زوجها بابحمد حين جاء بها إلى أهله مع ولدها يوسف -من أب غيره- رام نساء الحي أن يفسدن بينه وبينها، وتغامزن عليها، فغرزت إحداهن شوكة جمعت بها كم ملحفتها إلى ما يقابل صدرها من الملحفة، فلما قامت انكشف شعر رأسها وكان ناتفا قليلا، وساقاها وكانتا دقيقتين، فضحكت النسوة، وقالت إحداهن: لو رأى بابحمد دقة ساقيها، وحدة معقليها، ونتف رأسها لما تزوجها، فلما سمعت أم انيوسف ذلك أرسلت إلى بابحمد، وكشفت عن رأسها وقالت له: أغمز لي هنا، ثم كشفت عن ساقيها إلى معقليها وقالت له: حك لي هنا، ففهم بابحمد مقصودها ففعل ذلك، ثم التفت إلى النسوة وقال: "أخير ساس من راس، واخير اعگل من معگل" (=الأساس خير من الراس، والعقل خير من المعقل) فأرسله مثلا».

(2) ابن عبد اللطيف، كتاب أنساب بني أعمر إيديقب، مرجع سبق ذكره، ص10.

ومع ذلك يبدو أن انتشار أولاد ديمان وتشمشه في إيكيدي تطلب عقودا طويلة، لأسباب منها ما هو بيئي، ومنها ما هو سياسي واجتماعي، أهمها أن إيكيدي كان مأهولا قبلهم بقبائل أشهرها أغرمان وانكادس، ثم البراكنة قبل جلائهم عن الترارزة، فنجدهم خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين غالبا في طرفه الشمالي حيث أكنست بئر تشمشه الأولى التي أقاموا عندها حلفهم، وحيث انفزي وانبراكه -منطقة قبر ديمان-، بينما نجدهم خلال القرن الحادي عشر الهجري قد استكملوا استيطانه.

وتعزو وثيقة تاريخية مشهورة لدى مؤرخي تشمشه، وتوجد في مكتبة أهل أشفغ موسى اليعقوبيين إلى المختار بن أشفغ موسى[1] طبيعة تقسيم إيكيدي بين قبائل تشمشه، حيث تذكر هذه الوثيقة «أن المختار بن أشفغ موسى تصدى لقاضي المحلة التي أعطاها ملك المغرب لاعلي شنظوره[2] أمير الترارزة، لقد اشترط ملك مراكش على اعلي شنظوره حين أعطاه العسكر أن يكون في أرضه عالم يغلب قاضي العسكر الذي أوفده معه... فلما غلب المختار القاضي سأل اعلي شنظوره القاضي الموفد معه، فقال: العسكر لمن؟ فقال: لك بسبب شيخك هذا. فنصبه للقضاء، وتحمل له اعلي شنظورة بوظيفة جمل. وقال اعلي شنظوره للمختار: الأرض أرضك وأنت سيدها فاختر منها ما تحب أن تسكن تشمشه، فقال: نحن وأنتم نسكن جانب إيكيدي، فقال اختر لبني يعقوب منها، فقال: اخترت الجهة الغربية، والتي تليها لبني ديمان، والشرقية للألفغيين[3]».

والظاهر أن هذا التقسيم تعرض لتغيرات مع الزمن بفعل هجرة بعض قبائل تشمشه عن مواطنها الأصلية إلى مواطن أخرى من إيكيدي، وتركها لهذه المواطن لقبائل إيكيدية أخرى منحا أو بيعا أو مبادلة، وهكذا جانب أولاد ديمان منه فقد تعرض هو الآخر لتغيرات أملاها الانتقال من أرض إلى أخرى بغرض الإقامة أو

---

(1) المختار بن أشفغ موسى اليعقوبي: عالم جليل، وصالح شهير، كان قاضيا لتشمشه وللإمارة في عهد الأمير اعلي شنظوره. ت حوالي 1152هـ/ 1739م.

(2) اعلي شنظوره بن هدي بن أحمد بن دامان: خامس أمراء الترارزة. كان أميرا قويا أعاد للإمارة قوتها وهيبتها. ت1139هـ/ 1727م.

(3) ابن باباه، تاشمشه، ودورها السياسي والثقافي، مرجع سبق ذكره، ص41.

الاستغلال. قال ابن عبد اللطيف: «وقد كنا روينا عن مشايخنا أن عادة بني مهنض أمغر في استغلال الأرض، أن من قدر على استغلال شيء منها بحفر أو غيره استغله غير مزاحم. وهذا يبدو جليا في خريطة آبارهم، فإنك لا تكاد ترى بئرا لبطن من بني مهنض أمغر إلا وبجوارها بئر لبطن آخر حتى لا يكاد يوجد مجال خاص ببطن معين[(1)]».

جـ- السياق الثقافي:

لم يكن سكان الشاطئ الگدالي إبان مقدم تشمشه إلى المدلش من نسيج ثقافي واحد، بل كانوا يشكلون خليطا من المذاهب والنحل والتقاليد المختلفة، وإن كان المذهبان الأساسيان في ذلك العهد في المنطقة هما المذهب المالكي السني الذي جاء به عبد الله بن ياسين إلى بلاد گدالة إبان قيام دولة المرابطين، والمذهب الأباضي الذي كان منتشرا بالبلاد قبل ذلك. وكان هذان المذهبان يتعايشان في وئام في الصحراء منذ أن دعم أغلب علماء المالكية بالأندلس والمغرب ثورة الخوارج السجلماسيين بقيادة أبي يزيد صاحب الحمار مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي الخارجي في مستهل القرن الرابع الهجري ضد الحكم العبيدي الشيعي الذي كان يتخذ من المهدية (بتونس) عاصمة له. هذا الدعم الذي هو أصل ظهور مصطلح "القبلة"(=الگبله) بمعنى الجنوب كما يعرف اليوم عند سكان الشطر الغربي من بلاد شنقيط، خلافا لما يتداول من أن سببه محاكاة جهة القبلة لدى أهل المدينة المنورة الذين تقع القبلة عن جنوبها، لأن ذلك لو كان صحيحا لما كانت القبلة تعني شيئا آخر غير الجنوب، في حين أنها تعني الغرب عند أهل المناطق الشرقية من هذه البلاد.

لقد استفاض استعمال مصطلح أهل القبلة في منطقة الغرب الإسلامي مع بداية القرن الرابع للهجرة للدلالة على مدلوله الديني الذي هو أهل الملة، بعدما أطلقه علماء الأندلس والمغرب المالكيين لوصف خوارج الغرب الصحراوي المحيط بسجلماسة، الذين ثاروا على الدولة العبيدية الشيعية الإسماعيلية التي كانت تتخذ من المهدية عاصمة لها[(2)]، باعتبار أن الحروب التي اندلعت آنذاك بين العبيديين

---

(1) ابن عبد اللطيف، كتاب أنساب بني أعمر إيديقب، مرجع سبق ذكره، ص10.

(2) فتحي زغروت، العلاقات بين الأمويين والعبيديين في الأندلس والشمال الإفريقي، ط1، 2006،

والخوارج الثائرين عليهم بقيادة أبي يزيد الخارجي حرب بين كفار هم الشيعة الإسماعيليون وأهل قبلة هم الخوارج، وأن دعم أهل القبلة ضد الكفار واجب شرعا. وهكذا اشتهرت منذ ذلك العهد باسم أهل القبلة كل المنطقة الممتدة من سجلماسة إلى بلاد السودان جنوبا والمحيط الأطلسي غربا، وتسمت بها إحدى أهم قواعد الغرب الصحراوي هي "أودغست"، التي هي تحريف للعبارة الصنهاجية «اديأذ أوگس»، وترجمة «اديأذ أوگس» (=أودغست) بالعربية كما نقلناه عن المختار بن حامدن: «أهل القبلة».

ومع مرور الزمن تنوسيت دلالة القبلة كمصطلح ديني، وحلت محلها دلالة جغرافية مشتقة من الجهة التي يوجد بها أهل هذه المنطقة، وهي الجنوب بالنسبة لمن كان عن شمالهم، والغرب بالنسبة لمن كان عن شرقهم، واستمر ذلك إلى عصرنا الحالي حيث يعتبر أهل المناطق الشمالية والساحلية من البلاد أن القبلة مرادفة للجنوب، بينما يعتبرها أهل المناطق الشرقية مرادفة للغرب.

ورغم أن ثورة أبي يزيد الخارجي فشلت، بعدما كادت بعد سنوات من الصراع مع الفاطميين أن تقضي على الحكم العبيدي بإفريقية والمغرب، فإنها تركت خلفها وشائج قوية بين المذهبين الخارجي والمالكي، ساعد فيها كون المذهب الأباضي الذي انتشر انتشارا واسعا في إفريقية والمغرب والصحراء هو أقرب المذاهب التي تنسب إلى الخوارج لمذهب السنة، إلى درجة أن الأباضيين لا يعترفون بنسبتهم إلى الخوارج، ويعتبرون أن مذهبهم الذي يسمونه بطريقة أهل الحق والاستقامة هو المذهب الخامس لأهل السنة.

ويبدو أن انتشار المذهب المالكي السني الذي ازدهر في عهد المرابطين لم يقض على المذهب الأباضي ورواسبه في هذه البلاد إلا بعد قرون عديدة من التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية، حيث إن الإشارات القليلة التي وصلتنا عن فترة ما قبل القرن الحادي عشر الهجري تعكس وجود رواسب أباضية قديمة لدى المجتمع.

دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ص 50-75.

ومن المحتمل أن يكون من تجليات هذه الرواسب هذا التحالف الخماسي الذي كانت التحالفات القبلية في المغرب والصحراء تنتظم على أساسه، فهو وإن كان منتشرا بين الأمازيغ قبل مقدم الإسلام، كما برهن عليه كابرييل كامبس ونقل عنه محمد المختار بن السعد[1] فقد أصبح ذا دلالة دينية خاصة لدى الأباضية في إفريقية والمغرب منذ أن استلهمه حملة العلم الخمسة المشهورون في التاريخ الأباضي: «أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح، وعبد الرحمن بن رستم الفارسي، وعاصم السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي» الذين رحلوا من المغرب إلى البصرة سنة 135 للهجرة (752م)، وحملوا العلم عن الإمام الأباضي أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ثم عادوا إلى بلادهم فتحالفوا ونشروا الأباضية، وبايعوا أبا الخطاب إماما لدعوتهم التي تدرجت حتى قادت إلى قيام الدولة الرستمية الأباضية بتياهرت سنة 160هـ/ 777م، فكان تشكيل دعاة إلى الأباضية يسمون حملة العلم وتأسيس التحالف الخماسي من قبل الخمسة الأبرز منهم يمثل مظهرا من مظاهر الحركة الأباضية في هذه الصحراء، أشار إليه البكري (ت460هـ/ 1068م) إشارة خفية عند حديثه عن وجود حملة علم بعاصمة غانه بقوله: «ومدينة غانه مدينتان سهليتان، إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدها يجتمعون فيه، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون، وفيها فقهاء وحملة علم..»[2].

وقد جسدت هذه التحالفات الخماسية في بلاد شنقيط من قبل تجارب كثيرة، حفظ لنا التاريخ نماذج منها، من بينها تجربة الخمسة ذوي الأصول العربية -كلاًّ أو جلاًّ- المؤسسين لقبيلة تشمشه، لكن دون أن نعرف هل كانت هذه التجارب معزولة

---

(1) محمد المختار بن السعد، حرب شرببه أو أزمة القرن 17 في الجنوب الغربي الموريتاني، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1993م، ص41. وقد نقل ابن السعد فيه عن كامبس أمثلة عديدة من نماذج التحالف الخماسي لدى القبائل الأمازيغية يمكن الرجوع إليها. (ابن السعد، حرب شرببه، ص41-43).

(2) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص175.

أم أنها كانت صدى للحركة الأباضية في الصحراء، أم تقليدا لعادة قديمة.

كما أن اعتماد هؤلاء الخمسة المؤسسين لتشمشه للآيات العشر من سورة الفرقان التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان/ الآية 63) كدستور لتشمشه يثير نفس الاستفهام، فقد بقي استخدام هذه الآيات متداولا في مجتمع المغرب والصحراء رغم انتشار المذهب المالكي السني الذي جاءت به دولة المرابطين وانقراض المذهب الأباضي الذي كان منتسبوه في هذه البلاد يعتبرون هذه الآيات بمثابة دستور لهم، وقد يكون ذلك عائدا إلى أن الصوفية السنية الملامتية التي انتشرت في المغرب والصحراء قبيل ظهور تشمشه وجدت من جانبها في هذه الآيات ما يطابق نظرتها للتدين، فشارك أهل السنة من الملامتيين -وربما من غيرهم أيضا- الأباضيين في اعتبار هذه الآيات دستورا لكل جماعة تريد أن تتقيد بمنظومة سلوكية دينية ذات مرجعية قرآنية.

وكذلك لقب ديمان الذي تلقب به مهنض أمغر فقد كان أيضا من ألقاب الزعامة لدى سكان الصحراء، فأصل ديمان يديمان، ومعناه الحرفي أبو الناس أو جد الناس، لكن معناه الدلالي: سيد الناس، أو سيد الناس القار (=الثابت أو الهادئ)، لأن من معاني ديمان أيضا الثبات والاستقرار، وبهذا المعنى الأخير ما زالت كلمة ديمان تستعمل في بعض البلدان إلى اليوم. ويبدو أن هذا الاسم شاع في الأوساط الأباضية في مرحلة ما من مراحل التاريخ الوسيط، وقد ذكره ابن خلدون كاسم لبطن من بطون مكلاتة الأباضيين من أهل القرن الثامن الهجري[1] دون أن يربطه بأي دلالة أباضية لأن المد السني المرابطي في ذلك العهد كان قد سيطر على المنطقة، ولم يبق لديمان سوى دلالته الاجتماعية الأصلية التي تعني الزعيم أو الزعيم الهادئ. وهذا يؤكده أن مهنض أمغر (ديمان الأكبر) الذي هو ثاني أول اثنين اجتمعا من تشمشه كان مالكيا سنيا، كما تبين الإشارات التاريخية المنقولة عنه، ومنها ما رواه محمد اليدالي في "شيم الزوايا" عن مولد ابنه أشفغ موسى بن مهنض أمغر من أن: "أشفغ موسى تكلم حينئذ فقال: قال مالك، فهربت القوابل عنهما، وقالت أمه بعد ذلك لهن: لو لم تهربن

(1) عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1988، ج6، ص150.

لأخلفن تلك المسألة عن ذلك الوثيقة[1]». ومعروف بأن عبارة «قال مالك» من العبارات البارزة في "المدونة" التي هي أكبر مرجع في الصحراء في المذهب المالكي في ذلك العهد، مما يظهر -بغض النظر عن البعد الخوارقي للقصة- أن أشفغ موسى بن مهنض أمغر ولد في وسط مالكي سني.

ونقل سيدي أحمد بن أسمه في كتابه "ذات ألواح ودسر" بأسانيد ذكرها وزكاها رواية تقول بأن مهنض أمغر كان شيخا لمحمد بن سليمان الجزولي صاحب كتاب "دلائل الخيرات" المشهور[2]. وهذه الرواية -إن صحت- دلت على أن مهنض أمغر كان حديث عهد بالمغرب قبل مقدمه إلى المدلش، لأن الجزولي لا تعرف له رحلة إلى الصحراء، كما دلت أيضًا على سنية مذهبه بالنظر إلى حال تلميذه الجزولي.

وكلقب ديمان لقب أمغر الذي يمثل جزءًا من اسم مهنض أمغر وله معنيان حرفي هو: الشيخ المسن، ودلالي: هو الشيخ الفاضل، فقد كان لقبا معروفا للرئاسة لدى بعض القبائل الأمازيغية التي كانت تنتظم في تأسيسها وفق التحالف الخماسي[3]، إلا أننا لا ندري هل هو هنا لقب رئاسي، أم مجرد لاحقة باسم مهنض أمغر سمي بها عند ولادته.

وتطرح ندرة استخدام لفظ ديمان في وسطه الاجتماعي خلافا لغيره من الأسماء والألقاب الأخرى السؤال عما إذا كان إطلاقه على مهنض أمغر كان معروفا لدى أسلافه، أو أنه تم إطلاقه عليه من قبل نسيج بشري مجاور مختلف عن نسيجه الذي ينتمي إليه، فديمان كاسم أو كلقب لا يوجد في سلسلة آباء مهنض أمغر، كما لا يوجد فيمن يعرف من أبناء عمومته التونكليين، بل لم يشتهر هو به، ولم ينتشر انتشارا

---

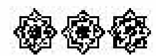
(1) ابن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص 84.

(2) قال ابن أسمه: «فمن ذلك ما حدثني به بعض الثقات من أنهم رأوا في نسخة من شرح "دلائل الخيرات" في ترجمة الشيخ محمد الجزولي ﷺ ما لفظه هكذا: ومن أشياخه مهنض أمغر قبل ذهابه إلى القبلة (=الگبله) هذا الكلام ذكره لي الشيخ محمذن بن بابكر بن احميد رحمه الله أنه رآه بعينه، كما أخبرني الثقة أنه أخبره الشيخ محمودن بن محنض بابه رحمه الله أنه رآه هو أيضا في شرح "دلائل الخيرات"». (ابن أسمه، ذات ألواح ودسر، ص 9).

(3) ابن المعلى، حرب شرببه، مرجع سبق ذكره، ص 42.

واسعا إلا بعد أن تلقب به حفيده المختار بن يعقوب بن أشفغ موسى بن مهنض أمغر، الذي تقول الروايات الشفهية إن أمه أطلقت عليه لقب يديمان (=ديمان) استحياء من مخاطبته باسمه على عادة الناس في ذلك العهد، فاشتهر به[1].

ولم يتلقب أو يتسم بديمان غيره من التونكليين المعروفين، كما نستنتج من استقراء كتاب "عقود الجمان في أنساب بعض بني ديمان" الذي هو أوسع كتاب يتحدث عن الخريطة الجينالوجية لأولاد ديمان، إلا رجل واحد هو ابن عمه ومعاصره ديمان بن أبياج بن أشفغ يعقوب بن مهنض أمغر التونكلي[2]، لكن عقبه لم ينتشر بدرجة تسمح له بالاشتهار، علما بأن الفوضى السياسية التي ارتمت فيها المنطقة جعلتنا لا نتوفر إلا على القليل من أخبار التونكليين.



(1) ابن باباه، تاشمش ودورها السياسي والثقافي، مرجع سبق ذكره، ص173، الهامش 162.

(2) ابن امين، عقود الجمان، مرجع سبق ذكره، ص73.

التونكليون: الفوضى السياسية

التونكليون هم بنو علي، وبنو يحيى التونكليين، وهما ابنا عم وأخوان لأم، أمهما جارية تدعى تونكّج، نسبت إليهما القبيلة فقيل لهم تونگجيون، ثم نطقت باللام (تونكليون) للتعاقب الشائع بين الصنهاجية والعربية بين الجيم واللام في الاستخدام.

وذكر سيدي أحمد ابن أسمه -الذي يبدو أنه لم يطلع على مصدر التسمية- أن اسم التونكليين قد يكون نسبة إلى قرية بالمغرب تدعى تنكث بنواحي تارودانت، فيكون أصل التونكليين التونكثيين، وذكر أن ذلك مطرد في اللهجة الصنهاجية، أي قلب الثاء لاما عند تعريب الكلمة[1]. وما قاله يتطلب منا أن نفترض أن تسمية تونكّج المتداولة بين النساء في المنطقة أصلها النسبة إلى تنكث، وهو ما لا نتوفر على شيء بخصوصه.

ومن التونكليين كذلك أبناء سبرُ إنلل التونكلي أخي علي التونكلي، وأبناء أخيه آجي آگ تدر التونكلي.

فأما اليحيويون منهم فيوجد من يعرف من بقيتهم اليوم في عداد إيجكوجي[2]، وهم أبناء أحمد تشبه (=جبه بجيم فارسية)، وأبناء أخيه حيجات، وأما علي فلم يبق من بقيته إلا عامر إنلل فولد عامر إنلل ابراهيم (جد إيدغبرهم) ومهنض أمغر (جد أولاد ديمان)، فأما إيدغبرهم فما يعرف من بقيتهم اليوم يوجد في أهل الطالب ابراهيم من تاگاط، وأهل أحمد بن اعبيدي في آهل أشفغ ابريهم من إيجيجبه وأهل بيده وأهل أحمد داده في أهل أحمذنلل[3].

وقال ابن أسمه: «أما إبراهيم فمن ذريته معدر، واسمه المختار بن أحمد شلل بن محنض بن أبي موسى بن أويك بن يدوك بن إبراهيم المذكور، وإبراهيم هذا هو جد القبيلة المعروفة بإيدغبرهم، ومنهم القبيلة التاگنيتية بالوطن المعروفة بإيدغبرهم، ومنهم أيضا آل أحمدي بكسر الدال وشدها. ومنهم أيضا آل همدي الذين بناحية

---

(1) ابن أسمه، ذات ألواح ودسر، مرجع سبق ذكره، ص36.

(2) ابن حامدن، حياة موريتانيا، جزء أولاد ديمان، مرجع سبق ذكره، ص39.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

تكانت مع حي نشمشه الذي هنالك، وهم بنو عم آل أحمدي[1]».

وقال عبد الله بن امين: «تتفرع شجرة نسب التونكليين عن علي التونكلي جد مهنض أمغر الثالث وأخيه لأم وابن عمه يحيى التونكلي، فإلى يحيى التونكلي ينتهي نسب أهل أحمد جبه الداخلين في إيجكوجي، فأحمد جبه بن الحاج أحمد بن محنض الملقب شوكر بن أحمد بن أشفغ يدوك بن يحيى التونكلي، ويعرف أشفغ يدوك بلي غبار القبر، لأنه لم يوجد في قبره لما أريد دفنه إلا الغبار.. ولعلي التونكلي أخوان آخران أحدهما آج آگ تدر جد إيدغمهند الذين منهم أذكنكله سلاطين ادغمهند، الثاني سير إنلل، كان مولعا بالصيد، ومن نسله حبيب قائل سيدي أحمد بن أوذيكه بن أبي يعلى من أولاد الخليفه. ولأشفغ مهنض أمغر أخ اسمه إبراهيم بن عامر إنلل يقال لولده إيدغبرهم، منهم معدر واسمه المختار بن أحمد شلل بن محنض بن أبي موسى بن أويك بن ينبويك بن إبراهيم بن عامر إنلل.. ومن معدر أحمد بن أحمدي المتوفى في تكانت[2].. وأخوه قاضي القضاة بن أحمدي، ومن عقب هذا أهل ميلود في أهل الصابق من تاكناط. ومن نسل إبراهيم بن عامر إنلل أيضا: بوعاشور بن محنض بن عثمان بن اعديجه، ويقال اعجيجه اندقال، كان بطلا مشهورا بالشدة والشجاعة، قتله إيغلان مع ثمانمائة تونكلي[3] عند إيدونيك. ومن نسل إبراهيم بن عامر إنلل أيضا هند فضيج[4]».

أما سير إنلل وآجي آگ تدر فلم تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئا عن تفريعات ذريتهم، ولا عن مآلها. ولعلها تفرقت بدورها في القبائل، إذ يظهر حجم تفرق

---

(1) ابن اسمه، ذات ألواح ودسر، مرجع سبق ذكره، ص37.

(2) أضاف ابن امين هنا -وكذلك فعل ابن أسمه- بأنه هو قائل البيتين الشهيرين:

يوم بحوريه يوم لست أنساه ... حتى يغادر "ول" أحمدي مثواه

يوم تقاصر والأيسام أقصرها ... يوم تزور به من كنت تهواه

(عقود الجمان، ص55-57).

(3) لعل الصواب ثمانون تونكليا كما يستفاد من روايات أخرى، ومن الخريطة الجينيالوجية وتراكمها للتونكليين.

(4) عبد الله بن امين، عقود الجمان في أنساب بعض بني ديمان، مرجع سبق ذكره، ص55-57.

التونكليين المذكورين أعلاه مستوى الاضطرابات التي عصفت بالمنطقة وأدت إلى تفككهم المبكر، رغم قصر عمر قبيلتهم التاريخي (القرن 9هـ/ القرن 11هـ)، وهو أمر يجد تبريره في الفوضى السياسية التي عصفت بالمنطقة، وأودت بالتونكليين، بسبب الضغط الشديد الذي واجهوه من أولاد رزگ في الشمال، ومن إيفلان في الجنوب.

لقد كان التونكليون خلال القرن التاسع الهجري يعيشون في كنف لمتونة في وسط مضطرب، كان يضم مجموعة متنوعة من القبائل القديمة في المنطقة (گنار، أغرمان، إيدواش، انهگرن، مجاط، آگنند، سكام، بافور، انبوزيگن...إلخ) جلها لم يصمد في وجه الفوضى السياسية التي نجمت عن الاجتياح الحساني واندلاع حرب شرببه (الكبرى) فتفكك أو نزح إلى جنوب النهر، ثم أصبحوا بعد الهدوء النسبي الذي ساد في الگبله بعد تغلب أولاد رزگ فيها خلال القرن العاشر الهجري قوة اجتماعية متميزة بين من حولهم من القبائل. وعظم الجاه في إيدغبرهم منهم خاصة في صدر القرن العاشر حتى إن «بنات همد فضج، وكن مشهورات بالرئاسة وعدم المبالاة بالناس، كن إذا لم يرضين لتونكلية زوجها أو نقمن من معاشرته شيئا نزعنها منه»(1).

وكان للتونكليين نشاط اقتصادي قوي، فقد كانوا أهل ماشية وتجارة، قادتهم إلى أسواق بعضها بعيد جدا من بلادهم كاجيولوف وإيسنغان جنوبا، وأروان شرقا، وواد نون شمالا"(2).

وكانوا أهل شوكة، خاضوا وقائع ضد خصوم مختلفين، منها وقائع لهم مع إيفلان كوقعة إيدونيك التي قتل فيها ثمانون تونكليا منهم البطل المشهور بالشدة

---

(1) والد بن خالنا، كتاب الأنساب المنشور تحت عنوان: نبذة في تاريخ الصحراء القصوى ضمن: ISMAEL HAMET, Chroniques de la Mauritanic Sénégalaise (Ernest Leroux, Paris, 1911), ص 71.

(2) ابن اسمه، ذات ألواح ودسر، مرجع سبق ذكره، ص 7. وأروان بوسط مالي وواد نون بجنوب المغرب واجيولوف منطقة تقع وسط السينغال، وإيسنغان منطقة سينغالية تعرف بإقليم كايور وما يتعلق به كباول وسين سالم.

والشجاعة محنض بن أعليجه انذقال[1] من قبيلة إيدغبرهم التونكلية.

وقد ذكر الشيخ سيد محمد بن الشيخ أحمدو هذه الوقعة في رسالة في التاريخ بعث بها إلى كوماندان گادن ذاكرا أنها دارت قبل أمر تشمشه بزمن فقال: «إن أول أمر تشمشه أن أجدادهم كانوا ساكنين في أرض القبلة (=الگبله) ومالكين لها، فمنهم أهل المواشي الذين يذهبون يمينا وشمالا للرعي وطلب الكلإ، ومنهم قصور تحرث الأرض وتبني الأخصاص حتى أجلتهم السودان عنها، ووقعت بينهم وقائع لما تسلطت عليهم السودان في أرضهم، فمنها وقعة إيدونيك مات فيها ثمانون تونكليا من أشرافهم، وأجلوهم عن أرضهم إلى التل [=الشمال]، وبعد ذلك بدهر طويل كان من أمرهم ما كان من أمر الفريقين اللذين تحاربا وغلب أحدهما الآخر إلى آخر ما في "شيم الزوايا" لمحمد اليدالي، وكتاب الشيخ أحمدو بن اسليمان[2]»، وهذا لا يمكن التوفيق بينه وبين ما ذكر والد بن خالنا ونقله المختار بن حامدن من أن محنض الذي أوردا أنه مات في هذه المعركة من عقب إبراهيم بن عامر إنلل أخي مهنض أمغر، أحد مؤسسي الخمسة، فالمعركة إذن بعد أمر تشمشه لا قبله، كما أنه لا يوجد ما يدل على أن أسلاف تشمشه جميعهم كان لهم حضور في الگبله قبل أمر تشمشه.

وأقرب شيء أن يكون ابن الشيخ أحمدو أراد بأسلاف تشمشه الذين كانوا في الگبله أسلاف بعضهم، خاصة التونكليين، فهم الذين تحدثت المصادر التاريخية عن وجوهم بالمنطقة قبل وإبان تشكل قبيلة تشمشه. أما جلاؤهم الذي ذكر إلى التل (=الشمال) قبل بدء أمر تشمشه فيبدو أنه حاول -أو حاولت الروايات التي نقل عنها- التوفيق به بين روايات وجود التونكليين المذكور في الگبله قبل تأسيس تشمشه، ورواية محمد اليدالي التي تقول بأن أسلاف تشمشه بمن فيهم مهنض أمغر التونكلي قادمون من التل.

---

(1) ابن حامدن، حياة موريتانيا، جزء أولاد ديمان، مرجع سبق ذكره، ص39.

(2) الشيخ سيد محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان (ت1339)، رسالة في التاريخ، تحقيق سيد أحمد بن أحمد سالم، مجلة الوسيط، عدد4، 1992، ص64. وإيدونيك موضع يقع قرب مدينة اركيز بولاية الترارزة.

ومن وقائع التونكليين التي خاضوا ضد خصومهم تلك التي واجهوا فيها أولاد رزگ، وقتل خلالها حبيب التونكلي (من عقب سيد إنلل أخي علي التونكلي) سيد أحمد بن أوديكه بن أبي يعلى الخليفي[1] رئيس أولاد اخليفه من أولاد رزگ[2].

غير أن الحروب الطاحنة التي دارت في الگبله في تلك الفترة من أجل الهيمنة على المنطقة، أدت مع ما رافقها من انتشار السلب والنهب والغزو المتكرر وفرض المغارم واسترقاق الأحرار، إلى تفتت قبيلة التونكليين، وتفرق شظاياها بين قبيلة أولاد ديمان وقبائل لمتونية أخرى، بعد أن لم تمكنها مواجهتها بالسلاح لأولاد رزگ عن شمالها، ولأولاد تنگلل عن جنوبها من المحافظة على كيانها، لاسيما بعد أن أفقدها إيفلان ثمانين من أبنائها في معركة واحدة، في ظل فوضى سياسية عارمة تميزت بالعنف والعنف المضاد، مفسحة بذلك المجال لقبيلة تشمشه التي ستتبوأ مركزها رافعة شعار العلم الأعزل.



(1) ابن حامدن، نبذة من تاريخ الصحراء القصوى، مرجع سبق ذكره، ص76.

(2) ابن حامدن، حياة موريتانيا، جزء أولاد ديمان، مرجع سبق ذكره، ص40.

تشمشة: القلم الأعزل

بادت فيما بين القرنين الثامن والتاسع في خضم التنافس السياسي بين قبائل بني حسان الوافدة فيما بينها من جهة، وبينها وبين قبائل البربر والسودان وصنهاجة التي كانت تعمر الأرض من جهة ثانية، قبائل كثيرة من القبائل التي كانت تسكن الگبله، وتفرقت بقية أكثرها في القبائل. وممن تفرق في القبائل قبيلة التونكليين التي لجأ منها مهنض أمغر بن عامر إنلل التونكلي إلى المدلش[1].

ولجأ إلى المدلش أربعة آخرون هم كما ذكر عبد الله بن أمين في "عقود الجمان" بقوله: «ديال (يديال) يعقوب أكا. ويلش جد قبيلة إيداڤفغ، المنحدر من محمد بن الأحمر حيث يلتقي في نسبه مع إيدوعلي. وبامسه (أبو موسى) بن عامر بن يهني (=أبي هاني) جد قبيلة إيدگبهني، الذي قال والد إنه ينحدر من الأنصار، وهكذا قال محمذن بن الهاشمي بن الأمين البهناوي[2]»، وقيل بشرفه. «ويداج أكد بوفه بن محمد بن مغميه بن عمد قضيح (=محمد فاضل) من يدرن تگجمت، جد قبيلة إيدودابي، وفي يدرن تگجمت يلتقي مع قبيلة دگمطف وفي محمد بن مغميه يلتقون مع بني محنض بن اعليجه بن موسى بن يداج بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن مغميه الداخلين في بني المختار بن عثمان بن يعقوب بن أشفغ ابهنض بن مهنض أمغر، ويتنسب إلى خالد بن الوليد أو إلى حمير[3]. والمشهور شرفهم. «وأبهنضام بن محمد بن يعقوب الجامع، جد قبيلتي إيديقب وأهل بارككله الحساني الجعفري[4]».

أما بابكر بن احجاب، فقال عنهم نظما ما نثره: أن من قريش هؤلاء النفر: ديال يعقوب ومهنض أمغر وابهنضام المنحدر من جعفر الطيار، وأنه اختلف في يداج، فقيل: حميري، وقيل من نسل خالد بن الوليد، وقيل من نسل الحسين بن علي بن أبي

---

(1) المختار بن حامد، حياة موريتانيا، جزء المدلش، مرقون، ص 32.

(2) قال محمذن بن الهاشمي بن الأمين البهناوي:

وتخصهم أنساب الأمسنة أننا ... نسبنا إلى الأنصار موفورة هاشم

(ابن أمين، عقود الجمان، مرجع سبق ذكره، ص 37).

(3) المرجع نفسه، ص 38.

(4) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

طالب، وأن الوقف في بدعه أحوط إلا لمن أحاط بخبر[1].

وقد رويت عن كيفية لجوء الخمسة المؤسسين لتشمشه إلى المدلش روايات بعضها ذو بعد أسطوري كرواية صالح بن عبد الوهاب[2] الذي قال في الحسوة البيسانية: «روي بعض نسابة أهل بلاد أقصى المغرب أن خمسة رجال لصوص اجتمعوا على لصوصيتهم فذهبوا حتى أشرفوا على محلة مدلش ومعنى هذا الإسم بالصنهاجية مجلس العلم وهم زوايا تلك الجهة في ذلك الزمن، فأرسلوا واحدا منهم يتجسس في المحلة فسمع قارئا يقرأ القرءان كله فحفظه ظنا منه أنه غناء ولم يختلف عليه فيه إلا قوله تعالى فيه فيه رجال لم يدر هل هما بالفاء أو بالقاف فأتى أصحابه فأخبرهم بما سمع وحفظ فلما عرفوا أنه كتاب الله تعالى تابوا إليه وأنابوا وسكنوا مع مدلش حتى صاروا قبيلة تسمى تشمشه ومعناه بالصنهاجية الخمسة[3]»، فبعد هذه الرواية الأسطوري ظاهر[4] لكنه مع

---

(1) قال بابكر بن احجاب:

فمن من قريش هؤلاء النفر	فيسأل يعقوب بن منقى أخضر
وهكذا ابن هشام أيضا نسبا	لجعفر الطيار منهم نسبا
والخلف في سادج قيل حميري	وقيل نسل خالد الليث الجسري
وقيل من نسل الحسين بن علي	—والعلم عند الله— سبط الرسل
والوقف في بدعه أحجى للبسري	ما لم يحط بكنهه من مخبر

(ابن باباه، تاشمش ودورها السياسي والثقافي، مرجع سبق ذكره، ص27).

(2) صالح بن عبد الوهاب: هو محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري العالم القاضي المؤرخ المتوفى بعد 1276هـ عن مائة وعشرين سنة، قيل إنه مكث أربعين منها في التعلم، وأربعين في البحث والتجوال وأربعين في التدريس والقضاء، من أشهر مؤلفاته "الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية".

(3) محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري، الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية، تقديم وتحقيق: إزيد بيه بن محمد محمود، سيدي أحمد بن أحمد سالم، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1998، ص40-41.

(4) يظهر بعد هذه الرواية الأسطوري من أوجه عديدة، منها أن من لا يميز بين القرءان والغناء لا يمكن أن يكون إلا أعجميا، ومنها أنه لا يتسنى للعربي حفظ كل القرءان دفعة واحدة فكيف بالأعجمي، ومنها أن فيه فيه تختلف مع قيه قيه خطا لا لفظا لأنهما متباعدتي المخرج فالأولى أن يختلفا على القارئ لا على السامع.

ذلك يعكس صدى لروايات أن الخمسة أو بعضهم كانوا في الأصل أهل شوكة يمارسون غزو القبائل بحثا عن المغارم، ومثل هؤلاء كانوا يوصفون من طرف المغزُوِّين في لغة أهل ذلك العهد باللصوص[1].

وهناك رواية محمد اليدالي، وهي أقدم الروايات وأكثرها شيوعا، وتقول بـ«أن أصلهم من قرية يقال لها تارودانت، خرجوا منها إلى آدرار، في قرية منه يقال لها آبير، ثم خرجوا منها إلى القبلة (=الگبله) متفاوتين في الخروج.. وسبب خروجهم أنه لما وقعت الفتن بين أهل آدرار، وكثر الهرج فيه، خرجوا منها هاربين من الفتن[2]».

لكن محمد اليدالي نفسه سيقدم لمجيئهم إلى المداش روايات تتعارض مع رواية القدوم من تاردانت إلى آدرار ومنها إلى الگبله، حيث تتحدث هذه الروايات عن مجيء الخمسة بطرق مختلفة، إلى درجة لا نجد معها في النهاية عن مجيئهم من آدرار إلا قصة ديبال يعقوب وحده، التي قال اليدالي بشأنها: «ثم إن أول من قدم منهم إلى القبلة (=الگبله) يديبال يوقب [=يعقوب] جد إيداشغره، وذلك أنه لما وقعت الفتن بين أهل «ادرار»، وكان من أهله، خرج من قصره هاربا من الفتن هو وأخته وزوجته، حاملا كتبه على حماره.. فلما شخص من القصر إذا فيل بارك عليه سرج، فحمل عليه كتبه ونساءه، فتوجهوا نحو القبلة (=الگبله) حتى قدموا على أحياء المجلس، فوجدوهم في تيرس، فلما قاربهم برك الفيل وتركوه ودخلوا المجلس واستوطنوهم، وتزوج الشيخ منهم[3]». فلعله عن هذه الرواية تطورت الرواية التي تجعل الخمسة كلهم قادمين من آدرار، لأن اليدالي لم يذكر آدرار كجهة لقدوم بقية الخمسة بعد ذلك، بل قال متحدثا عن مهنض أمغر دون تحديد لجهة مقدمه: «ثم قدم عليه مهنض أمغر جد أولاد ديمان، وتزوج بنت الشيخ، وقيل تزوج مجلسية بعد أن طلق زوجته، وهي أم أشفغ موسى بن أشفغ مهنض أمغر، وهي امرأة من إيدكشكلك، قبيلة زاوية قديمة بالمغرب[4]».

(1) ابن باباه: نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص76.

(2) المرجع نفسه، ص78-80.

(3) المرجع نفسه، ص80.

(4) المرجع نفسه، ص80-81.

وأضاف: «ثم قدم عليهما يدمسه فتزوج أخت يدبياج [=يدبيال] يعقوب التي قدم معها من آدرار، وقيل تزوج مجلسية أخت زوجة الشيخ يدبياج [=يدبيال][1]».

وذكر اليدالي من جهة قدومه رواية لا ذكر فيها أيضا لآدرار، فقال: «وكان يدمسه قبل توبته في رهط من تندغه هو وأخوه مالك حتى طرقا ليلة محلة المجلس مع أصحابهما متلصصين يريدون أن ينهبوا شيئا من أموالهم، وذلك زمان الحرب بين المجلس وتندغه، فاتفق أن مر يدمسه في تلك الليلة بجد إيداشفغه ومهنض أمغر متهجدين قائمين الليل، فاستمع قراءتهما فوقعت التوبة في قلبه حينئذ، فجلس مع الشيخين وتخلف عن أصحابه. ثم إن أصحابه أخذوا غنيمة، فرجعوا إلى يدمسه فراودوه أن يمشي معهم، وأخبروه بغنيمتهم فأبى، وتركوه مع الشيخين[2]»، ولعله عن هذه الرواية تطورت رواية صالح بن عبد الوهاب المتقدمة.

وأضاف اليدالي: «ثم قدم على الثلاثة يداج أگد برغه فتزوج بنت الشيخ مهنض أمغر، وقيل: تزوج مجلسية شقيقة زوجة الشيخ أشفغ مهنض أمغر، ثم قدم على الأربعة خامسهم ابهنضام جد ذوي يعقوب، فتزوج مجلسية لم تكن من أكيد قرابات زوجات الأربعة، فلذلك كانوا ناحية من تشمشه[3]». ولم يذكر اليدالي شيئا عن كيفية مقدم هذين الأخيرين، ولا من أين أتيا.

ويبين ما هو متوفر من الروايات التاريخية أن أجداد أولاد ديمان وبعض قبائل تشمشه الأخرى كانوا موجودين في منطقة الگبله قبل تشكل تشمشه، وعمم الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان ذلك الوجود على جميع أجداد تشمشه بقوله: «إن أول أمر تشمشه أن أجدادهم كانوا ساكنين في أرض القبلة [=الگبله] ومالكين لها[4]»، ثم قال بأن السودان «أجلوهم عن أرضهم إلى التل [=الشمال]، وبعد ذلك بدهر طويل كان من أمرهم ما كان(5)»، ولعله افترض -أو افترضت

(1) المرجع نفسه، ص81.

(2) المرجع نفسه، ص76.

(3) المرجع نفسه، ص82.

(4) الشيخ سيدي محمد، رسالة في التاريخ والأنساب، مرجع سبق ذكره، ص64.

(5) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

الروايات التي نقل عنها- أن هذا الجلاء كان إلى التل (=الشمال) تحديدا للتوفيق بين ما ذكر من أقدمية تشمشه في الگبله، ومقدمهم من آدرار (حيث إن آدرار من التل) الذي ذكره اليدالي، وكل هذا سببه على ما يبدو التعميم الذي وقعت فيه روايات الطرفين.

إننا لا نجد تاريخيا ما يدعم رواية الشيخ سيدي محمد التي تجعل كل أجداد تشمشه كانوا في الگبله قبل وقوع أمرهم، إلا إذا اعتبرنا الأمر يتعلق بأجداد بعضهم (التونكليين مثلا)، كما لا نجد ما يدعم رواية محمد اليدالي التي تجعل كل الخمسة قدموا من تارودانت بالمغرب إلى آدرار، ومنه إلى الگبله إلا مع افتراض أن تارودانت كانت مهدا أو ممرا للطوائف المرابطية التي هي مصدر انتماء بعض أسلاف تشمشه (كما هو حال التونكليين)، وهو انتماء قديم سبق قيام تشمشه بقرون، كما لا نجد لأي من الخمسة صلة بآبير أو آدرار أو التل (=الشمال) عموما الذي ذكر اليدالي والشيخ سيدي محمد باستثناء ديال يعقوب. وحتى لو اعتبرنا أن ابهنضام قادم بدوره من الشمال استنادا إلى نسبه الحساني، فإن الثلاثة الباقين ذكر اليدالي عنهم ما يجعل صلتهم ببلاد الگبله قبل تشكل تشمشه أظهر من صلتهم بغيرها.

ولعل التعميم الذي طبع مختلف روايات قدوم الخمسة وتشكلهم -أيا كان مصدره- كان يهدف عن وعي أو عن غير وعي منها إلى تعزيز الأواصر القائمة بين قبائل تشمشه الخمس وتقويتها، حيث تدفع وحدة المنطلق ووحدة الهدف إلى الاعتقاد بوحدة المصير.



وقد وجد ابن اخبيّب طريقة لتجسيد هذه الوحدة الحماسية بتشبيهها باليد، حين دعا قبائل تشمشه إلى أن يظلوا كما كانوا يدا واحدة في فعل الخير، قائلا: «وإليك اليد التي يبسطون بها معا، ويقبضون

بها معا: ففي الخنصر يدمسه [=أبو موسى] بن عامر بن بهني [=أبو هانئ] نظرا لصغر قبيلته.. ويليه في البنصر يديال يعقوب بن أگد بويك بن محمد بن بلحمر بجامع النسبة التي بينه وبين يدمسه.. وفي الوسطى أطول الأصابع مهنض أمغر بن عامر إتلل بن علي التونكلي إشارة إلى مآثره الرفيعة، وخصاله الحميدة.. وفي السبابة التي لها في خاصة اللمس ما ليس لغيرها من الأصابع يداج أگد برغه، صاحب الفتح والبركة واليمن.. وفي الإبهام المنفرد عن الأصابع، والتي في الأنملة منها خمس من الإبل ابهنضام [=أبو أحمد آم (=عامر)] المنفرد بالناحية الشمالية الغربية(1)».

ويبدو أنه تبع في تشبيهه لتشمشه بأصابع اليد الشيخ محمد المامي(2) لكن ابن احبيب جعل ابهنضام بمثابة الإبهام باعتبار انفراد ذويه عن ذوي الخمسة، بينما جعل الشيخ محمد المامي مهنض أمغر في مقام الإبهام منها باعتبار آخر(3).

وتواصل التعميم الخماسي في الرواية الشمشوية عند تعرض اليدالي لسبب تسميتهم بتشمشه، حيث يقول: «إنهم خمسة رجال خلف كل واحد منهم خمسة أولاد، عقبوا كلهم، وتعاقدوا على خمسة أشياء، ومعنى تشمشه بالعجمية المخمسة(4)»، في حين أننا لا نجد في الواقع هؤلاء الأولاد الخمسة إلا لدى اثنين فقط من الخمسة هما: مهنض أمغر ويدمسه، حيث أنجب مهنض أمغر: أشفغ موسى، وأشفغ ابهنض يحيى، وأشفغ أبياي يعقوب، وأشفغ يدهنض، وأشفغ أويك، وأنجب يدمسه: بزيگنذه، وأبا بكر، وعامر (=أعمر) الملقب آم، وأحمد شالل، وهمظمظ، بينما لا يعرف لابهنضام إلا أربعة أولاد هم: يدبهنض، ومهنض، وأبجس،

---

(1) ابن احبيب، كتاب الأعداد، مرجع سبق ذكره، ص229-230. والمصورة من نفس المرجع، ص312.

(2) الشيخ محمد المامي بن البخاري بن حبيب الله: إمام جليل وعلامة مشهور، تفوق على أقرانه في العلم والفهم. ت1282هـ.

(3) قال الشيخ محمد المامي عن أولاد ديمان في قصيدته "الدالفين":

إبهام خمس المجمعات الذين هم ... أتسوف حسي البوادي والعمارين

(4) ابن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص70. وفيه خمسة بدل المخمسة، والتصحيح من عبد الله بن امين، عقود الجمان، ص32.

وأبياي، ولا يعرف لينداج أكد برغه إلا ولدان هما: يحيى، وزكرياء، ولا يعرف لدبيال يعقوب إلا ولد واحد هو: أبياي[1].

أما الأشياء الخمسة التي تعاقدوا عليها فلا نجدها هي الأخرى، وإن فرضنا أنها الأشياء الواردة في آيات ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ (الآيات 63-72/ الفرقان) التي هي دستور تشمشه فهذه أكثر من خمسة، وإن فرضنا أنها الأشياء التي ساق اليدالي في كتابه "شيم الزوايا" على أنها هي شيمهم فهي أيضا أكثر من خمسة، وإذ فرضنا أنها المسائل التي أشار ابن حبيب في كتابه "الأعداد" إلى أن مينّحنه[2] ذكرها[3] فهي أكثر من خمسة كذلك، وتتقاطع مع ما ذكره اليدالي الذي يبدو أنه ناقل عنه. وقال ابن احبيب: «وقد أخبرني مخبر أن المسائل الخمس هي: الصبر بأنواعه -أي: على الطاعة، وعن المعصية، وفي الشدة-، وعدم مخالطة الظلمة، وأن يكونوا يدا واحدة على الظلم، وألا يتحاكموا في مال، ومن ادعى عليهم شيئا تركوه له[4]»، ولعل هذا المخبر لم يفعل سوى أن استخرج هذه المسائل مما ساقه اليدالي في "شيم الزوايا"، وفيه أكثر من خمس كما تقدم، أو لعله دمج ما ذكر اليدالي من أمور في خمسة مبادئ رئيسة، كما فعل ابن باباه في كتابه "تاشمش ودورها السياسي والثقافي"[5]. وهذا كله حرصا -عن وعي أو عن غير وعي- على أن يظل تعميم الوضع الخماسي حاضرا في كل ما يتعلق بالخمسة. ولعله لهذا السبب لم يتغير هذا الحلف الخماسي (المقدس على ما يبدو) حتى بانضمام رجال جدد آخرين لهذا الحلف الشمشوي[6]، بل ظل يقال لدى

---

(1) ابن امين، عقود الجمان في أنساب بعض بني ديمان، مرجع سبق ذكره، ص32.

(2) مينحنه (=محمد): هو أشفغ (=الفقيه) مينحنه بن مودي مالك، كان صالحا عالما جليلا قاضيا، خاتمة الأعلام، سأل السلطان المولى إسماعيل ابن رازكه عن أعلم أهل الكبله فقال: مينحنه. (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص83).

(3) ابن احبيب، كتاب الأعداد، مرجع سبق ذكره، ص222.

(4) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(5) ابن باباه، تاشمش ودورها السياسي والثقافي، مرجع سبق ذكره، ص42-44.

(6) انضمت إلى حلف تشمشه إعجابا بميثاقهم الأخلاقي ونهجهم العلمي مجموعات قبلية عديدة منها إيدودن يعقب (=يعقوب)، وإيجكوجي، وأهل بوفلان، وأولاد أشفغ حيبلل، وأهل المبارك، وأهل الشاهد، وغيرهم.

الحديث عنهم: سادس الخمسة، وسابع الخمسة، وهكذا... بدلا من أن يقال: سادس الستة لأنهم أصبحوا ستة، أو سابع السبعة لأنهم أصبحوا سبعة مثلا، حرصا على الحفاظ على الأساس الخماسي للبنية الشمشوية الأصيلة في التقاليد الصحراوية.

وإذا تجاوزنا بنية تشمشه وشكل حلفها إلى مضمون هذا الحلف، فيمكننا أن نقول إن مضمون هذا الحلف يظهر بوضوح أنه حلف قيم، قرر أصحابها أن يتخلوا من أجلها عن أي مرجعية سواها، حتى لا يعرفوا إلا بها. ولكي يتسنى لهم ذلك اتفقوا على كتمان أنسابهم، وتناسي أحسابهم، وتعويضها بالمنظومة السلوكية التي اختطوا لأنفسهم.

ويظهر من تحليل هذه المنظومة المؤسسة على مضامين آيات ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا..﴾ (الفرقان 63-72) أنها، في الوقت الذي تنسجم فيه مع التوجه الصوفي الملامتي القائم على الرجوع على النفس باللوم ونكران الذات الذي كان سائدا في المغرب والصحراء في ذلك العهد، تساعد الأفراد والمجموعات الأضعف على التكيف مع الأوضاع الصعبة التي فرضتها التحولات الكبرى التي مرت بها منطقة المغرب والصحراء في تلك الفترة.

ويظهر من لغة هذا الحلف أنه كان تعبيرا عن فلسفة تشمشه ومنهجها الذي اختارته لمواجهة ضغط وبطش ذوي الشوكة من القبائل والمحلات التي كانت تجوب المنطقة لتغريم أهلها، حيث كانت نبرة عدم الرضى عن الواقع ومحاولة التكيف معه، بل والتفوق عليه، واضحة في ثنايا سطور ذلك الحلف الذي لا نعلم من تفاصيل تأسيسه سوى أنه تأسس فوق ربوة من روابي بئر أگننت[1] المملوكة لقبيلة إيجكوجي التي جمع أسلافها بأسلاف التونكليين ماض مشترك في إطار المحلات المرابطية النازحة من المغرب بعد قيام الموحدين، وآوتهم لديها بئرها التي وجدوا فيها المكان المواتي لاجتماعهم وإقامة حلفهم.

وتسمح لنا إعادة استقراء ما كتبه اليدالي في "شيم الزوايا" عن مضمون هذا الحلف بإرجاعه إلى نقطتين رئيستين: هما المقاومة السلبية، والتضامن.

---

(1) أگننت: بئر في شمال إيگيدي الغربي يقع جنوب تندگسمي على مسافة 20 كم تقريبا.

1 – المقاومة السلبية:

وتجسد هذه النقطة كيفية تعاطيهم مع المحيط الخارجي الذي يحيط بهم، حيث تعتبر التمسك بسنة رسول الله ﷺ والعض عليها بالنواجذ أول البنود في هذا الحلف، وهو الملاذ في وجه التحولات العاصفة التي كانت تمر بها تلك الحقبة، ثم الصبر بجميع أنواعه: صبرهم على جور بني حسان، وعلى عدم تحمل الغرامة لهم، لأن من شأن عدم صبرهم عليه أن يذهب بشرفهم وسمعتهم، وصبرهم على ما يطرأ على البئر والمراح والمرعى مما يثقل عليهم، وتجاوزهم عن جفاة الطبع، وكظم الغيظ، وحسم مواد الفتن، وعدم مخالطة الناس، ورؤية محاسن الناس، والتغافل عن مساوئهم، وعدم رضاهم عن أنفسهم، وأنهم لا يعادون أحدا لحظ أنفسهم، وإنما الناس هم الذين يعادونهم، ومداراتهم للناس، وتسويتهم الوضيع والرفيع في الضيافة، وعدم مقابلتهم أحدا بسوء، وقلة الطمع فيما في أيدي الناس، ولا سيما الظلمة، والتقليل من مداخلة غيرهم، ومن ادعى عليهم شيئا تركوه له، وإن كان الحق لهم ولم يساعدهم تركوه له أيضا(1).

2– التضامن:

وتجسد هذه النقطة الحفاظ على بنيتهم الداخلية، حيث لا يجمعهم سلف مشترك، ولذلك كان من أهم بنودها: محبة بعضهم لبعض حتى كأنهم بنو أب واحد، وصحبة بعضهم لبعض، ونصحهم له، وكثرة التواصل والتزاور فيما بينهم، والانغلاق على أنفسهم، وعزوفهم عن الدنيا، وعدم تنافسهم فيها، وترك الخصومة في الدنيا فيما بينهم، وعدم التنازع في متاعها(2)، وعدم الغل والغش، وإيثار كل منهم

(1) من اليدالي بتصرف، (ابن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص58-63).

(2) ذكر اليدالي أن أول من تخاصم على الدنيا منهم هو أبو يعدل مع ابن عمه موسى بن أبي بكر شلل فترافعا إلى سيدي الفالي فأخفى مرافعتهما عن الناس، وأمر بأن يضرب عليهما بستر لأنه عد ذلك عورة شنيعة (ابن باباه، ص57-58). وكانت هذه المرافعة بعد مرور أكثر من قرن على قيام تشمشه.

للآخر على نفسه[1].

وكانوا يتعهدون هذا الحلف بالتجديد كل سنة، أو متى ما أتيح لهم ذلك، فيجتمعون له بآكننت، ويجددون التمسك بما تحالفوا عليه فيه من القيم الدينية والأخلاقية التي نقلت الروايات الشفهية من مقتضياتها أنهم كانوا يتتابعون خلال اجتماعهم لتجديد حلفهم على الوقوف على الملإ، واستعراض أثوابهم رجلا بعد رجل، كلهم يقول بأنه لم يعص الله تعالى في ثوبه ذلك طيلة السنة المنصرمة.

وكانوا يتواصون فيه بصورة خاصة بالصبر، في ظل معاناة مستمرة -لم تتراجع إلا بسيطرة المغافرة على المنطقة- من أمراء الحرب ومحلاتهم التي كانت تجوب المنطقة بحثا عن المغارم، ولم يكن لهم من وسيلة لمواجهتها -لعدم قدرتهم على مواجهتها بالسلاح- إلا المرتبة الدينية التي كان من أهم وسائلها لدى المجتمع في ذلك العهد: العلم، والكرامات، والأسرار (=أسرار الحروف). ولأن الطريق المثلى لتحقيق هذه المرتبة كان التعلم والتدين والانقطاع إلى الله تعالى، والاحتماء به، فقد كان ذلك في مقدمة اهتمامات الحلف الشمشوي.

وينقل لنا اليدالي في كتابه "شيم الزوايا" نماذج من معاناة تشمشه الطويلة مع محاولات مختلف المحلات الحربية خاصة أولاد رزگ تغريمهم، وكيف تخلصوا من ذلك[2].

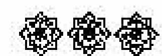
وبهذا الحلف القائم على العلم الأعزل إلا من سلاح العلم والكرامة استطاعت تشمشه أن تستمر وتصمد في وجه التحولات الشديدة التي عصفت بالمنطقة، ولم

---

(1) المرجع نفسه، ص58-61.

(2) فمن هذه النماذج قول اليدالي: «كان گندوز بن موسى البوعلي الرزگاني قبل مجيء المغافرة شديد الجور على تشمشه، حتى إنه إذا أتت راويته إلى بئرهم، لا يبرك جمله حتى تسقى قربه، والجمل واقف، وإذا أصبح البقر عليه باركا لا يثيره أحد من مباركه ولو أهله، حتى ينهض البقر وحده. واتفق أن أتى تشمشه وهم عند آكننت، هو وأصحابه، وباتوا يقتسمون تشمشه، وأجمعوا أمرهم على أن يصبحوهم بالغارة، أو بقبول المغرم. وبلغ ذلك تشمشه فقالوا: بل نحن نقتسمهم إن شاء الله، فقام منهم اثنا عشر حافظا للقرآن، وقرأ كل واحد منهم سورة (طه) على بعرة، ثم حفروا حفرة، وجعلوا فيها تلك البعرات فردمها واحد منهم بمقاعده، فاتفق أن صبح گندوز عمه وأولاده بالقتل، ففرج الله عن تشمشه». (ابن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، ص65-67).

تزل تتلاحق إلى أن استتب وضع الكبله نهائيا للمغافرة بعد حسمهم الحرب ضد أولاد رزگ في معركة انتيتام (1040 هـ/ 1630 - 31م)، كما استطاعت أن تؤسس مدرسة أخلاقية متميزة، أطلقت نهضة علمية قوية، انتشرت بفضلها المحاظر والمكتبات[1]، ووضعت البذور الأولى لمجتمع سينجب ثاني أكبر حركة دينية عرفتها هذه البلاد بعد حركة المرابطين هي حركة الإمام ناصر الدين.



(1) تذكر المصادر أن سيدي الفالي بن محنض بن ديمان (ت 1047هـ) كان شيخ محظرة، وأن ابنه أشفغ الأمين نقل الديباج لابن فرحون، واشترى مكتبة عامرة بمائة ناقة.

حركة الإمام ناصر الدين: العلم المسلح

كان رحيل الكتيبات الرزكانيين من تنياشلى[1] فارين من المغافرة إلى انتيتام[2] أمرا صعبا بالنسبة لتشمشه الذين كان لهم في أولاد رزگ ملاذ من محلة العروسي[3] التي كانت تجوب الكبله آنذاك بحثا عن المغارم، فقد كان الرحيل إلى انتيتام مع أولاد رزگ يعني حضور هزيمتهم المتوقعة والهرب معهم من وجه المغافرة، وهو ما سيكون له سيء الأثر على علاقة تشمشه بالمغافرة مستقبلا، ولذلك، آثروا البقاء عندما سمعوا برحيل العروسي إلى التل (=الشمال)، فلما رحل الكتيبات تفرقوا حرصا على حماية كياناتهم، فالتحق بنو ديمان بأبناء عمهم إيدغهمذ التونكليين، والتحق بنو يدمس ببني إيدودن أبجه[4]، وإيداشغره بإيد گجه[5]، وبنو يدام من بني يعقوب بالسوداني بوبكر جوب[6]، وبنو يدن ابياج منهم بإيجيجبه[7].

ووقعت معركة انتيتام التي يقول محمد اليدالي إن السبب المباشر فيها «أنه لما

---

(1) ابن امين، عقود الجمان في أنساب بعض بني ديمان، مرجع سبق ذكره، ص32.

(2) انتيتام: بئر تقع 7كلم شمال شرقي مدينة الركيز بمنطقة الترارزة.

(3) ذكر اليدالي أن العروسي هذا هو سيدي إبراهيم بن سيدي أحمد العروسي، وذكر ابن باباه أن الصحيح أنه سيد أحمد العروسي نفسه لا ابنه سيدي إبراهيم، وأورد لذلك جملة من القرائن. (اليدالي: نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص87، الهامش 79).

(4) إيدودن أبجه: بطن من بطون تندغه، وفي أكثر النسخ المتداولة يدن أبجه، ويبدو أنه خطأ كما نبه عليه ابن باباه. (نصوص من التاريخ الموريتاني، ص96، الهامش 95).

(5) قبيلة لمتونية من قبائل زوايا الكبله، نزحت إلى بلاد مالي.

(6) هو رئيس قبيلة مصار جوب، كانت تسكن برويت، ثم نزحوا إلى جيولوف حيث أسسوا القرية المعروفة اليوم باسم انكگي.

(7) ابن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص96–97. وإيجيجبه إحدى قبائل الزوايا المشهورة، أصل اسمهم أولاد التائب، وحسب وثيقة عثر عليها المختار بن حامدن في ولاتة فإن جدهم تاب في إيديلب من تجكانت ولاتة، وتنقسم إيجيجبه إلى قسمين إيجيجبه الأوائل، وإيجيجبه الأواخر الذين دخلوا على الأوائل فأكرموهم بالرئاسة. كانت لهم القيادة في شربيه على الجبهة الشرقية مع إيدغزينبو وبارتيل وغيرهم من الزوايا.

وقع يوم النيش[1] بين المغافرة وأولاد رزگ، وقتل فيه اهيهنين بن عيسى[2]، ورجع أولاد رزگ إلى أهلهم، وكان الكتيبات ومن معهم منهم عند تنياشل، وأولاد بو اعلي ومن معهم عند تيلماس[3]. ثم غزت أولاد رزگ ورؤوسهم أولاد بو اعلي وغيرهم نحو أهل الشرق فأغاروا عليهم فغنموا أموالا جزيلة، ثم مرت كتائب أولاد بو اعلي وغيرهم غانمين بالكتيبات عند تنياشل، فكانوا كل ما مرت كتيبة من الغانمين سقت وسيقتها من تنياشل التي عندها الكتيبات، فإذا سقت اجتازت نحو أهلها عند تيلماس، ثم تأتي أخرى فتسقي وسيقتها كذلك، ثم أخرى كذلك بحيث لا يلحق بعضهم بعضا، إلى أن مرت آخر كتيبة من أولاد بو اعلي، وهم ثلاثون، فتعرض لهم الكتيبات فقتلوا الرجال ونهبوا وسائقهم، فغضب أولاد بو اعلي من ذلك غضبا شديدا حتى ألجأهم الغضب إلى أن مالؤوا المغافرة على الكتيبات.. فرحلت الكتيبات حينئذ ومن معهم من أولاد رزگ داوين خائفين من عسكر المغافرة فتلاحقت أولاد رزگ وأدركت عند انيشام، فكانت الوقعة المشهورة هناك على أولاد رزگ سنة أربعين بعد الألف (1630-1631م)[4]» التي أسفرت عن هزيمة أولاد رزگ واضمحلال قوتهم، واستبداد المغافرة بالزعامة على المنطقة.

وعاد تشمشه إلى مضاربهم بعد أن هدأت الأوضاع، فكانت للمغافرة معهم محاولات لتغريمهم[5]، إلا أنهم في نهاية الأمر عرفوا بجانبهم أمنا واستقرارا لم

---

(1) النيش: موقع شمال منطقة الترارزة وقعت به معركة بين المغافرة وأولاد رزگ.

(2) اهيهنين بن عيسى: رئيس أولاد بو اعلي من أولاد رزگ.

(3) تيلماس: بئر تقع في وسط الترارزة على بعد 47كلم جنوب الكلم 37 شرقي انواكشوط.

(4) ابن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص94-96.

(5) استعرض اليدالي بعضها قائلا: «جاء ساسي بن داماني إلى تشمشه عند آگنتت وقال لهم إن لي ثلاث حوائج: حلة، ومزود زرع، وشيئا من التبغ فاقضوهن لي، فقام أشفغ أوبك التمگلاوي والفالي [=سيدي الفالي] بن محمد [=محنض] بن ديمان وأكابر تشمشه حينئذ، فأجمعوا على أن الزرع يقضى له من عند أبي الصالحين، والتبغ من عند أبي يمال، والحلة من عند محمد بن ديمان، وقيل محمد عبار. ثم أتوا ساسي بحوائجه الثلاث، فانصرف عنهم إلى حي إيدخيلو عند تنياشل فقال عندهم، فقال له رئيسهم أحمد: لقد فعلت يا ساسي شيئا عظيما إذ طلبت المغرم عند هؤلاء، فإني أخاف عليك منهم. ثم إن ساسي أعطى الحلة لزوجته فأخذته الحكة في جسده،

يعرفوا مثله في عهد أولاد رزگ، جعلهم يتكبون على تدبير أمورهم وسط احترام وإكبار من قبل المغافرة.

وبعد أقل من ثلاثين سنة على تغلب المغافرة وحلولهم محل أولاد رزگ ظهر في تشمشه الإمام أوبك (=ناصر الدين) بن أبهم بن يعقوب بن أكدام بن يعقوب بن أشفغ ابمنض يحيى بن مهنض أمغر الديماني بدعوته الدينية، التي يبدو أنها جاءت استجابة للوضع الاجتماعي الجديد.

ففي الوقت الذي ساعدت فيه الفوضى السياسية والأمنية التي رافقت فترة أولاد رزگ تشمشه وسائر الزوايا على التوجه إلى نمط من التدين المستغرق في البعد الصوفي الميتافيزيقي، يسمح لهم بالاغتراب وتجاوز الواقع المليء بالقهر والظلم والاستغلال، ساعد تراجع هذه الفوضى وازدياد مستوى الأمن في فترة المغافرة على خروجهم من هذا النمط، لا إلى نمط التدين المرتكز على الفقه التقليدي الذي يساير الحياة العامة ويجاريها، والذي هو الغالب في الأحوال الطبيعية، بل إلى نمط يجمع بين الاثنين، ويستفيد من ثمرتيهما معا.

ويبدو أن دعوة الإمام أوبك (=ناصر الدين) الديماني لم تكن الوحيدة التي ظهرت في المنطقة، فقد سبقتها خلال القرن العاشر الهجري (16م) دعوات دينية

وأعلف فرسه شيئا من ذلك الزرع فبينما الفرس يعلف إذا هو ميت حتف أنفه، فالحر ساسي حينئذ وركب وترك العلة والزرع والطبخ عند إيدخبانو، وقال لهم: أرسلوا هذا المتاع إلى أهله فأرسلوه إليهم». وقال: «جاء أولاد دامان أحمد وعثام وساسي إلى تشمشه والتمسوا منهم المغرم فأبوا، فانصرفوا عنهم على عزم الرجوع إليهم بعد حين، وقالوا لهم: لا بد لكم أن تعطوا لكل واحد منا جملا غرامة، وكان عثام هو المجد في ذلك. ثم إن المختار بن عبد الله بن كريم أهدى لسيد الفالي بن محمد بن يميان جملا جيدا، ومر في طريقه تلك بأحمد بن دامان وأخبره بهديته لسيدي الفالي. ثم جاء أحمد بن دامان إلى إخوته وقال لهم: إن أولاد عبد الل يهدون الزوايا الذين تريدون أن تغرموهم ويوقرونهم ويعظمونهم، والله لئن سبقوكم بالهدية ليسبقنكم بالدرجة أبدا فليهد كل واحد منكم جملا لسيدي الفالي، فعند ذلك أهدى كل واحد من أولاد دمان الستة [الصل السابع كان غائبا، فأولاد دامان سبعة] جملا لسيدي الفالي، فراح أربعة منهم يجرونها إلى سيدي الفالي وصحبه بهما زنون وساسي، وقيل إن هذا هو سبب درجة أولاد دمان إلى اليوم». (اليدالي بتصرف، ابن باباه، ص 85–87، و 97–98).

ذات بعد صوفي متعددة ومتلاحقة، غذتها نزعة المهدوية التي اجتاحت العالم الإسلامي خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (16- 17م)، بسبب اعتقاد كثير من الناس أن نهاية الدنيا ستكون في حدود سنة ألف للهجرة، فأصبحوا يتطلعون إلى ظهور المهدي، ويتوقعونه مع كل دعوة دينية جديدة تبرز، واستمر هذا الاعتقاد بعد انصرام سنة الألف لعقود طويلة، فظهرت في المغرب دعوات دينية عديدة لزوايا مختلفة من أبرزها دعوة شيخ زاوية الشراقة المنتسبة لسيد أحمد بن يوسف الراشدي (ت1523م)، ودعوة شيخ الزاوية العيساوية المنتسبة لسيد محمد بن عيسى المهدي، ويقال إنه شريف من أولاد بسباع (ت1534م)، ودعوة شيخ الزاوية الجزولية سيد أحمد بن موسى السملالي (ت1563م)، ودعوة شيخ الزاوية المصلوحية سيد عبد الله بن حسين (ت1569م)... إلخ. ثم ظهرت في بلاد شنقيط بمنطقة الگبله في تشمشه دعوة أوبك (=ناصر الدين) بن أبهم الديماني (1084هـ/ 1673م)، الذي اشتهر بكراماته الكثيرة وكشوفاته المتعددة، فمالت إليه القلوب، وأخذ يعظ الناس ويحثهم على التدين ثلاثة أعوام سمتها العامة أعوام التوبة، ثم دعا إلى بيعته، وتلقب بـ«سيدنا» ثم بـ«إمامنا» ثم بـ«مشيع الدين» ثم بـ«ناصر الدين»[1].

وكانت هذه الدعوات، لاسيما ما يحمل منها بعدا ميتافيزيقيا واضحا، دائما تواجه معارضة الفقه التقليدي، فعارض -فيما يخص هذه البلاد- مثلا فقهاء تنبكتو محمد عريان الرأس (ت1027هـ/ 1617م)[2]، ونقموا عليه بعضا من أموره، كامتناعه عن حضور الجمعة، كما عارض فقهاء حواضر وادان وتيشيت وأوجفت وأطار وشنقيط الإمام المجذوب (ت1098هـ/ 1687م)[3]، وكان من أبرز من عارضه الفقيه

---

(1) ابن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص127.

(2) عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، وقف على طبعه أوكتاف هوداس، مكتبة آمريكا والشرق، باريس، 1981، ص52. ومحمد عريان الرأس هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن موسى الملقب بعريان الرأس، صالح مشهور من صلحاء تنبكتو. (السعدي، ص52-56).

(3) عبد الودود بن عبد الله (ددود)، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن الثاني عشر (18م)، مركز الدراسات الصحراوية، 2015م، ص102. والإمام المجذوب هو محمد بن أحمد بن حسين السمسدي، صالح مشهور من صلحاء السماسيد. (ددود، ص101-104).

محمد بن المختار بن الأعمش الشنقيطي (1)، أما ناصر الدين فعارضه إضافة إلى ابن الأعمش وتلميذه محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي (2) اللذين كانا بعيدين عن منطقته الحاج عبد الله الحسني (3) أحد أكبر علماء منطقة الگبله، بينما اختبره عدد من العلماء المعتبرين ثم سلموا له أو سكتوا عنه. «وكان آخر من اختبره من علماء البلد القاضي عبد الله أبو محمد الشنقيطي (4) خلا معه طويلا، ثم أتى إلى بعض تلامذته، فقال: كيف وجدت الرجل؟ قال: وجدته والله بحرا يتموج في بدور العلم. ثم قال: الناس فيه ثلاثة: مفرط، ومفرّط، ومقسط وقليل ما هم (5)».

ووجدت دعوة ناصر الدين في ذاكرة تشمشه وسائر الزوايا من الاغتراب ما دفعهم إلى الالتفاف حولها على أساس أنها وسيلة لإعادة الاعتبار إليهم، متأثرين بالسياق الإقليمي الذي اجتاحته دعوات الزوايا المذكورة، لاسيما بعد أن تمكنت إحدى أقرب هذه الزوايا إليهم، وهي الزاوية الجزولية من إقامة إمارة شاسعة بالسوس أقامها حفيد مؤسس الزاوية: أبو حسون سيدي اعلي الملقب بودميعة، واستفحل أمرها اعتبارا من سنة 1037هـ حيث استولت على المسالك الصحراوية، وامتد نفوذها إلى كل من بلاد شنقيط والسودان.

---

(1) محمد المختار بن الأعمش الشنقيطي: هو العلامة الفقيه القاضي المبرز محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي، آلت أليه رئاسة الفتوى في شنقيط، وتخرج على يديه كثير من كبار العلماء. ت:1107هـ/ 1695م.

(2) ابن السعد، حرب شربيه، مرجع سبق ذكره، ص98-102. وهو محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي الفقيه العلامة المفتي، درس على محمد بن المختار بن الأعمش العلوي، وعاش في ولاته. ت1098هـ/ 1686م.

(3) الحاج عبد الله الحسني: هو العلامة الجليل الحاج عبد الله بن محمد (بوالمختار) بن أحمد الحسني. حج بيت الله الحرام سنة 1077هـ/ 1666هـ، وأجازه مفتي الحرم آنذاك أبن مهدي، ورجع بكتب مهمة من بينها إضاءة الدجنة التي يعتبر هو أول من أدخلها البلاد. ت ق 1102هـ.

(4) القاضي عبد الله أبو محمد الشنقيطي: هو العلامة القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن حبيب الشنقيطي المشهور بقاضي البراكنة، أول من هاجر إلى بلاد الگبله من إيدوعلي، أقام في أولاد ديمان وعلم فيهم. نصب قاضي القضاة للبراكنة. ت1103هـ/ 1691م.

(5) ابن بنباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص120-121.

ويبدو أنه كان لشمشه تأثر خاص بهذه الزاوية التي كانوا على تواصل معها، أو كانت لهم معها علاقات من نوع ما، حيث أهدى أبو حسون بودميعة السملالي جارية أولاد يحيى (=أشفغ امبنض) بن ديمان (=مبنض أمغر) جد إيداابهم التي تدعى امباركه بنت يرگ للمولى شريف بن علي (جد ملوك الدولة العلوية الحالية) صاحب زاوية إفلالت الذي كان مسجونا لديه، وبقي كذلك إلى أن افتكه منه ابنه المولى محمد بمال جزيل سنة 1047هـ، وولدت امباركه هذه للمولى شريف ابنه المولى إسماعيل. تحدث عن هذه الجارية مؤرخ الدولة العلوية مولاي عبد الرحمن ابن زيدان في كتابه "المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف" قائلا: «وأمه مباركة بنت يرگ المغفري الأوديي المتوفاة سنة ثمان وسبعين وألف [1078هـ/ 1668م]، قبرها بروضة الأشراف يمين الداخل لقبة ضريح مولانا عبد الله بفاس[1]»، مضيفا: «كان أعطاها لوالده أبو حسون أيام اعتقاله له كما أفصح بذلك صاحب البستان وغيره، وتلك الأمة من مماليك أولاد يحيى بن ديمان[2]»، آلت من أولاد يحيى بن ديمان إلى أولاد جرار، ومنهم إلى أبي حسون السملالي الذي أهداها للمولى شريف[3]، لكن لا ندري هل كان ذلك إهداء من أولاد يحيى بن ديمان للمغافرة أو لأولاد جرار، ومنهم آلت لأبي حسون، أو كان إهداء مباشرا لأبي حسون من أولاد يحيى بن ديمان أوصلها المغافرة إلى أولاد جرار الذين أوصلوها أو وصلت تحت حمايتهم وخفارتهم إلى أبي حسون، حيث تحتفظ الذاكرة الديمانية بمعلومات مشوشة عن علاقة قديمة لأولاد ديمان بالزاوية السملالية لا يتبين منها إلا أنه كانت هناك في عهد ناصر الدين مهاداة وصلات تجارية بين الطرفين. وقد نسبت امباركه بنت يرگ هذه إلى المغافرة لهذا السبب أو لأن موطن أولاد ديمان أصبح منذ سقوط دولة أولاد رزگ 1040هـ جزءا من بلاد المغافرة الذين بسطوا سلطانهم على كامل بلاد شنقيط وأصبحت تعرف بهم.

(1) مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل الشريف، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، ط1، 1993م، مطبعة إديال، الدار البيضاء، ص 43.

(2) المرجع نفسه، ص 44.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

ولا شك أن زوايا حركة الإمام ناصر الدين كانوا بحكم هذه الصلات على اطلاع عن كثب على أخبار الزاوية السملالية، وكيف انتقلت من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة، وربما شجعهم ذلك على إطلاق تجربتهم الخاصة بهم، لكن حرب شربب(1) التي اندلعت قبل استتباب أركان دولتهم قوضت مشروع حركتهم.

ويمكن تلخيص مسار أحداث هذه الحرب والسياق الذي اندلعت فيه(2) بالقول إن أعيان الحركة ووجوهها رأوا أن يبايعوا أوبك بن أبهم الديماني أميرا لهم، لما شاهدوا من اجتماع الناس عليه، ورغبتهم فيه، فنادوا في القبائل بالتقدم لبيعته، فبايعه الناس حوالي سنة **1078**هـ/ **1668**م، واشرأبت إليه الأعناق من كل جانب، فأخذ في تنظيم الوزارة، وتعيين الأعوان، وتجييش الجيوش، وتلقب بناصر الدين لقب الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين(3).

واختار الإمام ناصر الدين ابن خالته ابيهيم (=إبراهيم) بن يعقوب بن أحمد، لوزارته، وسماه القاضي عثمان، وعين محمد بن حبيب الله الألفغي (=الإيداشفغي) قاضيا للمجلس الذي يقضي في مجلس الأمير، على غرار قاضي مجلس المرابطين إبراهيم الأموي، كما استقضى قضاة آخرين منهم الفاللي بن الكوري بن سيدي الفاللي الديماني، والحبيب بن الحسين اليدن يعقوبي، واتخذ من العلماء مجلسا للشورى، وعين عمالا لجباية الزكاة.

وبايع جل زوايا المنطقة ناصر الدين، كما بايعه أولاد رزگ وأغرمان وباقور وأهل گنار وبعض المغافرة. وعارض بعض الزوايا دولته، وأفتى بعدم شرعيتها، فنبذ

---

(1) شربب: قال محمد اليدالي في كتابه أمر الولي ناصر الدين: «شربب بشين مضمومة وراء مكسورة وباء موحدة مضمومة وأخرى مفتوحة مشددة، مشتق من قولهم لكل من أتاهم: شربب، وهو أمر له أن يفعل فعلا. وهو أن يصوت بعد أن يرخي شدقيه ويحرك رأسه، وهو عندهم من أصوات أهل الحرب، يحضون بذلك على قتال العدو إذا لقيهم». (ابن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، ص128). أما التفسير الشائع عند العامة لشربب فهو أنها مركبة من كلمة شر بمعنى حرب، وكلمة به وهو علم شخص.

(2) راجع لهذه الحرب وسياقها: الحسين بن محنض، تاريخ موريتانيا الحديث، ط1، دار الفكر، بيروت، **2010**م، ص14-31.

(3) اتخذ يوسف بن تاشفين لقب ناصر الدين ثم بعد معركة الزلاقة الشهيرة (479هـ/ 1086م.

المغافرة بيعته.

ووجه الإمام ناصر الدين اهتمامه اتجاه الجنوب، لاسيما شمامه (الوالو) وفوته (فوتا تورو) وإجيولوف وإيسنغان (كايور)، فجعل يرسل إلى ملوك هذه المناطق الرسائل، ويبعث إليهم الرسل، داعيا وثنيهم إلى الإسلام، ومسلميهم إلى التوبة، وتحكيم الشرع، ووقف استرقاق الأحرار والحيلولة دون بيعهم للأوروبيين.

ولما لم يستجب له هؤلاء الملوك قرر غزوهم، سنة 1083هـ/ مطلع 1673م، فأطاحت بهم جيوشه واحدا واحدا، وعينوا أقارب لهم موالين لحركة الإمام ناصر الدين مكانهم.

وحدث أن بعث ناصر الدين كما هي عادته ممثلا له لجمع الزكاة، فجمعها إبلا وغنما، حتى أتى قبيلة تاشدبيت، إحدى قبائل زوايا الغرب، فعرض عليه حليف لها ثلاثين بكرة على ألا يعد إبله، وقيل أعطاه زكاة إبله ومنعه زكاة أذواد منها تحت يده، لكنها ليست في ملكه، فقال له الممثل: والله لا أترك منها عقالا. فقام عريف تاشدبيت خوته، وذهب به، أو أرسله إلى هدي بن أحمد بن دامان[1]، فدخل في جواره، فاستفتى هدي الحاج عبد الله الحسني عن شرعية أخذ ناصر الدين الزكاة من الناس، وكان الحاج عبد الله من أوجه الناس وأعلمهم وأفضلهم في تلك الناحية، فأجابه بأنه ليس بشرع، فأمر هدي حزبه بالإغارة على ما بيد سيدي الحسن من الزكاة، فأغاروا عليه، فأرسل سيدي الحسن إلى الزوايا بأن يغزوا المغافرة لأنهم غدروا وحاربوا، فقال الزوايا: لا نغزوهم حتى نتثبت ونستيقن من الخبر، فبعثوا أشفغ الأمين بن سيدي الفاللي[2]، ومحمذن بن بابحمد بن يعقوب إنلل[3] الديمانيين في ركب من الزوايا فيه المصطفى بن الكراي الانتابي إلى الترارزة، يعرضون عليهم الصلح، فلم يستجيبوا

---

(1) هدي بن أحمد بن دامان: ثاني أمراء الترارزة، تولى الإمارة بعد وفاة أبيه أحمد بن دامان، وهو قائد جبهتهم في شربه، كان فارسا مغوارا وقائدا عظيما. توفي 1095هـ/ 1684م.

(2) أشفغ الأمين بن سيدي الفاللي: كان عالما بحرا وعاملا برا وملكا هماما وبطلا مقداما جوادا لا يبقي ولا يذر. ت1101هـ (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص42).

(3) محمذن بن بابحمد بن يعقوب إنلل: كان عظيم المروءة عفيفا نزيها. (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص74).

لهم، وعاد وفد الزوايا إلى الإمام ناصر الدين ومن معه من الزوايا بالخبر.

واتمر الزوايا بينهم، وتشاوروا فيما يفعلونه، فكان أول من تكلم منهم الفالالي بن أبي الفالالي الحسني[1] فقال: أيها الناس، جمعوا على هذا الإمام العادل من الجنود ما يوجب عليكم القتال، فوافقه الناس وأخذوا في التعبئة للحرب، وكان أبرز من شارك فيها: تشمشه، والمدلش، وتندغه، وإيجيجبه، وإيدغزينبو، وبارتيل، وقسم من إيداب الحسن، كما قال بابكر بن احجاب[2]، وأضاف عبد الله بن امين في "عقود الجمان": لمتونه، وانتابه، وإيكمليلن، وتاگنانت، وعشرون رجلا من إيدوعلي، وعشرون من أولاد أبييري[3]، وزاد ابن حامدن: آحادا من بني حسان منهم أعمر بن عبلّه بن دامان[4] أخو محمود بن عبلّه القائد العسكري البارز في معسكر الترارزة.

وقدم فرسان من المغافرة فوجدوا أحد أعضاء حركة الإمام ناصر الدين حول عسكر الزوايا، ففقأوا عينه. وبعث ناصر الدين ردا على غارة المغافرة، بعثين بعثا غرب بقيادة القاضي عثمان، وبعثا شرق بقيادة محنض بن جبه البارتيلي، فلقي هذا البعث الذي شرق غزوا من المغافرة بانتجي (شمال بتلميت)، فاقتتلوا، فقتل عبد الرحمن بن محمد بن معتوگ العمراني، قتله المغافرة. وجرح في هذه اليوم الذي يعرف بيوم انتجي الأمير محنض بن جبه البارتيلي، فقاد الجيش بعده المصطفى بن اخطيره الحسني، فعاد غانما ظافرا. ولم يلق الجيش الذي غرب بقيادة القاضي عثمان حربا.

---

(1) الفالالي بن أبي الفالالي الحسني: هو العلامة الجليل شيخ الشيوخ الفالالي بن أبي الفالالي الحسني، أخذ عن علي الأجهوري بمصر وأجازه. أسس محظرة فقهية كبيرة تخرج منها كثير من العلماء الشيوخ فكان ذلك هو سبب تسميته بشيخ الشيوخ.

(2) قال بابكر بن احجاب:

ثم الزوايا الشم من قد شربوا	وجاهدوا أبعدهم والأقرب
تشمشه مدلش وآل زينب	تندغ بارتيل آل جيجب
وبعض آل حسن قد شربا	وجلهم مع حاجهم نعن ذا أبى

(3) ابن امين، عقود الجمان في أنساب بعض بني ديمان، مرجع سبق ذكره، ص30.

(4) المختار بن حامدن، حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مرقون، ص89.

وهاجم غزو من عزونه -استجابة لأمر الأمير هدي- مسرحا الزوايا، فغنموا إبله، وقتلوا رجلين من إيدوجان (بطن من المدلش)، فتبعهم ناصر الدين في خيل فاستنقذ الغنيمة، وقتل خلال هذا اليوم الذي عرف بيوم جيوه (نسبة إلى مرسى للسفن الأوروبية 32 كلم جنوب انواكشوط) ثلاثة وثلاثون رجلا من عزونه.

وورد المغافرة على يوم جيوه بيوم الخواره (132 كلم جنوب انواكشوط)، قتل فيه رجال من أعيان الزوايا منهم الفاللي بن بارك الل بن يعقوب إنلل الديماني، قتله تاليت بن مهنض ان تاكشي، وجرح فيه محنض الغالي اليعقوبي المشهور بالوداني، وكاد أن يقتل لولا برام بن عبله الداماني الذي استنقذه من المغافرة، ومن عليه.

ثم دارت معركة جديدة في جمادى 1084هـ/ أغسطس 1673م بين الزوايا والمغافرة بترتلاس، قتل فيها الإمام ناصر الدين، وقتل معه مرافقوه الثلاثة، وأربعة من كبار مقربيه، وخمسة وعشرون آخرون من جيش حركة التائبين.

وعظمت مصيبة الزوايا بمقتل ناصر الدين، واضطرب الناس في شأن الحرب، وأصر سواد الزوايا على مواصلتها، وبايعوا أشفغ الأمين بن سيدي الفاللي الديماني، والد زوجة ناصر الدين، وأحد رؤوس تشمشه ووجهائها، فكثر عليه الأجناد، وعظمت رئاسته، واستقبل المغافرة بما لا قبل لهم به، فجاؤوه وسالموه، وأخبروه بقبولهم رئاسته، فأجابهم إلى السلم، وتزوج بابنتهم فاطمه بنت اعلي بن أحمد بن دامان.

فلما فعل ذلك هاجت الزوايا في وجهه، وخلعوه وبايعوا ابن خالة ناصر الدين القاضي عثمان (=ابيهيم بن يعقوب) فانشق أشفغ الأمين بمن أطاعه من الجيش، وكان نحو الثلث، ووادع المغافرة.

وغزا الإمام القاضي عثمان، في ثمانمائة رجل من الزوايا، جمعا من المغافرة معهم أربعمائة من الإبل لموسات فانجلوا عن الإبل، فغنمها الزوايا، ثم تبعتهم المغافرة فتلاحقوا عند تيلماس، وتقاتلوا قتالا شديدا، لكن الزوايا تمكنوا من العودة بسلامة، وقتل خلق كثير من الفريقين. ولم يحضر القاضي عثمان والقضاة الذين معه القتال لاشتغالهم بقراءة الحديث.

ثم خرج سيدي المحسن في أعيان من جيش الزوايا معهم القضاة سنة 1085هـ/

1674م، إلى أولاد اخليفة وأولاد رزگ، ومن في جوارهم من القبائل لجباية الزكاة، فتمالأ أوديكه بن بو أيوب الخليفي مع رئيسي ارغيوات وبارأن، ويريم كودي ابراك والو عليهم، وأبى اعبيد الل اشباري رئيس اشبارات، واخطيره البافوري، أحد رؤساء بافور، عن المشاركة في الممالأة، فأرسل أوديكه بن بوأيوب بعدما تظاهر للقضاة بالسمع والطاعة، سيدي أحمد التفارتي، والفالي البافوري إلى المغافرة، ليعلماهم بمكان جيش سيدي الحسن ويحرضاهم عليهم، فأبى البراكنة، وجاء الترارزة ومعهم أولاد غيلان، وأمدهم سودان الوالو وأولاد اخليفه، وقام سيدي أحمد التفارتي إلى جيش القضاة وهم يصلون بمحلة إيدوالحاج، فجمع أسلحتهم، وقد وضعوها عند ظهورهم فخبأها، فقدم عدوهم فقتلهم إلا قليلا منهم. فممن قتل الماحي بن الحسن انديك وسيدي الحسن بن القاضي عبد الله الشنقيطي قتله عيسى بن كمبه الخليفي ومحنض اندوله صنو القاضي المختار بن أشفغ موسى ابن خالة ناصر الدين ومحنض بن سيدي أحمد الهكاري. وأصبح ذلك اليوم يعرف بيوم "اعليب الغظيه" (كثيب القضاة) نحو 20 كلم شمال مدينة الگوارب.

وسمع الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي وكان في إيدوفال، شمال شرق دگانه (السينغال الحالي) في جيش من الزوايا بالخبر، فكر بخيله على أولاد اخليفه وبافور والرغيوات، فأثخن فيهم، وقتل أربعين من أولاد اخليفه، وكثيرا من بافور والرغيوات، وقبض على أوديكه بن بوأيوب فأراد أن يقتله، فاستنقذه منه محمد بن أحمد مولود الحاجي. ووقعت هذه المعركة بالصاگي (25 كلم شمال الگوارب) غير بعيد من موقع اعليب الغظيه السابق.

وسمع الإمام القاضي عثمان بالأمر، وبما كان من غدر ملك الوالو بريم كودي المعين من قبل حركة الإمام ناصر الدين الذي حرضه الفرنسيون الذين كانوا ناقمين على حركة الإمام ناصر الدين بسبب عملها على تغيير خريطة المنطقة السياسية والاجتماعية وتحريمها بيع العبيد للفرنسيين، ووعدوه بالمساعدة، فقرر الإمام القاضي عثمان غزو بريم كودي، وعبر إليه فوجده ببلدة انتشينو (18 كلم شمال شرق الگوارب) قد تأهب لقتاله، فاقتتل الفريقان، فقتل الإمام القاضي عثمان وكثير ممن معه، وانهزم الزوايا انهزاما شنيعا بعد ما ظنوا أن السودان سحروهم، وقتل مع القاضي

عثمان وخلق من أصحابه.

ولما قتل الإمام القاضي عثمان بايعت حاميات الجيش ببلاد السودان وأولاد رزگ القريبون منها الفاللي بن الكوري بن سيدي الفاللي، بينما بايع الزوايا ببلاد الگبلة الذين بلغهم مقتل القاضي عثمان، المبارك بن حبيب الله بن سيدي الفاللي، فلما قدم الفاللي بن الكوري بن سيدي الفاللي بالجيش اختلف الفريقان فعزم إبراهيم بن الكوري بن سيدي الفاللي على أخيه الفاللي أن يخلع نفسه ويترك الأمر للمبارك، ففعل فخلص الأمر للمبارك. والتحق الفاللي بن الكوري بن سيدي الفاللي بمن أطاعه من الجيش بأشفغ الأمين بن سيدي الفاللي الذي هادن المغافرة.

وقرر الزوايا أن يعينوا ولي عهد للإمام المبارك حتى لا يتكرر مثل هذا الخلاف، فعينوا منير الدين أخا ناصر الدين وليا لعهده.

وغزا الإمام المبارك المغافرة في أربعمائة من قومه، وهم منهم كحلقة في فلاة، فانتصر الزوايا على المغافرة، ثم بعث المغافرة نذيرا إلى أهليهم فأمدوهم، فأحاطوا بالزوايا، وكادوا يقضون عليهم، لكنهم نجوا منهم، ووقعت هذه الوقعة بالعرش بين المذرذرة والنمجاط.

وأخذ كثير من التائبين لما رأوا ما آل إليه أمر الزوايا من مقتل للإمام القاضي عثمان وانشقاق للفاللي بن الكوري بن سيدي الفاللي في الخروج على الإمام المبارك، وخرج عليه أيضا أولاد رزگ، وغيرهم من القبائل.

وجاء المغافرة بقضهم وقضيضهم إلى تن يعجمار (**104** كلم جنوب انواكشوط في آفطوط الساحلي) فحاصروا عسكر الزوايا، ثم قاتلوهم حتى غلبوهم، وقتلوا الإمام المبارك، وخلقا كثيرا من جيش الزوايا وكان ذلك في أواخر **1085**هـ/ **1674-1675**م.

ولما هزم الزوايا في القسم الغربي من بلاد الگبله وأيقنوا بتلاشي أمرهم، ذهب ولي العهد منير الدين المختار بن أبهم (أخو ناصر الدين) مع نحو مائة فارس في بقية من قومه وعناصر من حركة التائبين، قاصدا إيجيجبه، وذهب أشفغ الأمين بالذراري والنساء فأمنهم له المغافرة، وتفرقوا في المنطقة لطلب المعيشة. ولما قدم منير الدين على إيجيجبه وجد التائبين قد بايعوا القائد الإيجيجبي النحوي أگد عبد الله،

فاستظهر منير الدين بولاية عهده، فآل إليه الأمر بعد المشاجرة. وكانت للإمام منير الدين فتوحات لاسيما في السودان الذين أخذوا في الخروج على الحركة بتشجيع من الفرنسيين.

ثم غزا المختار آگد عبد الله أرشيا بعيدة بالسودان في جيش عظيم، ولم يبق في العسكر إلا الإمام منير الدين والقائد النحوي في نفر يسير، فركب اعلي البوعلي الرزگاني إلى المغافرة، وكانوا أخواله، فأراد أن يكسب مودتهم فأعلمهم بالأمر، فغزت المغافرة العسكر، فلما أحدقوا به أشار النحوي إلى الإمام منير الدين بأن يركبا خيلهما ويتعرضا للمختار، فاستنكف الإمام منير الدين عن الهرب وأبدى له الرغبة في الموت واللحاق بمن قتلوا قبله، فرغب النحوي كذلك في الموت، فقاتلا بمن معهما حتى قتلا. وذلك هو يوم بكل (18 كلم شرقي منگل).

ثم قدم المختار فبويع، فاستأنف حربه مع السودان، فكانت له هنالك انتصارات، كما نجح في الانتصار على المغافرة في أكثر من معركة، وشرع السودانيون المناوئون للحركة بدعم من الفرنسيين في الاشتباك مع أنصار حركة التائبين في فوته واجيولوف ركايور، بينما تتالت الحملات العسكرية الفرنسية على فرق الزوايا البيضانية التي تعمل على مد جيش التائبين بالتموين الضروري[1].

وفي نهاية 1675م وبداية 1676م (1086هـ) كانت حملة قواد المغافرة (بكار الغول وهدي وبوسيف) وابراك والو وساتيگي فوته ضد التائبين على أشدها، فكانوا يطاردون ويحرقون وينهبون ويحطمون كل شيء للتوبنان (التائبين). وفي يناير 1676م (1086هـ) مات يريم كودي مقتولاً على يد سيرانكو التوبناني (=التائب) نائب إمام اجيولوف فخلفه افارا ابندا نجل افارا كومبا الذي قتله الزوايا في عهد ناصر الدين. وكان افارا ابندا حنقا على البيضان فكان يتتبع آثارهم ويأسر من تمكن من أسره منهم ويبيعهم كعبيد للفرنسيين. وكانت سنة 1676م (1087هـ) سنة مجاعة كبيرة في المنطقة.

وفي يناير 1677م (1087هـ) استعاد ساتيگي الملك في فوته، وتزايد الضغط على

---

(1) ابن السعد، حرب شرببة، مرجع سبق ذكره، ص132.

الإمام المختار أگد عبد الله في منطقتي البراكنة وگورگول، فوجه اهتمامه نحو الأيتام وأولاد امبارك وكانوا في جبهة واحدة، فغزاهم وغزوه. ثم غزا الإمام المختار المغافرة في يوم عرف بـ"يوم آمدر" (شمال مگطع لحجار) سنة 1088هـ (1677م)، وكان قد غزاهم قبل ذلك غزوة ناجحة، فجاءوه في هذا اليوم من كل وجه، وتقاتلوا من الظلام إلى الظلام، فكانت الغلبة للمغافرة.

وضاقت على التائبين الأرض بما رحبت، فراحوا في الليل إلى تن يفظاظ القريبة من آمدر، وقد أثخنتهم جراحاتهم، وتشاوروا في أن يفر الخيالة في جنح الليل، ويتركوا الرجال يتحصنون بالجبال والأودية والشعاب، فبكى إسيجن أگد عبد الله، فقال له أخوه الإمام المختار: ما يبكيك؟ فقال له: يبكيني أن الأئمة قبلك ناصر الدين والقاضي عثمان والمبارك والنحوي ومنير الدين كل واحد منهم قتل قبل أصحابه، وأنت تريد أن تهرب على الخيل، وتترك أصحابك للقتل، فقال له: صدقت يا أخي، فباتوا هنالك، ثم صبحهم المغافرة وأحاطوا بهم وقتلوهم عن آخرهم، إلا الإمام المختار أگد عبد الله سقطت به فرسه فدق عنقه وعنقها فماتا.

ولم يبق في هذا اليوم الذي كان آخر أيام حرب شرببه بالغ من قبيلة الإمام المختار أگد الله إلا قتل، وركب المغافرة إلى عسكر الزوايا فنهبوه، وبقيت الذرية والنساء سبايا، وتفرقوا في البلاد، أو عبروا النهر جنوبا بحثا عن الأمان، ومنهم من التحق بمناصري الحركة في اجيولوف، وكايور، وفوته فانخرط في مجموعات التائبين التي كانت ما تزال تصارع الأطراف المناوئة لها هنالك، ثم أصبح جزءا من نواة إحدى الدول الإمامية التي قامت جنوب نهر السينغال، أو وقع في الأسر وتم بيعه كعبد.

واتفق الزوايا والمغافرة على إنهاء الحرب، وتوقيع صلح يقضي بطرح الزوايا للسلاح وعدم حمله مستقبلا، كما يقضي بتوصيل الحساني الذي يصل إلى حي من أحياء الزوايا إلى أقرب حي من الزوايا إن احتاج إلى ذلك، وعلف خيله، ومنحه إذا وفد على آبار وعقل الزوايا دلوا من كل ثلاثة دلاء تمتح من ماء البئر[1] ودلوا من كل

---

(1) تروي الرواية الشفهية أن بني حسان كانوا أولا مصرين على أن يكون لهم: نصف ماء البئر كحال ماء العقلة بينما كان الزوايا قد عرضوا ثلث مائها فقط، فلما كثر الأخذ والرد في ذلك دون أن يتراجع بنو حسان عن النصف، قال لهم سيدي الأمين أعمر يزگثيلة الديماني الأبهمي: إن قبلنا

دلوين تمتحان من ماء الحقلة حتى يسقي دوابه. وأبى إيدگبهني عن هذه البنود، فلم تسر عليهم أبدا، وقبل لهم المغافرة ذلك واحترموه لهم.

وهكذا انتهت هذه الحروب بغلبة المغافرة للزوايا. قال اليدالي: «ومن سبب غلبهم لهم أن المغافرة أدرى منهم بالمحاربة وخدمة "الشر"[1] والكيد والتدبير، وعندهم من المكر ما لا تطيقه الطلبة [=الزوايا]، لأنهم نشأوا في الحروب وتدربوا عليها، والطلبة خانهم سوء التدبير، واختلال السياسة، وعدم التدريب على كيد الحرب ومكرها[2]». وزاد الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو: «أن الزوايا لم تتفق كلمتهم على محاربة المغافرة كتوافقها على حرب السودان، لأن الفالي بن بابحمد الذي هو حائز السبق فيهم علما وعقلا، لم يوافقهم على محاربة المغافرة لكونهم غير كافرين، وتابعه في ذلك بعض الزوايا.. إلى أن توفي ناصر الدين وبايع الناس أشفغ الأمين، ولما رأوه مائلا الى المغافرة خلعوه، وسار ببعض الناس وانعزل عن قومه، وآخى المغافرة فكان في ذلك أول وهن في الزوايا، وأول افتراق كلمتهم. ثم بعد ذلك لما بايع بعض الناس الكوري بن سيدي الفالي، وعزم عليه أخوه أن يترك الأمر، وحلف له على ذلك، انعزل عن الناس بطائفتين، فكان ذلك أيضا من توهينهم واختلاف كلمتهم، مع أن المغافرة أدرى بالحرب منهم، وأصبر عليها وأدرى بمكائدها[3]». وقال عبد الله بن امين: «أما الفالي [بن بابحمد] فلم يدخل الحرب، وكان يقول للزوايا: اتركوا منكم محايدين يكونون مصلحين بينكم وبين المغافرة إذا احتجتم إلى ذلك، وكان يأوي إليه أيتام وأرامل الزوايا الذين قتلوا في هذه الحرب، وأما باركللّ فدخل ثم اعتزل، وذكر حفيده الشيخ محمد المامي أنه تبرأ منها ورآها غير شرعية، وكان هو والفالي بن بابحمد يمدان الزوايا بالمال والمؤن[4]».

ذلك لم تقبله آبارنا، فأدلوا الدلاء فجاءت دلاء بني حسان بالدم الخالص، فقبلوا بالثلث. (ابن أسمه، ص84). وإلى هذه القصة يشير يگو الديماني الفاضلي بقوله:

وسيدي الأمين ذو السجال ... بخالص التجبيع والسزلال

(1) "الشر" في لهجة بني حسان تعني الحرب.

(2) ابن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص177.

(3) ابن الشيخ أحمدو، رسالة في التاريخ والأنساب، مرجع سبق ذكره، ص57.

(4) ابن امين، عقود الجمان في بعض أنساب بني ديمان، مرجع سبق ذكره، ص31.

لقد أعطيت لهذه الحرب التي كانت فارقة في تاريخ البلاد قراءات مختلفة من طرف بول مارتي، وبوبكر باري، وشارل استيورت، ومحمذن بن باباه، ومحمد المختار بن السعد، وعبد الودود بن الشيخ، وغيرهم، لكن هذه القراءات على تعددها لم تجب على كل الأسئلة التي تثيرها، بل ربما تناقض بعضها مع حقائق جلية فيها، كتلك التي تجعل من الحرب تعبيرا عن صراع عرقي بين العرب والبربر، أو تلك التي تجعل منها صراعا على الثروة -وهي في أغلبها قراءات غربية-. ولا شك أن قراءات ابن باباه وابن الشيخ وابن السعد أقرب إلى الواقع لكونها استندت في خلاصاتها على معطيات منسجمة مع المنظور الذي نظرت منه إلى هذه الحرب، رغم أن اعتبار أن الحرب كانت «من حيث الجوهر صراعا طبقيا (إذا جاز التعبير) على المصالح المادية والسياسية بين قطبي الزعامة في مجتمع البيضان، لعب فيه العامل الديني دورا هاما جدا لا كسلاح إيديولوجي فقط، وإنما كمفهوم عقائدي ونظرة سياسية للعالم[1]» كما قال ابن السعد يصور العامل الديني وكأنه يأتي في مرحلة ثانية بعد العامل المادي، الذي يغلبه حسب ابن السعد «الصراع بين القافلة والسفينة»، والعامل السياسي. بينما يترك اعتبار ابن الشيخ لها أنها «صراع بين مديري الغيب ومسيري العنف[2]» الانطباع بأن الزوايا في هذه الحرب كانوا إلى جانب، والعرب المحاربين إلى جانب، وهذا وارد فقط على سبيل التعميم، لأن بعض الزوايا مثلوا سندا قويا للمغافرة في الحرب، وبعض العرب -كأولاد رزگ مثلا- واللحمه كانوا مساندين للزوايا. كما أن ذهاب ابن باباه إلى أنها «صراع بين النظام والفوضى، بين مشروع مبني على المواطنة ضد النظام العشائري الموغل في العصبية القبلية[3]» وإن كان مطابقا لجوهر الدولة التي طمح ناصر الدين والزوايا إلى إقامتها، فإنه على ما يبدو من سياق الأحداث لم يكن هو الغاية بل كان الوسيلة إلى الغاية الأهم: إقامة دولة

---

(1) ابن السعد، حرب شربه، مرجع سبق ذكره، ص97.

(2) ابن الشيخ، مرجع سبق ذكره، أو

Abdel Wedoud Ould Cheikh, LA SOCIETE MAURE Eléments d'anthropologie historique, Centre des Etudes Sahariennes 2017, Bouregreg-Rabat, pp 118- 168.

(3) ابن باباه: تاشمش ودورها السياسي والثقافي، مرجع سبق ذكره، ص86.

دينية جديدة على النمط المرابطي في المنطقة.

وفي اعتقادي أننا إذا اعتبرنا بأن إقامة هذه الدولة وما نجم عنها من تعارض للمصالح بين المغافرة والحركة كانت -دون إغفال للسياقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية- هي المنطلق الذي أدى إلى اندلاع الحرب، وجعلنا من هذا المنطلق أساسا لقراءة هذا الصراع وتحليله أصبح في إمكاننا أن نأخذ في الحسبان في إطار رؤية متكاملة تستوعب مختلف الأطروحات، ما قاله ابن السعد من أن هذه الحرب كانت عبارة عن «**صراع طبقي على المصالح المادية والسياسية**»، وابن الشيخ الذي اعتبر أنها كانت «**صراعا بين مديري الغيب ومسيري العنف**»، وابن باباه الذي رأى أنها «**صراع بين النظام والفوضى**» على أنها جميعها كانت خلاصات واقعية، وإن لم تكن أي منها مطلقة، ذلك أن السياق الذي اندلعت فيه حرب شرببه يبين أن الأمر يتعلق بظهور حركة زاوية دينية، تناغمت في دوافعها وأسلوبها مع حركات زوايا دينية أخرى اجتاحت المنطقة، وقامت بمجاهدة من لا يزال على الوثنية من زنوج جنوب النهر، قبل أن تصطدم ببني حسان بسبب إصرارها على جباية زكاة أفتى بعض كبار الزوايا المغافرة بأن شرعية السلطة والجباية تعود لهم لا لها، فالعامل الديني للحرب وفق هذا التصور يأتي إذن في المستوى الأول، ثم تأتي العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي لا ينبغي نفي دورها، ولا تقديمها على العامل الديني في المستوى الثاني. ومن أبرز هذه العوامل من الناحية السياسية: «**الصراع بين النظام والفوضى**» الذي تحدث عنه ابن باباه، ومن الناحية الاقتصادية: «**الصراع بين القافلة والسفينة**» الذي أشار إليه ابن السعد، ومن الناحية الاجتماعية: «**الصراع بين مديري الغيب ومسيري العنف**» الذي ركز عليه ابن الشيخ.

وكيفما كانت طبيعة هذه الحرب والقراءات التي أعطيت -أو سوف تعطى لها- فقد أفرزت نتائجها وضعا كرس هيمنة المغافرة النهائية على البلاد، ودفع الزوايا عموما، وتشمشه خصوصا -ومن ضمنهم أولاد ديمان- إلى التركيز على تعويض انصرافهم في فترة ما بعد شرببه عن إدارة الحياة السياسية والعسكرية، بمزيد من التركيز على الحياة العلمية والثقافية.

❁❁❁

أولاد ديمان ما بعد حرب شرببه

خرج طرفا حرب شرببه الرئيسان: الزوايا والمغافرة من هذه الحرب الطاحنة منهكين، في مفارقة لافتة للانتباه، حيث قرر المغافرة أن يبقوا على وضع الزوايا كما كان قبل الحرب، وقرر تشمشه أن يتخلوا وإلى الأبد عن السلاح، ويتعايشوا في انسجام مع المغافرة. قال الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان الديماني: «فلما تلاشى أمر الطلبة وصاروا تحت أيدي المغافرة، استوصوا بهم خيرا، وأجمعوا ألا يعاملوهم إلا بمعاملتهم لهم قبل المحاربة، وأجمع أمر تشمشه على أنهم لا يحملون سلاحا، ولا يشاورون أحدا أبدا[1]».

وساد الوئام بين الطرفين حتى كأن لم يكن بينهما شيء، إلى درجة أن سيدي عبد الله بن رازگه العلوي[2] كان صديقا للأمير اعلي شنظوره بن هدي بن أحمد بن دامان، ورفيقه إلى الملوك المغاربة، وراثي أخيه الأمير أعمر آگجيل بن هدي[3] من قبله، مع أن ابن رازگه ابن أخ القاضي سيدي الحسن العلوي الذي هو أول من دعا الزوايا إلى حرب هدي والد اعلي شنظوره، وكان المختار بن أشفغ موسى اليعقوبي رغم أنه ابن خالة قائد الزوايا الإمام ناصر الدين الديماني قاضيا لاعلي شنظورة ابن قائد الترارزة في شرببه هدي بن أحمد بن دامان ومستشارا له. ودفن أولاد أحمد بن دامان أمير الترارزة عاليت بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره بن هدي بن أحمد بن دامان[4] مع الإمام ناصر الدين بترتلاس، كما دفنوا الأمير أعمر بن المختار[5] والد الأمير محمد الحبيب

---

(1) ابن الشيخ أحمدو، رسالة في التاريخ والأنساب، مرجع سبق ذكره، ص 67.

(2) سيدي عبد الله بن رازگه العلوي: هو العلامة الفقيه اللغوي المنطقي الشاعر المجيد سيدي عبد الله (ابن رازگه) بن محم بن عبد الله (القاضي) بن محم بن حبيب العلوي، كان ذا حظوة كبيرة في البلاط العلوي، وصديقا للأمراء العلويين لاسيما محمد العالم بن المولى إسماعيل، ت1144هـ/ 1730م.

(3) أعمر آگجيل بن هدي بن أحمد بن دامان: رابع أمراء الترارزة، كان مشهورا بالعدل وحسن السياسة. قتله أولاد دليم 1114هـ/ 1703م.

(4) عاليت بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره بن هدي بن أحمد بن دامان: عاشر أمراء الترارزة، حكم عاما واحدا، وتوفي 1209هـ/ 1794م.

(5) أعمر بن المختار بن الشرقي بن اعلي شنظوره بن هدي بن أحمد بن دامان: الأمير الثاني عشر

مع أحمد بن العاقل الديماني[1] بابنه بوصية من الأمير.

ويمكننا أن نرجع أسباب هذا الانتقال السريع المخالف للمألوف من الحرب إلى الصداقة إلى قوة العلاقة التي كانت سائدة بين الطرفين قبل الحرب، وإلى أن الزوايا لم تتفق كلمتهم عليها ولم يحاربوا كلهم، فأكثر إيدابلحسن وتاشدبيت مثلا لم يشاركوا في شربه، كما أن الفاللي بن بابحمد الديماني لم يشارك فيها، وباركلل بن أحمد بزيد اليعقوبي اعتزلها، وخليفة ناصر الدين الأول أشفغ الأمين بن سيدي الفاللي الديماني الذي عزله الزوايا بعد دعوته إلى وقف الحرب ومصالحة بني حسان انسحب منها، وانسحب بانسحابه ثلث الجيش وهادنوا المغافرة وآخوهم، وتزوج فاطمة بنت اعلي بن أحمد بن دامان الترورزية (ابنة أخ هدي بن أحمد بن دامان قائد الترارزة في شربه)، لافكره زواجه عامة الزوايا وخاصتهم، حتى هجره الفاللي بن بابحمد، وكان صديقه ومن خاصته فاعتذر له بأنه يريد كهفا للزوايا يلجأون إليه إذا ظلمهم المغافرة[2]»، فنشأ عن ذلك مناخ استوعب بسرعة الشرخ الذي أحدثته الحرب بين الطرفين، كما أن حاجة كل من الطرفين للآخر: بني حسان بوصفهم سدنة السلطة السياسية، والزوايا بوصفهم سدنة للسلطة العلمية، عجلت عن هذا الانتقال من الحرب إلى الصداقة، وفرضت على كل منهما تجاوز ما حدث، والتركيز على دوره المكمل للدور الآخر.

فأما الزوايا عموما وتشمشه خصوصا، فركزوا على تحصيل العلوم والآداب، وإدارة الخطط الدينية كالقضاء والفتوى والإمامة، حيث أدى كبت طاقتهم الحربية وتخليهم عن وظيفتهم العسكرية والسياسية إلى دفعهم إلى البحث في اتجاهات أخرى تزيد من مكانتهم الدينية، وتعزز من سلطتهم المعرفية، مما أدى إلى ازدهار علوم الثقافة العربية والإسلامية في المنطقة.

للترارزة، كان من أقوى أمراء الترارزة، وأطولهم مدة. توفي 1244هـ/ 1829م.

(1) أحمد بن محمد العاقل الديماني الأبهمي: كان علامة مدرسا قاضيا مؤلفا، صالحا أعجوبة، مكث أربعين سنة يملي على الناس ويقضي ويدرس من حفظه. (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص 393).

(2) ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، مرجع سبق ذكره، ص 33.

ولكي يتسنى لهم ذلك، قامت تشمشه بعد الحرب بإعادة تأسيس كيانها، وتجديد حلفها، والالتزام بمواصلة ما كان عليه أسلافها من التمسك بالعلم والعمل والسلوك الشمشوي الذي هو أهم روافد السلوك الديماني، فأثمر لها ذلك ظهور أجيال من الشيوخ والعلماء والأدباء بعد شرببه لا يقلون مكانة عن أولئك الذين سبقوها.

وكان لأولاد ديمان نصيبهم من هذا التوجه، فقد شرعوا فور انتهاء الحرب في لملمة شتات كيانهم، وتوطيد أركان بنيانهم. وتولى أبناء سيدي الفاللي بن محنض بن ديمان وأحفاده بفضل مكانتهم لدى الزوايا ونفوذهم لدى المغافرة مسؤولية رعاية هذا الوضع الجديد، فكان أشفغ الأمين بن سيدي الفاللي بمثابة المسؤول الراعي لمصالح أولاد ديمان لدى المغافرة، وجمع الفاللي بن الكوري بن سيدي الفاللي أيتامهم الذين يتمتهم الحرب، وقام على تربيتهم والإنفاق عليهم، وآجر لهم معلما يعلمهم هو أحمد بوراص بن مودي مالك[1]. وروي أن الفاللي بن بابحمد بن يعقوب إنلل بن ديمان وحويك بن عمي بن المختار بن عثمان بن يعقوب بن أشفغ ابهنض بن مهنض أمغر كانا ممن شارك في كفالة أيتام شرببه[2].

وبالموازاة مع ذلك، تصدر أهل العلم من أولاد ديمان للإقراء والفتوى، وكان من أبرزهم يومئذ أشفغ عبد الله بن أعمر البزيكَتنه بن محنض بن أعمر مون المعروف بأعمر إيديقب الديماني، أول من ألف من الزوايا بعد شرببه، من مؤلفاته "المورد الصغير" نظم رسم القرآن ألفه في مقابلة "المورد الكبير" للخراز، عليه اعتمد محمد اليدالي في نظمه لما حذف من الألفات في القرآن، واجمد بن حامِتُّ (=أحمد) بن أشفغ المختار بن شيخ التلامذة بن يعقوب بن يدهنض الديماني الذي أملى الكتب من حفظه حين ضاعت في شرببه.

ورأس أولاد ديمان عليهم زين العابدين بن أشفغ الأمين بن سيدي الفاللي[3]، لأمه

---

(1) المرجع نفسه، ص20.

(2) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(3) زين العابدين بن أشفغ الأمين بن سيدي الفاللي الديماني: كان علامة رئيسا هماما غنيا معمرا، تولى رئاسة بني ديمان بعد حرب شرببه. (ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، ص33).

فاطمة بنت اعلي بن أحمد بن دامان الترورزية، «فجيء بطبل الرئاسة فقال: طبلنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[1]»، ورده منعا لأن يعود أولاد ديمان إلى التقاليد الحربية.

وانتظمت بذلك أحوال أولاد ديمان، وانتشر فيهم العلم والفضل والأدب، وتعززت مكانتهم الاجتماعية بين تشمشه، وتوطدت علاقتهم بالمغافرة وتطورت حتى أصبح منهم مفتو وقضاة الإمارة، فكان أحمد بن العاقل الديماني قاضيا للأمير أعمر بن المختار الترورزي، وكان محنض بابه بن اعبيد الديماني[2] قاضيا لابنه الأمير محمد الحبيب[3]، وكثر التنويه بهم وبمزاياهم من طرف العلماء والأدباء على امتداد العصور، فوصفهم محمد اليدالي في رسالته النصيحة مخاطبا لهم: «وأنتم يا بني ديمان قدوة تشمشه وشمسها، ومنارها العالي المشيد بين أظهرها[4]..».

وقال عنهم من قصيدة له:

«دَيْمَانُ فِي النَّاسِ تِبْرٌ ... وَغَيْرُهُمْ كَالْغُبَارِ
وَهُمْ يَمِينُ الزَّوَايَا ... وَغَيْرُهُمْ كَالْيَسَارِ
فَيَوْمُهُمْ يَوْمُ عِيدٍ ... وَلَيْلُهُمْ كَالنَّهَارِ[5]».

وقال المختار بن بونه الجكني[6]:

«إِسْنَادُ مَنِ اللهُ اجْتَبَاهُ وَوُدُّ مَنْ ... قَدْ وَدَّهُ أَمْرَانِ فِي الْقِيَاسِ مَأْثُورَانِ

---

(1) المرجع نفسه، ص54.

(2) محنض بابه بن اعبيد الديماني الباركللي: هو العلامة المفتي القاضي المشهور، تولى القضاء بإجماع الترارزة، وكانت له محظرة كبيرة ألحق فيها الأحفاد بالأجداد. ت1277هـ/ 1860م.

(3) محمد الحبيب بن أعمر بن المختار بن الشرقي: الأمير الثالث عشر للترارزة، اشتهر بالقوة والحنكة والعدل، واتساع الإمارة. ت1277هـ/ 1860م.

(4) ابن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص199.

(5) الشيخ محمد اليدالي، الديوان، تحقيق الأمير بن آكاه، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2016، ص289.

(6) المختار بن بونه الجكني: هو العلامة الأجل الذي ترجع إليه رئاسة العلوم في هذه البلاد المختار بن بونه بن الأمين بن محمد سعيد الجكني. درس وألف في مختلف العلوم وكانت له اليد الطولى فيها بمختلف أنواعها. ت1230هـ/ 1815م.

تَوْجِيهُهُ ذَا أَوْ صَرْفُهُ إِنْ رُمْتَهُ ... فَإِلَى الْوُعَاةِ ذَوِي بَنِي دَيْمَانِ

رَاضَ الْكَلاَمَ لَهُمْ إِنَّهُمُ عَمَلاً ... وَحَبَاهُمُ بِمَقَالَةِ الْأَذْهَانِ»

وقال امحمد بن الطلبة اليعقوبي[1]:

«إِنَّ الْأَجِلَّةَ وَالْإِخْوَانَ دَيْمَانُ ... قَوْمٌ لَهُمْ لِمَعَالِي الْخَمْسِ دِيوَانُ

قَوْمٌ لَهُمْ مَا لَهُمْ حِلْمٌ بِلاَ سَفَهٍ ... وَأَوْجُهٌ عِنْدَ عَبْسِ الدَّهْرِ غُرَّانُ

قَوْمٌ أَبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ ... عَلَى جَمِيعِ الْوَرَى فَضْلٌ وَرُجْحَانُ

لَمْ تَبْقَ مَكْرُمَةٌ إِلاَّ وَقَدْ عُقِدَتْ ... أَلْوِيَةٌ لَهُمُ فِيهَا وَتِيجَانُ

الْعِلْمُ عِلْمُهُمُ وَالْعَقْلُ عَقْلُهُمُ ... وَالْحِلْمُ حِلْمُهُمُ وَالدِّينُ مَا دَانُوا

وَالنُّكْرُ مَا أَنْكَرُوا وَالْعُرْفُ مَا عَرَفُوا ... وَالزَّيْنُ مَا زَيَّنُوا وَالشَّيْنُ مَا شَانُوا

فَضَائِلٌ خَصَّهُمْ بَيْنَ الْأَنَامِ بِهَا ... رَبٌّ كَرِيمٌ عَلَى مَنْ شَاءَ مَنَّانُ

مَحَاسِنٌ عُرِفَتْ مِنْ عَهْدِ أَوَّلِهِمْ ... تَوَارَثَتْهَا عَنِ الْأَشْيَاخِ شُبَّانُ

إِنْ رَامَ ذُو جَبَرُوتٍ خَسْفَهُمْ أَنِفُوا ... وَاسْتَعْصَمُوا ثُمَّ مَا ذَلُّوا وَمَا لاَنُوا

طَرِيقَةٌ تَحْتَهَا جِنْدَأُوَّةٌ عُرِفَتْ ... لَهُمْ فَمَا يَعْتَرِيهَا عَوْضُ إِذْعَانُ

يَأْبَى الْإِلَهُ سِوَى عِزٍّ وَتَكْرِمَةٍ ... لَهُمْ وَإِنْ قَلَّ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ

لاَ زَالَ يَكْلَؤُهُمْ مَنْ كَانَ شَرَّفَهُمْ ... وَزَادَهُمْ دَرَجَاتٍ فَوْقَ مَا كَانُوا[2]».

وقال الشيخ محمد المامي الباركي[3] من قصيدته "الدالفين":

---

(1) امحمد بن الطلبه اليعقوبي: هو العلامة اللغوي الشاعر امحمد بن الطلبه اليعقوبي الموسوي، اعترف له معاصروه بالتفوق، والتبريز في كل فن، ولاسيما في الشعر. له ديوان منشور. ت1272هـ/ 1856م.

(2) امحمد بن الطلبة اليعقوبي، الديوان، شرح وتحقيق محمد عبد الله بن اشبيه بن ابوه، دار الرضوان، انواكشوط، 1419هـ/ 1998م، ص471.

(3) الشيخ محمد المامي الباركي: هو العلامة الموسوعي الفائق المبرز في جميع العلوم الشيخ محمد المامي بن البخاري بن حبيب الله بن باركلل بن أحمد بزيد، ذو التصانيف الفريدة. ت1282هـ/ 1865م.

«وَحُكْمُكُمْ أَشْعَرَ عَنْ نَحْنُ مُسْتَطَرٌ   بَعْدَ النِّزَاعِ الَّذِي فِيهِ الْقَوَانِينُ
وَصَاحِبُ الْمَذْهَبِ الإِبْرِيزِ بَرَّزَهُمْ   بَلْ سَكَتُ عَلَيْنِ بِالتَّصْرِيحِ مَوْزُونُ
وَالْعِلْمُ مَا مُسْتَفَادٌ مِنْ سُكُوتِهِمُ   مِثْلُ الْجَوَابِ فَلَا تُنْسَ الدَّيَامِينُ
إِبْهَامُ خَمْسِ الْمُتَمَّاتِ الَّذِينَ هُمُ   أُنُوفُ حَيِّ الْبَوَادِي وَالْعَمَارِينُ
قَدْ نُوِّهَ بِالأُمَّهَاتِ فِي مَدَارِسِهِمْ   وَبِالصِّحَاحِ وَمُسْتَصْفَى الْغَزَالِي نُو
وَاهْتَزَّ بِالْفَرْعِ أَصْلٌ فِي حَوَاضِرِهِمْ   كَمِثْلِ مَا هَزَّتِ الْعِيدَانُ يَبْرِينُ
تِلْكَ الْكُنُوزُ الَّتِي حَقًّا مَفَاتِحُهَا   تَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ الأَقْوَيْنَ قَارُونُ[(1)]».

وقال مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي[(2)]:

«قِفْ بِالدِّيَارِ بِجَانِبَيْ دَبْرِ   وَابْكِ دُمُوعَكَ بَاكِيًا وَاذْرِ
وَاخْلَعْ عِذَارَكَ فِي الدِّيَارِ فَمَا   تَنْسِي الدِّيَارَ مُخَالِعُ الْعُذْرِ
دَيْمَانُ هُمْ سَادَاتُنَا فَهُمُ   سَادَاتُ أَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
بَلْ هُمْ كَمَا قَالَ الْوَلِيُّ بْنُو   دَيْمَانَ بَيْنَ النَّاسِ كَالتِّبْرِ
اللهُ يَعْلَمُنِي أَوَدُّهُمُ   وَأَوَدُّ لَوْ أَنْوِي بِهِمْ عُمْرِي
يَزْدَانُ شِعْرِي فِي مَدِيحِهِمُ   نَحْوُ الْمَلِيحَةِ زِينَةُ الدُّرِّ».

وقال أيضا من قصيدة له:

«لِلَّهِ دَيْمَانُ قَوْمًا لَا يَكَادُ يُرَى   مِنْ قَيِّمِ الدِّينِ إِلَّا مَا يَدِينُونَا
لِلَّهِ دَيْمَانُ قَوْمًا لَا يَكَادُ يُرَى   مِنْ صَادِقِ الْقَوْلِ إِلَّا مَا يَقُولُونَا
لِلَّهِ دَيْمَانُ قَوْمًا لَيْسَ مُلْتَبِسًا   لَدَيْهِمُ بِالْمُصِيبِينَ الْمُصَابُونَا
هُمُ الْمُوَالُونَ فِي اللهِ الْمُوَالِيَهُ   كَمَا هُمُ لِلْمُعَادِيهِ الْمُعَادُونَا

(1) الشيخ محمد المامي بن البخاري الباركي، ديوان الشعر الفصيح، مركز الدراسات الصحراوية، دار رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015، ص400.

(2) مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي: هو العلامة الفقيه اللغوي الشاعر، له مؤلفات حسان ومديحيات بديعة. ت1243هـ/ 1828م.

أَيْسَرِيهِمْ فَالْمُعْتَفَاتُ بِسَائِلِ النَّوَالِ تَسْرَى ... فَيُبْقِي الْغَمَائِمَ غَيْضًا إِذْ يُفِيضُونَا».

وقال النابغة الغلاوي[1]:

«إِنِّي خَرَجْتُ مِنَ أَرْضِ الْحَوْضِ هَيْمَانَا ... وَلاَ أُرِيدُ سِوَى أَبْنَاءِ دَيْمَانَا

أَبْغِي زِيَارَتَهُمْ مِنْ بَعْدِ كُتْبِهِمُ ... نِعْمَ الْمَزُورُ وَنِعْمَ الْكُتْبُ أَيْمَانَا».

ويبدو أنه كان لأولاد ديمان شعور بمزاياهم ووعي بمكانتهم، كما يتجلى ذلك في كثرة المؤلفات التي ألفوا عن أنفسهم تاريخا ومناقبا وأنسابا، حيث ألفوا عن أنفسهم -وهو ما لا نكاد نجد عند غيرهم- أكثر من عشرين مؤلفا كلها تدور حولهم كليا أو جزئيا، فمن هذه المؤلفات:

- "أنساب بني ديمان" للكوري بن سيدي أحمد بن الكوري بن قطرب الديماني.
- "أنساب بني يعقوب إنلل" الديمانيين لأحمد بن المختار بن محمذن بن أغلميت الديماني.
- "أنساب بني يعقوب إنلل وبني يلهنض وبني الطالب أجود، وبني أحمذنلل وأهل باليل" لباركلل بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد الديماني.
- "تقاييد متفرقة في بني سيدي الفالي" الديمانيين لباركلل بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد الديماني.
- "توشيح على نظم باركلل بن محمذن بن محنض بابه" المتقدم لحامدن بن أممه بن الكوري الديماني.
- "التوسل بأولاد باركلل بن يعقوب إنلل" الديمانيين لسيدي أحمد بن مامين وسيدي أحمد بن الحميدي الديمانيين.
- "اللؤلؤ والمرجان في مآثر بني ديمان" لمحمذن بن حبلل الديماني.

---

(1) النابغة الغلاوي: هو العلامة الفقيه الشاعر المبدع محمد بن عبد الرحمن بن عُمر بن بنيوگ الغلاوي المشهور بالنابغة، درس على والده وعلى خاله عالم كل فن عبد الله بن الحاج حماه الله الغلاوي وغيرهما، ثم انتقل إلى أحمد بن محمد العاقل الديماني الأبهمي، فاستقر معه في بني ديمان وتزوج فيهم، له المنظومات الرائقة والمؤلفات الفائقة. ت1245هـ/ 1829م.

- "طبع أولاد ديمان" لبابه بن محمودن بن محنض بابه الديماني.
- "ذات ألواح ودسر" في الرد عن أولاد ديمان وذكر بعض مناقبهم لسيدي أحمد بن أسمه الديماني.
- "أنساب أهل أعمر اليزيكنده وأهل المختار آكد عثمان" الديمانيين لمحمد عالي بن أحمدو بن زياد الديماني.
- "أنساب بني أعمر إيديقب" الديمانيين لأحمد سالم بن سيدي محمد الديماني، وشرحه لمحمد فال بن عبد اللطيف الديماني. ولعل تأليف أحمد سالم هذا نظم لتأليف محمد عالي بن المتقدم.
- "أنساب أهل المختار أكد عثمان" لمريم بنت محمد محمود بن محمد بن أحمد الجواد الديمانية، وفيه زيادات لاسليمان بن امحمد بن أحمد الديماني، وزيادات أخرى لحفيدها محمد بن أحمد بن المختار الديماني.
- "البادة في آبار إيكيدي" لمحمدو بن البراء بن بكي الديماني.
- "نظم البيوتات التي لم يوجد نظم بابكر بن إمام اليدالي في بني سيدي الفاللي الديمانيين لها" لمحمدو بن البراء بن بكي الديماني.
- "نظم في أهل مودي مالك" لمحمدو بن البراء بن بكي الديماني.
- "نظم في أهل عبد الله بن محنض بن ديمان" لمحمدو بن البراء بن بكي الديماني.
- "نظم في أهل سيدي ببكر" لمحمدو بن البراء بن بكي الديماني.
- "مدافن إيكيدي" لمحنض بابه بن امين الديماني.
- "عادات أولاد ديمان" ضمن نظم "المتوسط المبين" له أيضا.
- "ألفية أولاد سيدي الفاللي" و"الملقطات الحية في أبناء يعقبنلل" و"الملقطات الحية" في إيدينهنض و"الملقطات الحية" في أهل أكد الحسن (= أكد الحسن)" و"لامية إيدابهم" أربعتها للمختار بن حامدن الديماني.
- "عقود الجمان في أنساب بعض بني ديمان" لعبد الله بن امين الديماني.

كما أنهم ألفوا مؤلفات عديدة عن تاريخ المنطقة والبلاد، جعلت ابن أسمه يقول في كتابه "ذات ألواح ودسر": "قام بنو ديمان بتاريخ هذه البلاد أكثر مما قام به

غيرهم[1]، فمما ألفوا من ذلك:

- "أنساب أئمة العشائر"، المشهور باسم "كتاب الأنساب" أو "ورقات والد في الأنساب" أو "نبذة من تاريخ الصحراء القصوى" لوالد بن خالنا الديماني.
- "كرامات أولياء تشمشه" له أيضا.
- "نظم تاريخ أمراء المغافرة" له أيضا.
- "نظم تاريخ إمارة الترارزة" لبابكر بن احجاب الديماني الذي جعله تكملة لنظم والد في تاريخ المغافرة.
- "نظم في التاريخ" لمحمذن بن محمد فال بن أحمد العاقل الديماني نسج على نفس المنوال.
- "نظم وفيات الأعيان" لمحمدو بن البراء الديماني.
- "نظم الاعتبار بحوادث الدهور" لسيدي أحمد بن الحبيب الديماني.
- "أنساب المغافرة" للشيخ أحمدو بن اسليمان الديماني.
- "تاريخ تشمشه" له أيضا.
- "رسالة في التاريخ والأنساب" للشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان الديماني.
- "إخبار الأحبار بأخبار الآبار" لمحمد بن أحمد يوره الديماني.
- "أنساب المغافرة" له أيضا.
- "تذييل نظم المختار بن جنكي اليدالي في المدافن الشمشوية بإيكيدي" لأحمدو بن زياد الديماني.
- الموسوعة التاريخية في "تاريخ المنطقة" لمحمد فال بن البناني الديماني.
- موسوعة "حياة موريتانيا" للمختار بن حامدن الديماني.

وتعطينا خريطة علمائهم وأدبائهم فكرة عن مدى إسهاماتهم الروحية والثقافية في البلاد[2].

---

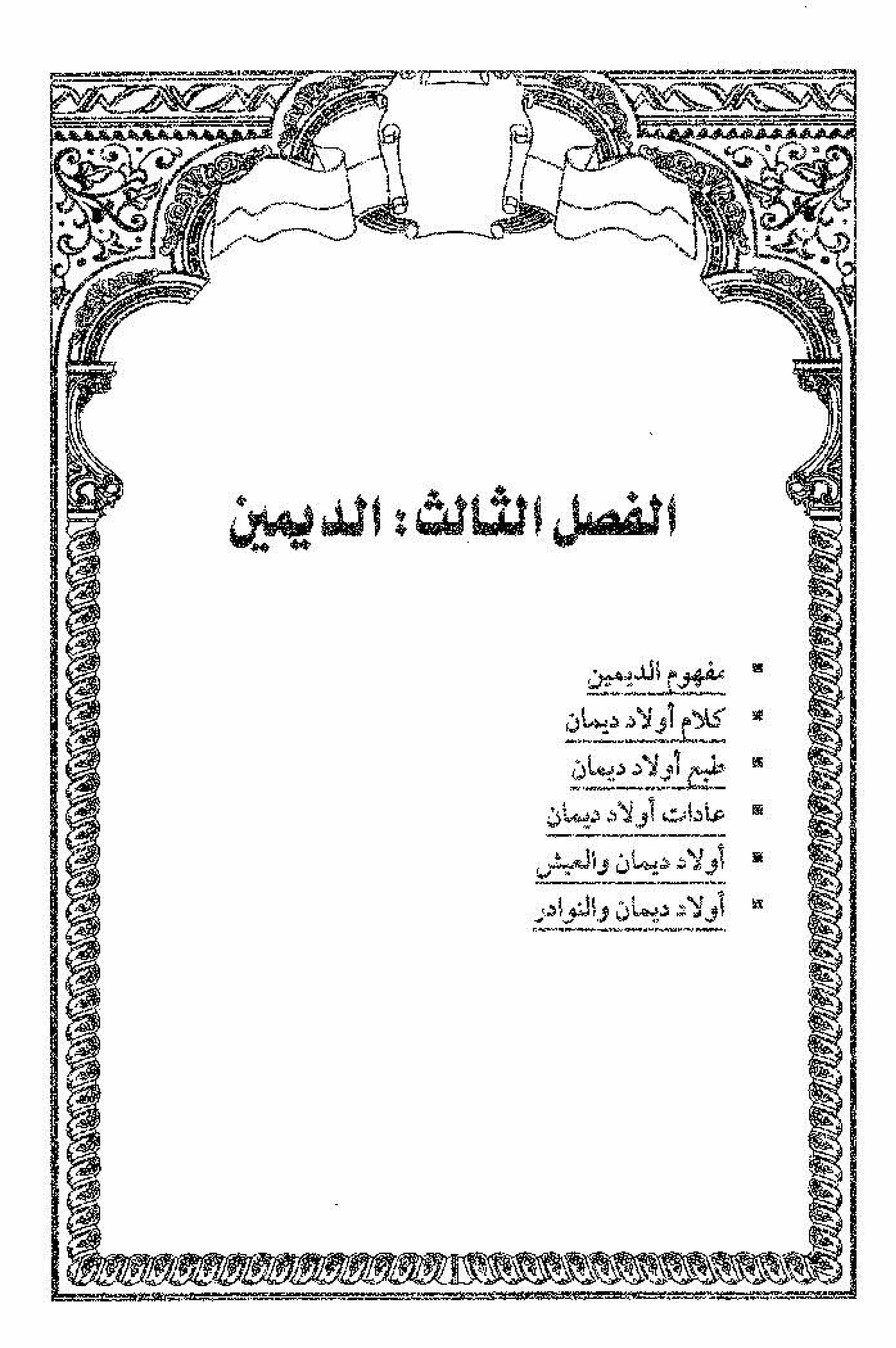
(1) ابن أسمه، ذات ألواح ودسر، مرجع سبق ذكره، ص34.

(2) راجع جرد أبرز ما ذكره ابن حامدن في "حياة موريتانيا" من أوصاف علمية ودينية وأدبية عمن ترجم لهم من أولاد ديمان في ملاحق هذا الكتاب.

غير أن ما حرص أولاد ديمان على التميز به عن غيرهم، لم يكن العلم ولا حسب ولا الإشعاع الروحي، بل الديمين الذي أصبح مع الوقت يمثل هويتهم شهر في المنطقة.







الفصل الثالث: الديمين

- مفهوم الديمين
- كلام أولاد ديمان
- طبع أولاد ديمان
- عادات أولاد ديمان
- أولاد ديمان والعيش
- أولاد ديمان والنوادر

مفهوم الديمين

نستنتج من قول المختار بن حامدن بأن لفظ أولاد ديمان له إطلاقان: «أحدهما نظرا للانتساب»، والآخر «نظرا للبيئة والشيم والأخلاق[1]» وجود قطيعة مفهومية بين مفهوم الديمين وبين الانتماء الجينيالوجي لقبيلة أولاد ديمان، حيث يعبر الديمين عن ظاهرة بيئية وسلوكية أكثر من تعبيره عن ظاهرة جينيالوجية. ويمكن تعريفه بأنه عالم متميز من البنيات القولية والقيم السلوكية التي يتحلى بها شخص أو فئة ما، نالديمين[2] إذن هو مجموعة سلوك (قولي وفعلي) حياتية وليست مجرد انتساب[3]،

---

(1) ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، مرجع سبق ذكره، ص23.

(2) استخدم الديمين الأديب الشاعر امحمد بن أحمد يوره الديماني في شعره الحساني بقوله:

"مرجبت بيكم مجتمعين | وأسو مماهي كساع الديمين"
تظهار في الساعه والحين | لسل خالك يادويرات
أهل انخيلت سيد الأمين | وأهل ابيمار الدخله لخرات
أيججيم أمنزع لمحورين | أيبسرات المبسرات
أيغفر أنيسلو والساك | يمر وتشكم بالنيعات
بردتو لخلاك افلخلاك | كونول لخلاك اشوسات".

واستخدمه الشاعر المختار بن محمدا الديماني بقوله في أبيات:

همو الديمين مفهوم ثقافي | وطبع طبعه طعم السلاف
وشيق واسعا من حاميروه | بقيد الحمرق فهمو لسه منافي
وأخولمأ فهمه من عمورو | سلوكا لمتعقد لا ينافي
ومن ثوب الدهانسة ألبسوه | وجلباب الغموض والانحراف..

(3) مما يروى في ذلك من الشعر الحساني:

"الديماني ذاك البكال | وألي حك ألي ديماني
مفنوش الاقوال ولفعال | واكلاعو كامل معاني
الديماني حدو معروف | حسن الطبع وصنع المعروف
وامنين الشوف فرط الشوف | أمنادم هان متحان
وقت الطمع عندو والخوف | والي خاطيهم سيان

رغم أن إطلاق الديمين مشتق من الانتساب إلى أولاد ديمان.

وربما عبر عن الديمين باستدمين ومعناهما واحد، وإن كان الديمين في الأصل يعني تمثل الديماني لسلوك أولاد ديمان، واستدمين يعني تمثل غير الديماني لسلوك أولاد ديمان، لكن جرى التوسع في استعماله بمعنى الديمين حتى أصبحا كالمترادفين.

والديمين مختلف الأوجه، متعدد الجوانب، كثير الجزئيات، ولو ذهبنا نعطي تعريفا وافيا ودقيقا له لما استطعنا. ويكفي أن نورد بعض أجوبة أولاد ديمان أنفسهم عنه لنتبين ما هي أهم أسس الديمين لديهم، فقد سئل أولاد ديمان عن الديمين مرة فقالوا بأنه: «"تلباگ الأمور" (=تهوين الأمور)»، وربما عبروا عنه بعدم الإطناب.

وسئلوا عنه مرة، فقالوا بأنه: «"السبله" (=سماحة الطبع)»، وربما قالوا: «"ثلثين منو السبله والثلث لوخر منو امل ألا السبله" (=ثلثان منه سماحة الطبع، والثلث الآخر منه أيضا سماحة الطبع)»، ويقصدون بـ«"السبله" (=سماحة الطبع)» سهولة الاستجابة للمقتضيات وسرعة التكيف مع المواقف، لكن ليس كل المقتضيات، أو المواقف، بل تلك التي لا تتنافى مع الديمين.

وسئلوا عنه مرة فقالوا بأنه: «الظرافة»، وربما عبروا عنها بـ«گلت الثقل (=قلة الثقل)»، فالثقل، ويدخل فيه إتيان كل ما لا يلائم طباعهم، من أكبر منافيات الديمين عندهم، لاسيما ثقل من هو ثقيل ولا يعرف مع ثقله أنه ثقيل. وقد ساق حمدن بن التاه الديماني في نظمه في ثقلاء العصر نماذج عديدة من طباع الثقلاء التي تنافي طبع أولاد ديمان(1).

وسئلوا عنه مرة فقالوا بأنه «"اجبار" (=الموافقة)»، ويقصدون به الملاءمة في الطباع والموافقة في المواقف.

أم ديمـــاني بالحاضـــر　　يتكلم باكلامـــو يامـــر
بعفـــگ فـــلْ مـــاه كســـاهر　　يعلـــگ فيـــه ولاه هـــان
واعـــن لكبـــر متـــو داســـر　　ذاك الـ ســـاهُ ديمـــاني"

(1) راجع نص النظم في الملاحق.

ويبدو من هذه الأجوبة أن الأسس الأهم للديمين لدى أولاد ديمان أربعة هي: «تهوين الأمور، وسماحة الطبع، والظرافة، والموافقة»، حيث تمثل هذه الأسس بالنسبة إليهم الأصول التي يتجسد من خلالها كل ما سواها من القيم الديمانية الجزئية الكثيرة الأخرى.

وأهم هذه الأسس الأربعة لدى أولاد ديمان: «"تلباگ الامور" (=تهوين الأمور)» كما يظهر من خلال جواب الديماني الذي قال له أحدهم: «لقد تميزت القبيلة الفلانية من تشمشه بالصلاح، والقبيلة الفلانية بالعلم، والقبيلة الفلانية بالكرم، والقبيلة الفلانية بالفتوة، فبماذا تميز أولاد ديمان؟ فقال له الديماني: "ألا اشري تلباگ الامور" (=لعله تهوين الأمور)».

فتهوين الأمور لدى أولاد ديمان بمثابة العمود الفقري لهذه الأسس، لأنه يسد الباب أمام تفاقم الأمور التي كثيرا ما يجلب تفاقمها ضررا أعظم من ضررها الأصلي، فلذلك كثيرا ما يقولون بأن «"الامور أشبه تلبگ من تثقال" (=أن تهون الأمور أفضل من أن تتفاقم)».

ولا شك أن تهوين الأمور يتطلب من الديماني أن يواجه في حياته اليومية إساءات الغير بالصبر، والإغضاء، والتبسيط، وربما بإنكار حدوث هذه الإساءات أصلا إذا اقتضى الأمر.

كما أن تهوين الأمور يتطلب من الديماني في بعض الأحوال والظروف ألا يكون صريحا في التعبير عن مواقفه ومشاعره اتجاه ما يحدث، مما يجعله متهما من قبل من لا يعرف الديمين بالغموض وعدم الوضوح.

وتندرج تحت هذه الأسس الأربعة: «تهوين الأمور، وسماحة الطبع، والظرافة، والموافقة» منظومة متنوعة من القيم التي يتشكل منها الديمين أو يضفي عليها لمسته الخاصة، حاول ابن باباه أن يجمع شتاتها في تعريف جامع لمفهوم الديمين، فقال بأنه «محمول على الأناة، والحلم، والتأني، والتبصر، والحياء، واللطافة، والذكاء، وخفة الروح، وسرعة البديهة.. ومجموعة من الشيم والأخلاق.. والنكتة الظريفة[1]».

---

(1) ابن باباه، تاشمشه ودورها السياسي والثقافي، مرجع سبق ذكره، ص174-185.

ومع أن كل هذه القيم التي ذكر ابن باباه موجودة بطريقة أو بأخرى لدى أولاد ديمان، فإن الصفة الديمانية المطلقة لا يتصف بها إلا من ينطلق في تديمنه -سواء عن وعي منه أو عن غير وعي- من الأسس الأربعة السابقة: («تهوين الأمور، وسماحة الطبع، والظرافة، والموافقة») فإن لم ينطلق منها كان ديمانيا ناقص الديمين.

وبهذه المنظومة القيمية المتنوعة المبنية على الأسس المذكورة يتميز -أو يريد أن يتميز- أولاد ديمان عمن يسمونهم بإيتشكي (=الغير)، الذين يرى الديمانيون أنهم يمثلون الصورة الأخرى المقابلة لهم، فقد «سئل أولاد ديمان مرة عن الديمين فقالوا بأنه: "ذالك الماء استتشكي" (=ما ليس بسلوك إيتشكي)، فسئلوا عن استتشكي فقالوا بأنه: "ذالك الماء الديمين" (=ما ليس بسلوك أولاد ديمان)».

وإيتشكي التي اشتق استتشكي من النسبة لها عبارة صنهاجية مركبة من مقطعين هما: "ءاذ"، بمعنى: ذلك و"يگان": بمعنى الذي هو غير، ثم أدغمت ءاذ في يگان فتحولت إلى ءايتشگان بجيم فارسية (=حرف بين الشين والتاء)، ثم حورت بمفعول الصياغة الحسانية إلى إيتشكي، وربما كتبت بالجيم (=إيجكي) ومعناها الحرفي: ذلك الذي هو غير. أما أصل اشتقاقها فإيتشكي (=الغير) في الأصل إطلاق أطلقته قبيلة بيلگه اللمتونية على كل من سواها من قبائل الإمارة التي قامت بتأسيسها ترفعا عليهم وتميزا عنه، فقد كانت بيلگه قبيلة أميرية رفيعة القدر، مسكونة بالعظمة والأنفة والاعتزاز (من اسمها اشتقت عبارة مبلوگ)، وقد أخذ أسلاف أولاد ديمان الذين ساكنوها فترة من الزمن عنها مصطلح إيتشكي ودلالته على الغير، فلما اختط أولاد ديمان لأنفسهم منهج الديمين أصبحت بيلگه نفسها جزءا من ذلك الغير الذي هو إيتشكي بالنسبة لأولاد ديمان، فلذلك صارت عبارة استيشيگ المشتقة من بيتشگه (=بيلگه) عندهم مرادفة لاستتشكي المشتقة من إيتشكي، وصار إطلاق مستتشكي ومستبشگ لديهم بمعنى واحد، والهدف هو إظهار أن نمط سلوك أولاد ديمان على الضد من نمط سلوك بيلگه (=بيتشگه) وإيتشكي، على عادة المجتمع البيضاني في اشتقاق أسماء الأنماط السلوكية من أسماء القبائل التي تتحلى بها، كالتكنتي المشتق من كنته ويرمز إلى الكرم والتعالي عن سفاسف الأمور، والترزگي المشتق من أولاد رزگ ويرمز إلى الأنفة والنخوة، والتمغفير المشتق من المغافرة ويرمز إلى التخلق

بمعالي الأمور والابتعاد عن الدنايا، والتشمشي المشتق من تشمشه ويرمز إلى سمو الطبع ودماثة الأخلاق... إلخ.

ومع الزمن تنوسي أصل اشتقاق استبشيگ واستشگي بينما بقي مدلولهما الذي قصره أولاد ديمان على كل نمط سلوكي مخالف لنمط سلوكهم.

وهكذا جعل أولاد ديمان بهذا لأنفسهم عالما من القيم أرادوا له أن يكون خاصا بهم دون كل من سواهم، فأصبحوا يقولون: «"ألّ خالگ ألا أولاد ديمان ولّ إيتشگي" (=لا يوجد إلا أولاد ديمان أو إيتشگي)». وتروي أسطورتهم المتداولة عندهم: «أن أبا أولاد ديمان وأبا إيتشگي أخوان، ولد أبو أولاد ديمان: أولاد ديمان، وولد أبو إيتشگي: سائر الناس». ومرادهم بهذه الولادة -كما هو ظاهر- ولادة سلوكية تتعلق بالطباع لا ولادة نسبية تتعلق بالأعراق، ولذلك قال ابن أسمه في التعريف بإيتشگي في كتابه "ذات ألواح ودسر": «**إيتشگي مصطلح يطلقونه على كل من لا يتطبع بطباعهم**[1]»، وقال أيضا في موضع آخر من كتابه: «**إيتشگي كناية عند بني ديمان عمن لم تتهذب أخلاقه**»[2].

ويؤكد أولاد ديمان على هذه الثنائية التي تذكر بالثنائيات المعروفة التي تطلقها بعض المجموعات لتتميز بها عن غيرها كإطلاق الرومان للبربر، والعرب للعجم، واليهود للغوييم، وهي إطلاقات تحمل كلها شحنة ترفع دافعها حب التميز والتفوق، إلا أن إطلاق أولاد ديمان لإيتشگي يتميز عن إطلاقات غيرهم بكونه إطلاقا موجها ضد أنماط سلوكية تخالف نمطهم، في حين أن إطلاقات غيرهم موجهة ضد أجناس بشرية تخالف جنسهم، فهو تعبير عن خصوصيات ثقافية لدى أولاد ديمان، حيثما وجدت وجد الديمين وحيثما فقدت وجد إيتشگي.

ولمعرفة مدى تورط الديماني في هذه الثنائية التي وضع نورد قصة رجل أولاد ديمان الذي قال له أحدهم: «**تقولون إن الرسول (ﷺ) كان متديمنا؟ فقال: ذلك لا نقوله ولكننا نقول: إن من قال إن الرسول ﷺ كان من إيتشگي فقد ارتد**».

---

(1) ابن أسمه، ذات ألواح ودسر، مرجع سبق ذكره، ص 75.

(2) المرجع نفسه، ص120.

ويترادف الديميين أحيانا مع اتگيدي الذي هو تعبير جغرافي مشتق من النسبة إلى إيگيدي عن ذات المنظومة القيمية للديميين، بالنظر إلى أن إيگيدي الذي يجمع إلى جانب، أولاد ديمان عددا من قبائل تشمشه تبنى نفس القيم هو منبع هذه المنظومة. ولهذا عرفه ابن باباه بقوله: «اسداميين [=الديميين] هو منظومة أخلاقية، وفرع من فروع المنهاج السلوكي لبني ديمان تأسس عليه حلف تشمشه، وانفردت به المجموعات المتقلدة تحت شعار تشمشة إيگيدي على اختلاف أصولها السلالية[1]».

وقد أرجع أحمدو بمبه بن المختار بن أحمد بن الأمين الديماني[2] في كتابه "الصلة المبرورة على شعر ابن أحمد يوره" هذه القيم الإيگيدية إلى عوامل تتعلق بموقع إيگيدي الجغرافي وطبيعته البيئية حيث قال: «قد طبع الله سكان إيگيدي وما يحاذيه على الجزالة، والوقار، والتيقظ، ورقة الطبع، لطيب مائه، واعتدال هوائه، وانقطاعه عن الخفة الساحلية غربا، والعصدة الجبلية شرقا، والحماقة الريفية جنوبا، والجلافة التلالية شمالا[3]». ودون أن نجنح إلى التعميم، أو نقلل من قيمة العوامل الجغرافية والبيئية، فإننا نرى أن العوامل التاريخية والثقافية في اتگيدي كان لها الدور الأبرز.

وكيفما كان الأمر فيجب أن نعترف بأن كل ساكنة منطقة إيگيدي وما حاذاها يتحلون بذات القيم التي لدى أولاد ديمان أو أغلبها، على تفاوت بينهم في ذلك، لتقاطعهم في الشيم واتحادهم في البيئة. وقد تمتد هذه القيم في بعض جوانبها لتشمل كل الگبلة، فلذلك يترادف الديميين أحيانا مع امستگبيل، بدرجات تتفاوت هي الأخرى. وتتميز منطقة "المحصر" (=دائرة القبيلة الأميرية أبناء أحمد بن دامان الذين يتقاسمون مع أولاد ديمان كثيرا من القيم النبيلة) التي تجاور منطقة إيگيدي وتشترك معها في نفس الحيز، بثقافة تتقاطع مع الثقافة الإيگيدية من حيث سرعة

---

(1) ابن باباه، تاشمش ودورها السياسي والثقافي، مرجع سبق ذكره، ص 173.

(2) أحمدو بمبه بن المختار بن أحمد بن الأمين الديماني الأبهمي العاقلي: أديب وشاعر، اهتم بشعر امحمد بن أحمد يوره الديماني، وألف فيه كتابه المذكور "الصلة المبرورة". ت1942م.

(3) ابن احبيب، كتاب الأعداد، مرجع سبق ذكره، ص 235.

البديهة، وبلاغة التعبير، والترفع عن صغائر الأمور.

ولذلك كثيرا ما تظهر أفعال أو أقوال عن بعض الأفراد أو المجموعات التي تعيش في هذا الوسط الثقافي المتمازج -الذي تعتبر المذرذرة اليوم بمثابة عاصمة له- من غير أولاد ديمان، نجد أولاد ديمان يحتفون بها ويبالغون في استحسانها، معتبرين أنها في غاية التديمن.

فمن ذلك مثلا أن «أحمد بن عبد الله بن محمذن بن أحمد بن العاقل [الديماني] كان "كبلت لبحر" (=جنوب نهر السينغال) فلقي إبراهيم الخليل بن سيدي ميله [الأحمد بن داماني]، وكان لا يعرفه، فبالغ إبراهيم الخليل في إكرام وفادة أحمد، وقد تبين أحمد أن إبراهيم الخليل من أولاد أحمد بن دامان، دون أن يعرف إلى أي بيوتاتهم ينتمي، وكان من المصادفات أن أول من التقى به أحمد هو أحمد بن سيدي ميله والد إبراهيم الخليل فسأله عنه بعد أن أثنى على خلقه وكرمه، فرد عليه أحمد بن سيدي ميله قائلا: "آن ماني اخباري افسغار أولاد أحمد بن دامان" [=أنا لست خبيرا في شباب أبناء أحمد بن دامان]، فقال أحمد بن عبد الله: "ذاك معناها عنو إبراهيم الخليل" [=معنى ذلك أنه إبراهيم الخليل][(1)]».

لقد استحسن أولاد ديمان وغيرهم من المعتنين بالثقافة الإيكيدية رد أحمد بن سيدي ميله هذا وتجافيه عن إضافة إبراهيم الخليل إليه أو التصريح ببنوته له، واحتفوا به احتفاء كبيرا، باعتباره من أبلغ ما يقع من الديميين، حتى صار مرجعية لكل من يقع في ذات الموقف من أهل المنطقة، كما وقع عندما «زار الشيخ بن محنض [الديماني] المغرب للعلاج، فعلم عبد الله بن محمد المختار بن اباه [العلوي] بقدومه، فجاءه ولم يبخل عليه إكراما وإحسانا وملاطفة، ومضت أيام فذهب محمد المختار بن اباه لعيادة الشيخ، وبعد السلام، قال له الشيخ: هل تعرفون شابا يزورني هنا من أوصافه كذا وكذا؟.. فسكت محمد المختار، وبعد ساعة سأل عن قصة لقاء أحمد بن عبد الله وأحمد بن سيدي ميله؟ فقال الشيخ: "معناها عنو ذ عبد الله" [=معنى ذلك أن هذا عبد الله][(2)]».

---

(1) نقلا عن الأديب أحمدو بن بزيد الديماني الفاضلي.

(2) المصدر نفسه.

ثم بعد ذلك بمدة «كان محمد بن أمين بن حدمين الديماني في زيارة مع بعض قومه إلى مدفن آبليغ، وكان معهم ابنه الفتى شيخنا بن محمد بن أمين، فسأل محمد سالم بن محمذا الديماني محمد بن أمين قائلا: من هو هذا الفتى؟ فقال له محمد بن أمين مجيبا: "آن ماني اسباري افسغار أهل لخيام" [=أنا لست خبيرا في شباب أبناء الحي](1)».

ومما استحسن أولاد ديمان واحتفوا به أيضا رد محمد بن أحمد بن الميداح دعيه علما على سؤال لأحد الصحفيين في برنامج تلفزيوني عن "طلعة" (=مقطوعة من الشعر الحساني) له في الوصية يوصي فيها فتى يدعى أحمد: «إن كان من يعني في الوصية هو ابنه أحمد؟ فأجابه [محمد بن أحمد بن الميداح] بأن من المعتاد ألا يوصي أحد أحدا إلا إذا كان "يسمعلو لكلام" [=يطيعه فيما يأمره به](2)»، مشيرا بذلك بطريقة متديمنة إلى أنه ابنه.

ومنه أن «حبيب (=بلداح) بن محفوظ الكرعي حضر –وأنا معه– مؤتمرا صحفيا للأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان في انواكشوط، وكان كوفي عنان يتكلم عن قضية الصحراء فقال إنها متشعبة ولها أجنحة متعددة. ولما انتهى من حديثه فتح المجال للأسئلة قائلا: إنه على الصحفي ألا يطرح إلا سؤالا واحدا، فطرح حبيب عدة أسئلة، فقال له كوفي عنان: ألم أقل بأن لكل صحفي سؤالا واحدا فقط؟، فقال له حبيب: هذا سؤال واحد لكنه متشعب وله أجنحة متعددة(3)». يريد أنه يشبه قضية

---

(1) نقلا عن الأستاذ عبد الله بن محمذن بن محمذن فال الديماني الباركللي.

(2) نقلا عن الأديب أحمدو بن بزيد الديماني الفاضلي. ولمحمد بن أحمد الميداح قصص أخرى عديدة في هذا المجال يرويها أهل إيكيدي ويتناقلونها بينهم احتفاء بها واستحسانا لها.

(3) كان حبيب بن محفوظ عبقريا كثير القصص في هذا المجال، مشهورا ببراعته الإيكيدية التي عبر عنها في عموده المعروف "موريتانيد" «MAURITANIDES» في مناسبات مختلفة، فمن ذلك أنه عندما قسم الرئيس الأسبق معاوية ولد الطايع سيارات تويوتا على الشيوخ التقليديين في البلد كتب حبيب بالفرنسية مطلقا على السيارات اسم: «TOYOTAYA» (=تويوطايع). وعندما أعلن شعاره «LE CHANGEMENT DANS LA STABILITE» (=التغيير في ظل الاستقرار) كتب حبيب: «LE CHANGEMENT DANS LA STAYABILITE».

وقد كنت قلت فيه وفي أخلاقه الإيكيدية:

لصحراء في ذلك، ففهم كسوفي عنان تلميح حبيب وأعجبته سرعة بديهته وحذاقته أجابه عن جميع أسئلته.

والخلاصة أن الديمين في تجلياته المختلفة الكلية أو الجزئية السلوكية أو الكلامية موجود بمستويات معينة في كل المنطقة، بل يمكن القول أيضا إنه موجود في جميع القبائل والمجتمعات بدرجات متفاوتة، لأنه في جانبه السلوكي عبارة عن مجموعة أخلاق يمكن أن توجد -أو يوجد بعضها- لدى كل مجتمع، بينما هو في جانبه الكلامي من الأفعال اللغوية المألوفة في جميع اللغات، فهو يطابق في بعض واحيه الكلام المنطوي على وجه من أوجه التورية أو الكناية أو التعريض أو التلميح لمعروف في جميع اللغات، ويطلق عليه البعض مصطلح التسميل أو مصطلح التلطف الذي يعرف بأنه الترفق في العبارة والاحتيال فيها لبلوغ المقصود، أو تحسين العبارة والتلميح إلى الأمور، كما أنه يطابق في بعضها الكلام البليغ الجامع لمعان كثيرة بألفاظ قليلة، أو الكلام المعبر الدال على حضور البديهة وفصاحة اللسان، أو الكلام المفحم أو المسكت، أو الحكيم.

لكن وجوده بهذه الطريقة الجامعة المشتملة على منظومة قيمية كلامية وسلوكية واسعة، واستمراره على مدى قرون عديدة ارتبط بأولاد ديمان أكثر من غيرهم، حتى أصبح الديمين بالنسبة إليهم هوية لا مجرد كلام أو سلوك، بينما أصبح بالنسبة إلى غيرهم موضوعا يلفت الانتباه، ويثير الفضول، بسبب خصوصياته المتنوعة والمتعددة.

هذه الخصوصيات التي عبر عن بعضها محمد بن أحمد بن الميداح في مقاله المعنون بـ"أولاد ديمان" بقوله:

«لقد قيل الكثير، منه الصادق ومنه دون ذلك، عن هؤلاء القوم الذين يسكنون

لله در حبيب لست موفيه ... مقدار الفضل مهما قلته فيه

العبقرية فيه ليس ينكرها ... شخص وحسن السجايا ليس ينفيه

وما تمراني أبديه وأذكره ... مما أراه تمراه هو يخفيه

وليس ذلك بالأمر الغريب على ... أبناء شور إيكيدي أو قبائليه.

منطقة إيكيدي، والذين يوحي سلوكهم وكلامهم ومظهرهم بأنهم عنصر من طراز خاص، ومع ذلك فهم ليسوا عنصرا من طراز خاص. إنهم رجال بسطاء مثلي ومثلك. نعم لهم خصوصياتهم الثقافية، وهي خصوصيات يتطلب فك معماها مجهودا لا بأس به من دقة الملاحظة والصبر. ولعلنا لو استنتجنا من ذلك أنهم منغلقون على أنفسهم نكون قد قطعنا خطوات لا يمكن أن يتجاوزها إلا من لا يتوفر على أدنى نصيب من قبول الآخر. ولا يظنن ظان أني نصبت هنا نفسي مدافعا عن أولاد ديمان، وذلك لسبب بسيط هو أنهم لا يولون أية أهمية لما يعتقده الناس بشأنهم، سواء فهمهم الآخرون أم لم يفهموهم ذلك هو أدنى انشغالاتهم..

إنهم لا يريدون تغيير العالم وعلى العالم ألا يحاول تغييرهم. إنهم راضون عن وضعيتهم، وبالرغم من بساطتهم الأسطورية فإنهم معتزون بقيمهم الثقافية. ذلك شأن يخصهم. إنهم دائما يوهمون من يجادلهم في أمر من الأمور أنه هو المحق، وأنه هو المثال والقدوة بالنسبة لهم.. فلا ضير بعد ذلك في أن يقع في الفخ، فيبدأ يستعرض معارفه الواسعة أمام جماعة من الناس يستمعون إليه بانتباه! في الحقيقة إنه يضيع وقته ومداده.

إن أولاد ديمان لا يحبون التبجح بنشر المعارف، ولا يستعملون أبدا ضمير الواحد المتكلم، ولا يؤمنون بالمآثر التي يدعيها من يقومون أنفسهم ويزكونها.

إن هذه الطائفة من الناس تصنف عندهم تلقائيا في الصنف المقيت المسمى بإيتشكي (وهي كلمة أمازيغية تساوي تقريبا: أهل الخفة والتهور وعدم النضج)، وبكلمة واحدة إنهم أشخاص مغايرون. ولا يحمل ذلك أي معنى سلبي، وإنما يعني أنهم ليسوا ديمانيين فقط، وقد لا يكون ذلك عيبا ولكنه على كل حال معوق.

كلا! إن أولاد ديمان لا يرون أنفسهم أسمى من غيرهم، ولكنهم يتحملون على طريقتهم ما يفرق بينهم وبين غيرهم، وهذا حقهم الطبيعي.. وقد تبدو هذه الحقيقة معقدة إن لم تكن متناقضة، ومع ذلك فهي ليست كذلك..[1]».

---

(1) Mohamed Ould Ahmed meidah, Les Ewlad Deymane,

ترجمة موقع انيفرار (www.niefrar.org)

ويمكننا أن نحصر الديمين من حيث تمظهراته الأساسية في ثلاثة أوجه هي: الكلام، والطبع، والعادات: الكلام في بعديه السوسيولوجي والتداولي، والطبع في مستوييه التعبيري والسلوكي، والعادات في وجهيها الاجتماعي والأنتروبولوجي. لذلك فستكون دراستنا للديمين من خلال هذه الأوجه الثلاثة.



كلام أولاد ديمان

لا يمكننا أن ندرس كلام أولاد ديمان دون أن نجمع بين بعديه الأساسيين: بعده السوسيولوجي، وبعده التداولي، لأن كلا من هذين البعدين يكشف عن وجه معين من أوجه الديمين يكمله الوجه الآخر. ولا يمكن تكوين صورة وافية عن هذا الكلام إلا بالإلمام بهذين البعدين معا:

أولا: البعد سوسيولوجي:

لا نقول بحال من الأحوال إن كلام أولاد ديمان هو إنتاج لساني محتكر من طرف أولاد ديمان، فلدينا أمثلة عديدة تصدر عن غير أولاد ديمان كما أن في مجتمعنا قبائل مشهورة بالفصاحة والبلاغة قد أنتجت كلاما له مكانته في المجتمع البيضاني.

غير أن كلام أولاد ديمان من بين كلام كل هذه القبائل كان ظاهرة فريدة، لأنه كان إضافة إلى بلاغته وفصاحته يعبر عن ظروف بيئية اجتماعية وسياسية خاصة بأولاد ديمان، جعلتهم يؤسسون مدرسة كلامية مشهورة ذات تأثير قوي عم صيتها كل ترابي البيضان.

إن بإمكاننا أن نقول: إن كلام أولاد ديمان هو كون رمزي أنشأته زمرة اجتماعية معينة في ظروف سياسية واجتماعية محددة، يمثلها المتكلم وفق مجموعة من الآليات المحددة، والأنساق الثابتة.

وبما أن كلام أولاد ديمان يتحرك في هذا الكون الرمزي بآليات محددة، وضمن أنساق ثابتة، فإنه لابد من توفر خصائص معينة في كلام مّا لكي نقول إنه من كلام أولاد ديمان، مما يعني النظر إلى الكلام دون المتكلم، لأن بنيته الدلالية التي أصبحت واضحة المعالم للمتلقي صارت هي المعرف له، لا المتكلم به.

لكن مع ذلك لا وجه للفصل بين هذا الكلام والمتكلم به، لأنه مع تراكم وتعدد المتكلمين من أولاد ديمان بنفس الطريقة لم تعد التفرقة بين هذا الكلام وبين المتكلم به من أولاد ديمان ممكنة، بل أصبح من الصعب ليس فقط تصور وجود هذا الكلام دون وجود ديماني، بل وأيضا تصور وجود ديماني دون وجود هذا الكلام. وهكذا اعتُبر أن كل أولاد ديمان متديمين لا لأنهم كذلك، بل لأن المتكلم

م هذا الكلام يخلط طواعية بينه وبين القبيلة من حيث عضو فيها، بحيث يحصل ى الآخر انطباع عام عن كل أعضاء القبيلة من خلال ذلك العضو المتكلم. وهو باع زائف، ومع ذلك لا يوجد بد من توالده لأنه انطباع لا شعوري ناجم عن كون خر لا يرى -رغما عنه- تعبير المتكلم من أولاد ديمان عن ذاته يزيد عن كونه ما لتوجهات وعي جمعي تتجاوز حدوده إلى زمرته الاجتماعية.

والحقيقة أن هذه القبيلة عاشت ظروفا اجتماعية وثقافية وسياسية وشهدت ولات تاريخية تسنى لها بسببها أن تنتج مثل هذا الكلام، الذي تجدر الإشارة إلى لا بد أن يكون قد مر بمراحل تطور قبل أن يبلغ حد الكمال الذي هو عليه الآن، أننا لا نستطيع أن نمايز بين ما لدينا منه -أي ما حفظته لنا الروايات- لأن الأعمال ي انتهت إلينا هي حتما حصيلة اصطفاء قام به المتلقون، ولا تمثل سوى نسبة بيلة من مجموع الإنتاج، مما يدل على أن أفضل الأعمال هي وحدها التي كانت قاومت تحدي الزمن حتى وصلت إلينا.

وبما أننا الآن لا نبحث في هذه الأعمال إلا عن ءاثار التجربة الاجتماعية فيها، نا سنتجاهل هنا عمدا قوتها المبدعة التي تدل على أن هذا الكلام قد طور القدرة جازية للغة الحسانية إلى حد بعيد، دون أن نغفل الانطباع الذي يتركه لدينا بأن صورة المجازية في هذا الكلام هي تعويض عن شيء ما أكثر مما هي مجرد عمل ي. وليس صعبا علينا باستقراء الواقع أن نستشف ذلك باستخراج العلاقة بين هذا لون الكلامي والعالم الواقعي، كما أنه ليس صعبا علينا أن ندرك بالعودة إلى ريخ طبيعة هذا الشيء المعوض عنه.

واضح أن قبيلة أولاد ديمان التي تحولت بعد حرب شرببه من قبيلة كانت حكومة قبل وأثناء الحرب بقيم جماعة ثقافية أعم من زمرتها إلى قبيلة مغلقة على سها[1]، تعيش فراغا حكميا، كان لا بد لها أن تعوض عنه، مما أتاح لها أن تجعل القيم التي تأسس عليها سلوك أولاد ديمان سلطة حكمية جامعة، والكلام الذي

---

(1) كانت قبيلة أولاد ديمان محكومة قبل الحرب في إطار تشمشه وأثناء الحرب في إطار الإمامة، وكان هذا يتيح لها الاتصال بمختلف القبائل الأخرى والاحتكاك بها، أما بعد الحرب فأصبحت قبيلة مغلقة على نفسها.

أتجد سلطة رقابية مانعة، ساعد على تكريسها أن الرجال الذين كانت الحرب تمثل بالنسبة إليهم الشاغل الرجولي الأول أصبحوا عاطلين، حيث جرى كبت الطاقة الحربية لنزعتهم مع عملية المصالحة التي تمت بينها وبين بني حسان.

إلا أننا نكون متسرعين إذا اعتبرنا هذا الوضع طعنا في رجولة الديماني. بل على العكس ساهم هذا في تنمية وتوليد اتجاهات جديدة يكرس فيها رجولته كان من أبرزها اتجاهه –كما فعل غيره من الزوايا المحكومين بنفس الظروف– إلى التفرغ للعلم والتعلم وإقامة الشعائر. وحيث إن العودة إلى حمل السلاح لم تعد ممكنة، صارت كل قبيلة من القبائل المهزومة تبحث عن تعبيرها الخاص، واستطاع الديمانيون العثور على هذا التعبير من خلال كلام أولاد ديمان، الذي استطاع الديماني أن يعوض به عن خسارته في الحرب على أكثر من صعيد، فهو على المستوى الداخلي تعبير عن الأرستقراطية الأخلاقية، وتجسيد للتميز القيمي للديمانيين، وعلى المستوى الخارجي وسيلة لممارسة ديبلوماسية القبيلة اتجاه الآخر، وأحيانا وسيلة لشن الحرب بالسلاح الكلامي تعويضا عن السلاح الحقيقي الذي تم فرض نزعه عليه بالقوة، حيث إن هذا الكلام عودنا على حالات كثيرة يكون فيها المتكلم ذا حظوة عند الأمراء والوجهاء أو محروما منها اعتمادا على ما يقوله، كما عودنا على حالات مماثلة تجعل الأرستقراطيات المجاورة لهم لاسيما تلك التي هزمتهم في حرب شرببه تتحرز من كلامهم أشد التحرز، فـ«كان أوائل المغافرة يعتبرونه جدا ويتقونه، بل كان أهون على أحدهم أن يقتل من أن يقول بنو ديمان فيه **كلمة تبقى إلى غابر الدهر[1]**».

ويجد هذا الوضع تفسيره في أن الهزيمة في حرب شرببه كانت أشد على أولاد ديمان من غيرهم، بوصفهم كانوا هم قادتها، فأصبحت حاجتهم إلى التعويض عن هذه الهزيمة أكبر، فلذلك، كان عدم القدرة على استخدام السلاح الحقيقي، وتلك الطاقة الحربية المكبوتة يجري التعويض عنهما بتوجيه أسلحة كلامية قد تكون في بعض الحالات أشد تأثيرا على الآخر من الأسلحة الحقيقية. مثال ذلك: «مر وفد من

---

(1) ابن أسمه، ذات ألواح ودسر، مرجع سبق ذكره، ص135.

ـي القبائل بوفد من بني ديمان وهم يستقون عند بئر، فقالوا لهم: أولئك أولاد
ان، لبئس القبيلة أنتم، لا أهلا بكم ولا مرحبا، فرد الديمانيون: وأولئك القبيلة
ذنية، أما أنتم فنعم القبيلة قبيلتكم، فوامرحبا بكم وبمن معكم. ثم إن وفد القبيلة
انصرفوا فقال قائلهم: قد والله أخطأتم وما أنصفتم، تسيؤون إليهم ويحسنون
ثم، ارجعوا إليهم فاسترضوهم فرجعوا على آثارهم وقالوا لهم: "يا أولاد ديمان
ألى گلنالكم اگبيل ماه حگ عندن" (=ما قلنا لكم قبل لم يكن هو الحق عندنا)،
نابهم الديمانيون: "حتى نحن ذاك ألى گلنالكم اگبيل ماه حگ عندن"(=ونحن
لك لم يكن ما قلنا لكم قبل هو الحق عندنا)».

مع أن هذا التمرير الذي ذكرنا غالبا ما يتحين له الديمانيون -كما هو الحال في
ه القصة- الفرص حتى يمرروه إما على سبيل الممازحة، وإما في إطار مجموعة
الأساليب المشحونة بالدلالات المتعددة المضامين كي يفلت من قمع الآخر،
ثي يقول الديماني ما يريد أن يقوله دون أن يكون مسؤولا عن قوله، ولا مسيئا به،
لكلام الديماني هو ذلك الكلام البليغ المؤثر من حيث الفكرة دون أن يكون
ـحا من حيث اللفظ، فاللفظ الجارح مهما كان لا يعد من قاموس أولاد ديمان.

وبهذه القوة الكلامية المشفوعة بمجموعة من القيم السلوكية المتميزة، عوض
اد ديمان عن الواقع الذي أنتجته حرب شربه.

لكن ليس من المواتي أن نقول إن الهزيمة في هذه الحرب هي التي أدت وحدها
ظهور هذا الكلام، فليست قبيلة أولاد ديمان هي القبيلة الوحيدة التي خاضت
رب ولا هي وحدها التي عانت من تبعاتها.

صحيح أن شربه كانت هي المحرك الأساسي الذي دفع أولاد ديمان إلى اقتناء
ا السلاح الكلامي، لكن الحرب لم تكن هي المنتجة له، بدليل أن أي قبيلة من
ائل المشاركة في الحرب لم تعرف مثل هذا الكلام الذي يبدو أنه يعود إلى تضافر
امل اقتصادية وثقافية مختلفة مع العوامل الاجتماعية والسياسية الآنفة.

ومن أبرز هذه العوامل على الصعيد الاقتصادي ظاهرة "التسكري" (=التقري)
بكر التي كان من مسبباتها الرئيسة تركيز الديمانيين في اقتصادهم على الحراثة،
جارة العلك، وتربية الأبقار، مما مكنهم من "التسكري" في فترة مبكرة، حيث

ساعدتهم ظاهرة "التسكري" على توفير ظروف اجتماعية مستقرة تسمح بازدهار بنيات ثقافية واجتماعية لا يسمح الترحال المستمر بازدهارها. تلك البنيات التي أخذت شكلا ما من أشكال التحضر أتاح للآداب الاجتماعية التي تفرضها المجاورة ويغذيها الاستقرار أن تنمو وتزدهر. ومعروف أن أولاد ديمان كانوا من أهل "آسكره" منذ زمن بعيد، وبالتالي عرفوا الاستقرار الضروري لتنمية وتطوير مثل هذا الكلام بعد أن توفرت العوامل السياسية والاجتماعي اللازمة لتخليقه وإنتاجه.

أما على الصعيد الثقافي فمن أبرزها ظاهرة التمحظر المبكر، حيث عرف أولاد ديمان المحاظر والمكتبات والعلوم مبكرا (منذ القرن العاشر[1])، فسيد الفاللي بن محنض بن ديمان المتوفي 1047هـ كان شيخ محظرة، وكذلك ابنه أشفغ الأمين كانت له مكتبة كبيرة[2]، وكان الفاللي ابن بابحمد بن يعقوبنلل بن ديمان (توفي معمرا حوالي 1110) عالما وحكيما، وكان أشفغ عبد الله بن أعمر اليزيكّنله الديماني علامة شهيرا قارئا حجة، وهو أول من ألف من الزوايا بعد حرب شربه (توفي سنة: 1101هـ) وغيرهم كثيرون، واعتنوا -وهذا هو أساس خصوصيتهم الثقافية- بعلمي المنطق والبيان، اللذين وجد فيهما أولاد ديمان وسيلة لتطوير مهاراتهم الكلامية بصورة مبكرة. وتشهد مؤلفاتهم العديدة في هذين العلمين على مدى اعتنائهم بهما، كما تشهد الأساليب والضروب التي ضاق بها كلام أولاد ديمان من استعارات وكنايات وتورية وتوجيه واختصار، ومن بحث في الدلالات والاقتصار على إحدى المقدمات والنتيجة أو على المقدمات المنطوقة في الشكل على استفادتهم من هذين العلمين في كلامهم اليومي. فقصة ابن امخيطرات الديماني مع «القوم الذين ذبحوا شاة وأخفوا لحمها عنه، فلما قام لبعض شأنه قبيل الحلب قالوا له: "اشنكر دونكم إلى احلبن أبراكم؟" (=ماذا نصنع لك إذا حلبنا قبل عودتك؟) فقال لهم: "إلى احلبتو أكردونّ أكصير" (=إذا حلبتم فأمسكوا لنا عظم القصير)» من باب المشاكلة

---

(1) كانت هناك محظرة كبيرة لسيدي الفاللي بن محنض بن ديمان (ت 1047هـ) وكانت له مكتبة كبيرة.

(2) ابن حامدن، جزء أولاد ديمان، مرجع سبق ذكره، ص 53.

بلاغية[1]. وقصته مع الأمير الذي شاركت فرسه في سباق فجاءت هي الورانية، قال الأمير: إن من قال إن فرسه غُلبت قطع لسانه، فسأل أحد ابن امخيطرات في مجلس الأمير عن الفرس الغالبة في السباق؟ فقال له ابن امخيطرات: غَلبت الورانية، فهم المجلس ذلك، وضحك الأمير» من باب القضية المنطقية التي ينقض بعضها بعضا[2]. وقصة المختار بن حامدن مع أهل محمد سالم من باب الأسلوب البلاغي الحكيم وهو حمل كلام المخاطب على معنى غير المعنى الذي يقصده ويريده، حيث أمر حامدن ابنه المختار لما أكمل طلب العلم في محظرته بالسفر إلى محظرة أهل محمد سالم المشهورة بإتقانها الفائق للفقه، وكان أهل محمد سالم لا يدرسون عقيدة نظم ابن عاشر للطلاب الأحداث المبتدئين إلا إجمالا لتوقف تدريسها تفصيلا على معرفة مباحث منطقية دقيقة –خاصة مبحث «والثاني في الست القضايا انطلي» - في حين أن ابن عاشر كان من مقررات المبتدئين فكانوا يتجاوزون تفصيلها لهم في تلك المرحلة، ثم يدرسونها لهم بعد ذلك إذا كبروا وعرفوا من العلم ما يؤهلهم لفهم معناها، فـ«جاء المختار إلى أهل محمد سالم وهو حدث لم يبلغ العشرين، فجعل يستمع إلى ألواح التلاميذ الذين يدرسون الشيخ خليل دون أن يكتب منه بابا معينا، فلفت ذلك انتباه شيخ المحظرة قاري بن محمد سالم كأنه خاف أن يكون ذلك إهمالا منه للتعلم، فسأل عنه التلاميذ، فقالوا: قال لنا إنه من أولاد ديمان، لكن نظنه ليس منهم لأننا ذممنا أمامه أولاد ديمان مرات -اختبارا له- فلم يرد عنهم، ولم نر في وجهه تغيرا من ذلك، فأرسل إليه الشيخ قاري فسأله ممن هو؟ فقال له: من أولاد ديمان، فقال له: أخبرني التلاميذ أنهم ذموهم أمامك مرات فلم ترد عنهم ولم يتغير وجهك من ذمهم حتى ظنوا أنك لست منهم، فلماذا لم ترد عنهم؟ فقال له المختار: لأني أعرف فيهم من ذلك أكثر مما قالوا، فقال له: وهل تعرف فيهم مدحا؟ فقال: نعم أعرف فيهم مدحا، فقال له قاري: وما هو؟ قال: يعرفون معنى «والثاني في

---

(1) مثاله من العربية قولهم:

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا.

(2) نقلا عن العلامة الأستاذ حمدن بن التاه الديماني الأبهمي العاقلي.

الست القضايا باطل»، فتعجب قاري من جوابه مع حداثة سنه، وقال له: أو تعرف معناها؟ فقال له نعم، فقال له: ما معناها، فشرحها المختار شرحا منطقيا مفصلا، فنظر إليه قاري متعجبا، ثم أمر بأن تبنى له خيمة إلى جواره»، حيث حمل المختار كلام قاري على معنى غير المعنى الذي كان يقصد لينبهه إلى أنه وإن كان لم يكتب درسا معينا فليس ذلك إهمالا منه التعلم، وهذا هو ما يعرف بأسلوب الحكيم في البلاغة.

ثانيا: البعد التداولي:

يمكننا أن نعرف كلام أولاد ديمان من حيث بنيته اللغوية بأنه ذلك الكلام المشحون بمجموعة من الدلالات المختلفة التي تعتمد على مرجعيات بلاغية وتاريخية وثقافية معينة، وعلى سياق الكلام ومقامه، انطلاقا من أن الفعل اللساني في اللغة يتأثر بما يسمى بما قبل الفعل اللغوي، وكذلك بالظروف المصاحبة للفعل اللغوي نفسه.

وما دامت الوظيفة الأساسية للغة هي الإبلاغ، أي إيصال رسالة من الباث إلى المستقبل، فيجب على المضامين التعبيرية للكلام أن تكون واضحة، كما أن الباث يجب أن يتحدد زمانيا ومكانيا بالنسبة للآخر، حتى تكون المضامين أكثر تعبيرا عن الرسالة التي يراد لها أن تعبر عنها. لكن هذا قد لا يقع فقد تكون هناك رغبة في قول ما لا نتوفر على القدرة اللازمة لقوله، كما قد تكون هناك قدرة على قول أكثر مما نرغب في قوله، مما يعني أن اللغة لا تؤدي وظيفتها الأساسية (الإبلاغ) بصورة مطابقة تماما لهذا التفسير. والسبب يكمن في نقطتين رئيستين: الأولى: أنه توجد مجموعة لا بأس بها من المواضيع المحذورة في جميع المجتمعات -حتى المجتمعات الليبرالية- فهناك دائما مواضيع محرمة أو محمية من طرف ما يسميه ديكرو بقانون الصمت، مما يفرض على المتكلم البحث عن أساليب ومضامين تفلت من سلطة هذا القانون بحيث تجعله غير مسؤول عما قال. ذلك أن أي كلام ما في زمن ما، نحتاج إلى أن تكون بحوزتنا لكي نقوله وسائل تعبيرية ذات أساليب ومضامين غير مباشرة، إنما هو كلام يحتال على سلطة قانون الصمت هذه. والثانية: أن كل إبلاغ واضح يصير مباشرة -أو بإمكانه أن يصير- موضوع نقاشات محتملة، لأن كلما قيل بوضوح يمكن أن يكذب بوضوح، مما يجعل اللجوء إلى المضامين غير المباشرة إفلاتا من

رفض أو قمع المستقبل، وهذا يتم في إطار ما يمكن أن نطلق عليه استيراتيجية كلامية، لأن التعبير المتعدد المضامين يبقى دائما غير مؤكد، وهذا يجعل الأدلة لا تتوفر عند المستقبل لإدانته، ما دام الباث استخدم في إيصال الفكرة استراتيجية معينة. ويدلنا هذا على أن اللغة نظام محكوم باستيراتيجيات تتوقف كثيرا على إرادة الباث وقدرته البلاغية وذكائه أثناء تأديته لخطابه. بحيث يتحول الخطاب لديه -متى شاء- من صورة الخطاب الحرفي (العادي) إلى صورة الخطاب الموجه، عن طريق ممارسة تقنيات مختلفة تجعله مشحونا بمضامين ذات أوجه متعددة[1].

هذا الخطاب الموجه هو في الحقيقة الخطاب الديماني، حيث إن الرجل من أولاد ديمان لا يتكلم بالصراحة التي تجعل المضامين التعبيرية واضحة، حتى لا يجد نفسه أمام مواضيع محظورة أو محمية من طرف المجتمع بما يعرف بسلطة قانون الصمت، أو في موقف لا يتوفر معه على القدرة اللازمة لقول ما يريد أن يقوله، وحتى لا يضطر إلى استخدام ألفاظ مباشرة أو جارحة ممنوعة في القاموس الديماني، الذي يعتبر أن اللفظ الجارح لا يضر إلا قائله، ويستعيض عن اللفظ الجارح بالفكرة الجارحة.

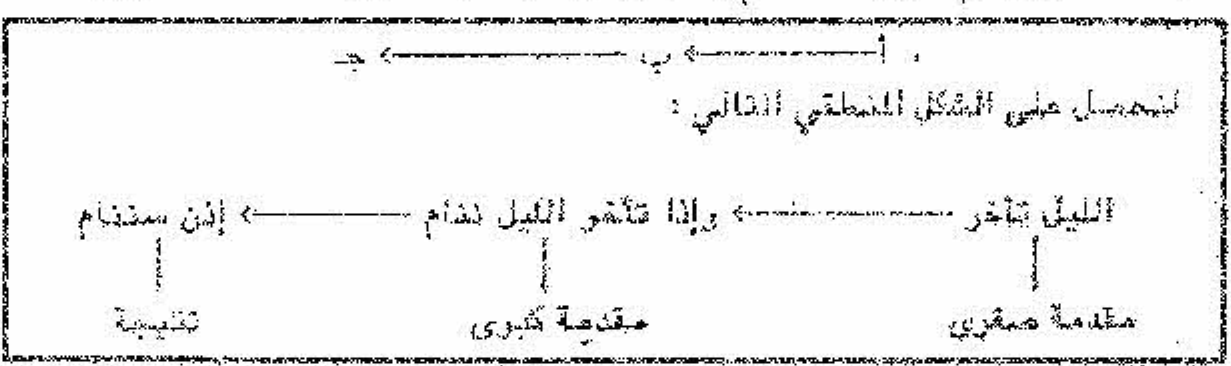
وهكذا فإن الاستيراتيجية التي يستخدمها الديماني كباث، وقدرته البلاغية وذكاءه يشكلان وحدهما القياس الذي يتحدد من خلاله مدى هذا التوجيه الذي يحدثه خطابه في ذهن الآخر. وسنحاول أن نتتبع هذا التوجيه من خلال كل من مضامين هذا الخطاب، وضمنياته:

1- مضامين الخطاب: ونعني بها أي مضامين يمكنها أن توجد إلى جانب المضمون الحرفي للخطاب -والمقصود هنا بالخطاب الوحدة الإبلاغية مجتمعة لا كل كلمة فيه-، وهذه المضامين لا يستقبلها (=يفهمها) المستقبل إلا بقدر الانزياحات التي تنتج عن اللغة التي يستخدمها الباث في المجال التعبيري الموجود مثلا بين (أ) و(ب)، أي بين المضامين الحرفية للخطاب ومضامينه الموجهة (راجع المخطط الاستدلالي في النقطة الموالية).

---

(1) OSWALD DUCROT, Dire et ne pas dire principes de sémqntique linguistique, deuxième edition corrigée et augmentée, Hermann, 1972, pp7-35.

إن أي إجراء تكتيكي في الفعل اللغوي يمكننا بواسطته أن نسمع المستقبل ما لا نريد أن نقوله بصورة صريحة، لكن علينا أن ندعم هذا الفعل اللغوي ببعض الحركات أو الإشارات أو المرجعيات المساعدة للوصول بالمستقبل إلى النتيجة التي نريدها. يقول أولاد ديمان: «إن الليل تأخر»، ليقولوا «إنهم سينامون». ولكن لكي يصل المستقبل إلى هذه النتيجة أي أنهم سينامون يجب عليه أن يوجد ذهنيا المقدمة الكبرى ثم النتيجة لأنه لم يحصل من الباث إلا على المقدمة الصغرى:



وكما رأينا فإن الوصول إلى هذه المضامين يتم عن طريق الاستدلال بالقياس المنطقي المحض للخطاب.

لكن القياس المنطقي قد لا يكون كافيا لفهم بعض المضامين البعيدة خاصة تلك التي يتم الاستناد في الاستدلال عليها إلى مرجعيات متعلقة بطريقة التعبير وملابساته، ونلجأ في فهمها إلى الصيغ اللغوية أو النحو الوظيفي أو النبرات الصوتية للباث. مثال ذلك قول واحد من جماعة من أولاد ديمان لم يستحسنوا خفة أحد تلامذة الأشياخ تقدم ليؤمهم في الصلاة، فقام من ركعته الثانية دون أن يجلس جلسة الوسطى: «"يخي سبحان الله" (=يا أخي سبحان الله)[1]».

إن مضامين خطاب «"يخي سبحان الله"» لا يمكن أن نستدل عليها ببساطة

---

(1) "سبحان الله" عبارة يذكر بها المأموم الإمام إذا نقص أو زاد في صلاته. والقصة هي أن وفدا من أولاد ديمان زار حضرة أحد كبار الأشياخ في البلاد، فقيض لهم الشيخ تلميذا لخدمتهم وضيافتهم، لكن هذا التلميذ كان سريع الحركات، حاد النبرات، حديد النظرات، فأنكروا منه ذلك، ثم إنه لما حضرت الصلاة قدمه الشيخ، فتعجبوا من تقديم الشيخ له لما رأوا فيه من الخفة، فكان أن قام التلميذ الإمام من ركعته الثانية دون أن يجلس جلسة الوسطى فقال له أحدهم مسبحا كأنه استنكر عجلته حتى في الصلاة: "يخي سبحان الله".

بواسطة الشكل المنطقي، بل يجب أن نستعين في الاستدلال عليها بمفاهيم أخرى من قبيل مفاهيم النحو الوظيفي، حيث إن الإحالات المرجعية للقصة + النبرة الصوتية للباث + كلمة "يخي" الحسانية التي لا مكان لها في الصلاة، والمشحونة بالدلالات، في كلام البيضانكلها تدل على المضامين المعبرة عن عدم رضاه عن سلوك ذلك التلميذ.

وتماما كما تشحن المضامين الخطابية بالظروف الابسيكولسانية المصاحبة في إطارها الزماني والمكاني كما رأيناه يمكن لهذه المضامين أن تشحن باستحضار مرجعيات سابقة اجتماعية أو تاريخية أو ثقافية أو حتى إحالات لغوية معينة. والأمثلة على ذلك كثيرة. نأخذ منها القصة التالية:

«كان أحدهم قد اختلف مع زوجته فعلق رقبتها (=رفض تطليقها)، ثم اتفق بعد زمن أن قسم دراعته على بعض نساء الحي ليخطنها له، وكان من عادتهم في ذلك الدهر إذا أراد أحدهم أن يخيط دراعته أن يفصلها إلى ثلاثة أجزاء: كمان ورقبة، ثم يوزعها على ثلاث نساء كل واحدة تخيط له جزءا، ثم تلاءم الأجزاء الثلاثة وتلبس. ولم يرجع له من أجزاء دراعته إلا رقبتها، فقال في جماعة منهم: ما رأي من لم يجد من دراعته إلا رقبتها؟ فقال له أحدهم: رأيه أن يمسكها».

إننا نلاحظ أن هذا الباث الأخير استدعى ظرفا مرجعيا كان غائبا، ولا يمكن لمستقبل لا يملك هذه الإحالة المرجعية أن يفهم هذا المضمون البعيد، بل يفهم فقط المضمون الحرفي للخطاب.

2- ضمنيات الخطاب: ونعني بها المضامين الخطابية + الفعل الخطابي نفسه أي ما يمكن أن نسميه ما وراء الخطاب، لأن عملية إنتاج الخطاب نفسها ليست عملية مجانية، بمعنى أن الكلام لا يمكن أن يصدر إلا عن دافع يلبي رغبة معينة عند الباث، وهذا ما يفسر عدم إجابتنا على أسئلة لم نفهم دوافع الباث من ورائها. ويتم هذا في حدود يمكن أن نطلق عليها الإطار القانوني للخطاب، مما يطرح مسألة يمكن أن نسميها مسألة الشرعية: شرعية الكلام ذاته فيما يخرج عن الإطار القانوني للخطاب، كالفضول والسؤال عما لا يعني مثلا، ولهذا فالفضول والسؤال عما لا يعني يتعرضان دائما للقمع من طرف الآخر، ونحن كثيرا ما نتحايل على هذا الإطار

القانوني باستخدام ميكانيزمات لغوية تحمل مضامين مختلفة باستطاعتها أن توهم المستقبل الذي يبحث دائما عن الدوافع وراء خطاب الباث، فالمستقبل لا يعترف بما يسمي الهذر أو الفضول، ولهذا قد يدفعه البحث عن دافع المتكلم إلى توجيه كلامه إلى مضامين لم يقصدها المتكلم أصلا. ويحدث ذلك أساسا إذا كانت القرائن تكذب المضمون الصرفي للخطاب، فلا يبقى إلا البحث عن الضمنيات الماورا خطابية.

إن قول أحد أولاد ديمان لمن بثه خبرا كاذبا: «"ذاك ما افهمتُ" (=ذلك لم أفهمه)» يلزم المستقبل البحث عن الضمنيات الماورائية لهذا الخطاب، خاصة إذا كان كلام المستقبل (=الباث الأول) الآنف مفهوما جدا وواضحا، ليعرف من خلال ذلك أن دافع هذا الخطاب الديماني إنما هو تكذيبه، لكن بطريقة تتفادى التصريح له بأنه كاذب، لأن في التصريح له بذلك إساءة إليه. إنها طريقة قائمة على: كيف نربح فعالية الكلام وبراءة الصمت؟ أو بعبارة أخرى: كيف يمكننا أن نقول شيئا دون أن نقوله؟

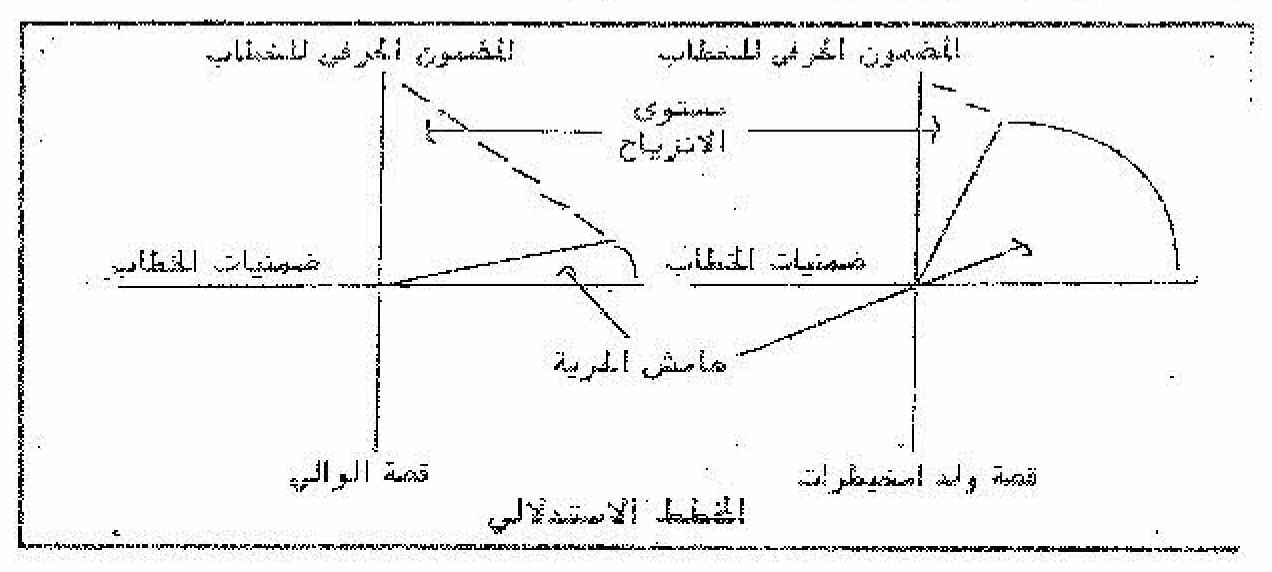
وهذا النوع من الخطاب يستخدم كثيرا عند أولاد ديمان في الحالات التي لا يمكن للمرء فيها أن يطلق العنان لفعله اللغوي، لأننا نعرف أن عملية الإنتاج الخطابي ليست عملية حرة، حيث إن كثيرا من الظروف لابد أن يتوفر لكي نقول ما نريد أن نقوله وبالشكل الذي نريد أن نقوله به.

وتتضح ضمنيات الخطاب في هذا النوع كلما كان مجال الحرية ضيقا وبالتالي تكون موغلة في الإبهام.

فمن الأول الذي لا تكون فيه عملية الإنتاج الخطابي حرة نجد قصة محمد فال بن امخيطرات الديماني مع أمير الترارزة «الذي قال وهو في مجلس فيه رجل مشهور بصفة لا يحسن ذكرها، من قال لي من هو أكثر أهل هذا المجلس اتصافا بالصفة الفلانية أعطيته جملا موقرا. فهاب الناس أن يصفوا ذلك الرجل بتلك الصفة، فقال ابن امخيطرات: من أخذ هذا الجمل يغضب فلان. ففُهم مقصوده دون أن يقوله واستحق الجمل».

ومن الثاني الذي يكون فيه مجال الحرية ضيقا إلى درجة تحتاج إلى الإيغال في

الإبهام قصة جماعة أولاد ديمان مع أحد الولاة: «جاؤوه يهنؤونه بمنصبه الجديد ويسألونه في حاجة لهم، فلما جاؤوه أغلظ لهم القول قبل أن يسألوه، وقال من كلمة وجهها إليهم: "آن مان كيف الولاة لخرين آن احمار رجاله أكافر، ونعرف ألا الشغله والنزاهة والجدية" (=أنا لست كالولاة الآخرين أنا رجل "حمار" و"كافر"، وهي كناية حسانية عن الشدة والصرامة)، فقال أحدهم للآخرين: "نمشو ذ ال كال الوالي حگ" (لنذهب فما قاله الوالي حق)، يوهم الوالي أنه يعني صرامته وجديته، ويسمع قومه أنه يعني قول الوالي عن نفسه بأنه "كافر" و"حمار".



نلاحظ من خلال هذا المخطط أن هامش الحرية بالنسبة لقصة ابن امخيطرات ان أوسع، ولذلك فإن ضمنيات خطابه كانت واضحة بدرجة أنه بإمكان كل مستقبل ، يفهمها بصورة تلقائية، بينما كان هامش الحرية في قصة الوالي أضيق، فلذلك كان ستوى الانزياح فيها بعيدا من المضمون الحرفي لها بحيث لم يفهمه الوالي نفسه ـي قيل بحضرته.

في هذين المثالين نلاحظ أن ضمنيات الخطاب كانت تتمظهر تمظهرا إراديا، ن هذه الضمنيات يجوز أن تتمظهر تمظهرا غير إرادي، أي قد لا يقصدها المتكلم مدا واعيا، ومع هذا نجد المستقبل يجد لها ضمنيات معنية، أو يبحث عنها على قل في بعض الحالات. وهذا ما يفسر لنا كثرة تنقيب الآخرين عن أي ضمنيات ظرة في كل خطاب يوجهه أحد أولاد ديمان ولو كان ذلك الخطاب بريئا وعفويا، . يقول أحد أولاد ديمان مثلا: «إن الليل تأخر» ولايقصد بها إلا أن الليل تأخر،

ومع ذلك، نجد المستقبل يفهم أن الديماني يقصد بأنه سينام.

وإذا تمعنا في كلام أولاد ديمان بصورة إجمالية وجدنا أنه بإمكاننا أن ندرجه تحت ثلاثة محاور رئيسة: يتعلق المحور الأول: بأسلوبية التعبير المستخدم في الخطاب، والثاني: بإيحائية هذا التعبير، والثالث: بسيميولوجيته.

- المحور الأول: يتعلق بأسلوبية التعبير، ويعتمد أساسا على اللعبة اللغوية، أو بعبارة أخرى على قدرة المتكلم على التلاعب بالألفاظ، غير أن هذا التلاعب لا يكون اعتباطيا، بل يقصد منه توليد مضامين جديدة. وهذا النوع لا يمكن أن يجرد مستواه اللفظي من مستواه المضموني، ويفسد إذا نقل إلى لغة أخرى لأن القدرة الإيحائية للتعبير فيه تتعلق بالمستوى اللفظي الذي يؤثر بدوره في المستوى المضموني، مثال ذلك قول أحد أولاد ديمان في المسجد الذي بني جنوب سوق العاصمة فوق الدكاكين بأنه: «"الفوگ الفوگ امسيد والتحت التحت اباتيگ"»، تعريبه: «أن المسجد الفوق الفوق مسجد، والتحت التحت دكاكين»، لكن نلاحظ أن نقله إلى العربية قد أفسد معناه المقصود من وراء عبارته، وهو أن هذا المسجد فيما هو ظاهر مسجد لكنه بالنظر إلى ما تحته تجارة. والمتكلم للوصول إلى هذا المضمون لم يغير الجملة الأصلية «"الفوگ امسيد والتحت اباتيگ"» إلا بتكرير كلمتي «"الفوگ" و"التحت"».

والتحت اباتيك		الفوگ أمسيد
X		X
2	=	2

الفوگ الفوگ امسيد والتحت التحت اباتيك

ومن أمثلته أيضا قول أولاد ديمان: «"أرگباج ما ايموت أرگباج إلين إعود أرگباج"» تعريبه: «الشخص لا يكون شخصا حتى يكون شخصا». هنا أيضا نلاحظ أن نقله إلى العربية قد أفسد معناه المقصود به وهو أن الشخص لا يكون شخصا له مكانة حتى يكون هو من يصنع هذه المكانة.

المحور الثاني: يتعلق بإيحائية التعبير، حيث يتحدد الكلام العادي بجمعه مستويين هما: المستوى اللفظي والمستوى المضموني، أما الكلام الإيحائي فهو

الذي يضيف مضمونا جديدا إلى المضمون الأصلي.

الكلام العادي	لفظ + مضمون	الكلام الإيحائي	لفظ + مضمون + مضمون

فالمدلول في هذا النوع من الخطاب يتجاوزه إلى ما وراء الخطاب (المقصود به) وبإمكاننا مثلا أن ندرس لذلك القصتين التاليتين:

الأولى: «كان حامدن (والد المختار بن حامدن) بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد الديماني يتمشى قرب آمنيكير، فتصادف مع محنض بن اسليمان الديماني الذي كان مارا على مقربة من آمنيكير قاصدا أصهاره أهل الخليفة الذين كانوا ظاعنين بتلك النواحي، دون أن يكون على معرفة بموقعهم بالضبط، فعرف حامدن محنض مع أنه لم يسبق له أن التقى به، فكان مما قال له بعد السلام: اسليمان خطاط ماهر أعرف خطه الجميل. ثم عرض عليه الاستضافة فاعتذر محنض، فقال له حامدن: ذكر لنا أحد الرعاة أنه رأى خيلا عند "حاسي الحمره"، ثم تواداعا».

إن في هذه القصة إحالتين إيحائيتين إلى ما وراء الخطاب: الأولى قول حامدن لمحنض: «اسليمان كان خطاطا ماهرا أعرف خطه الجميل»، فهذا حامدن مع قصده بما قال الثناء على اسليمان كان يريد تنبيه محنض بذكره لوالده إلى أنه عرفه مع أنه لم يسبق لهما أن التقيا، وقد فهم محنض تلك الحالة الإيحائية الأولى. أما الحالة الإيحائية الثانية فقول حامدن لمحنض: «ذكر لنا أحد الرعاة أنه رأى خيلا عند "حاسي الحمره"». لقد فهم حامدن من اعتذار محنض عن الاستضافة بآمنيكير أن محنض ما دام لا يريد المكث بآمنيكير فهو ذاهب إلى حيث أصهاره، فأراد أن يدله على موقعهم إيحاء، لعلمه أن الحياء يمنع محنض من إظهار أنه قاصد أصهاره أحرى أن يسأل عن موقعهم، وكان حامدن قد سمع من الرعاة أنهم نزلوا بـ"حاسي الحمره"، فكنى له عنهم بخيلهم، لأن الخيل كانت نادرة في محيط أولاد ديمان،

وممن كان يملكونها أهل الخليفة، وفهم ذلك محتفض.

الثانية: «جاء مندوب الإحصاء السكاني سنة 1987 إلى أحد أولاد ديمان ومعه فتيان يسمى أحدهما "عبد الله"، والآخر "عبد الرحمن"، فسأله مندوب الإحصاء: ما اسم هذا؟ قال: "عبد الله"، قال: ما اسم أبيه؟ قال: اكتب أولا "عبد الله". ثم قال المندوب: وما اسم هذا؟ قال: "عبد الرحمن"، قال المندوب: وما اسم أبيه؟ قال الديماني: "عبد الرحمن" أخو "عبد الله"(1)».

في هذه القصة أيضا إحالة إيحائية إلى ما وراء الخطاب تدل على أن الفتيين لا أب لهما، إذ يظهر جليا من عبارة: «اكتب أولا "عبد الله"» أن هنالك مسكوتا عنه، سيتولد في ذهن المستقبل مباشرة بعد عبارة: «"عبد الرحمن" أخو "عبد الله"»، وهو أنه لا أب لـ"عبد الله" ولا لـ"عبد الرحمن".

-المحور الثالث: يتعلق بسيميولوجية التعبير، إذ من الناحية السيميولوجية هنالك مجموعة من أسماء الأصوات تعبر عن حالات معينة بذاتها:

- الأنين ---------- حالة مرض

- الارتعاد ---------- حالة فزع

- التأوه ---------- حالة ألم

كذلك في الخطاب الديماني نجد مجموعة من الإشارات السيميولوجية الخاصة بأولاد ديمان، هي عبارة مجموعة من الإيماءات والتعابير حولها أولاد ديمان من دلالتها العادية إلى دلالات سيميولوجية معينة، لا يفهمها غيرهم، نورد من أمثلتها:

- الإيماء بالإيجاب دون النطق ---------- يعني الإعراض والنفي

- النظر إلى الكبير ---------- يعني الفزع

- التأكيد على الأمر ---------- يعني النهي

فبالنسبة للمثال الأول: نجد المقولة الشائعة التي تفيد بأن الإيماء بالإيجاب يكفي من إعراض أولاد ديمان.

وبالنسبة للمثال الثاني: نسوق للتمثيل له القصة التالية: «حدثني عبد الرحمن بن أحمد بن محنض بابه بن اعبيد الديماني أنه فهم يوما من نظرات ابنة أخته ميمونة بنت

---

(1) اسم عبد الله واسم عبد الرحمن من وضعنا، حفاظا على خصوصية المعنيين.

الأمانة —ولم يكن من عادتها أن تنظر إليه— أن تحت حصيرها حية، فلما كشف الحصير وجد الحية تحته». لقد كانت تلك النظرة غير المعتادة لدى أولاد ديمان نظرة نزع من شيء ما، خمنه عبد الرحمن وعرفه، دون أن تحتاج ابنة أخته لأن تتكلم.

أما بالنسبة للمثال الثالث: فإن أولاد ديمان إذا قالوا لك: «كل»، وكنت تأكل فالمراد «لا تأكل»، وإذا قالوا لك: «ادخل»، وكنت داخلا فالمراد «لا تدخل» وهكذا.

وفي الحكاية التالية نورد قصة زواج أسرة ديمانية تجسد مختلف ضروب أساليب أولاد ديمان ذات المضامين المتعددة: «قبل أكثر من قرن أراد عبد الله الملقب إيايَّا بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد الديماني أن يتزوج ابنة عمه خديجة بنت حامد (=آم) بن محنض بابه بن اعبيد، فانتظرها —وكانت منتجعة في أهل الإبل— حتى رجعت إلى الحي، فجاء إلى أخته أيلت وقال لها: هل سلمت اليوم على المرابط؟ (والمرابط يعني به أباهما محمذن إذ ليس من عادتهم أن يسمي أحدهم اسم أبيه)، ففهمت مقصوده، وانطلقت إليه فقالت له: إن أهل آم ازدادوا اليوم من أهل الإبل، فقال: نعم، وقام إلى أهل آم، ولم يبرح حتى استدعى بعض رجال الحي وعقد خديجة لابنه إيايَّا».

إن أيلت فهمت أن أخاها إنما يريد بسؤالها عن سلامها على المرابط المتزامن مع رجوع خديجة —ولم يكن سألها قط قبل ذلك— أن يرسل معها رسالة وأن هذه الرسالة التي لم يفصح عنها والتي تقارنت مع رجوع خديجة من الإبل إنما هي خطبته، ثم إن أباهما فهم عن ابنته أن الذي جعلها تخبره بعودة خديجة، إنما هو إيصال رسالة تستحيي من إيصالها ولن تكون إلا خطبة ابنه إيايَّا على خديجة.

وهكذا يتضح مما تقدم أن كلام أولاد ديمان له مستويات عديدة ومرجعيات مختلفة، جعلت منه كونا رمزيا ابتدعه أولاد ديمان في ظروف سياسية واجتماعية معينة، يستخدمون فيه وفق مجموعة من الآليات المحددة والأنساق الثابتة مختلف التقنيات التي توفرها اللغة، أو المنطق، أو المرجعيات الثقافية، أو التاريخية، أو سياق الكلام، أو مقامه، أو الإشارات السيميولوجية لإيصال ما يريدون أن يقولوه بطريقة تحفظ لهم خصوصيتهم الكلامية، دون أن تخرج عن المسموح به في طبع أولاد ديمان.

❁❁❁

طبع أولاد ديمان

ليس طبع أولاد ديمان في أكثره إلا امتدادا لطبع تشمشه الذي هو بدوره امتداد لطباع الزوايا عموما، وإن أي عودة مهما كانت سريعة إلى حلف أكننت الشمشوي كفيلة بأن تظهر التشابه الشديد بين بعض أوجه السلوك الديماني وبين ما توصي به بنود ذلك الحلف.

فالإذعان الذي جسده حلف تشمشه كسلاح في وجه الطغيان السياسي الذي كان سائدا إبان نشأة تشمشه، يشبه في كثير من قيمه الإذعان الذي جسده كبت الطاقة الحربية للديماني إثر عملية الصلح الذي أبرم بين المغافرة وأولاد ديمان، كما أن المنظومة الأخلاقية التي أسسها الحلف الشمشوي يمكن أن تكون هي الأساس الذي جعله أولاد ديمان منطلقا لمنظومتهم الأخلاقية التي وسعوها مع الزمن حتى أصبحت بمثابة عالم خاص بهم من القيم، تماهى -مع طول تمثل الديماني له- مع الانتماء إلى أولاد ديمان.

ومع أن الإذعان عمل سلبي في طبيعته إلا أن الديماني استطاع من خلال المنهج الذي وضع لنفسه أن يخلق قيما إذعانية حول من خلالها هذا الإذعان من عمل سلبي إلى عمل إيجابي، مثل:

- «"الظالم ألا ذاك آل إخلص" (=الظالم من يرد على البادئ)».
- «"إجيب الديگه ألا ذاك آل إرد الخطيه" (=لا يسبب المشاجرة إلا من يرد على الإساءة)».
- «"لكلام الخاسر إظر ألا ذ ال گايلو" (= لا يضر الكلام الجارح إلا قائله)».
- «"الراجل ما ينفشو ماهو لفگايع" (=لا يذهب بنية الرجل إلا الغضب)».
- «"إلى اخسر شي ما اخسر شي" (=إذا فسد شيء فما فسد شيء)».
- «"الّ گال الّ فاخلاگو ما يبگ فاخلاگو شي" (=من باح بكل ما في صدره لم يبق في صدره شيء)».
- «"المروه تعگب الصبر" (=المروءة تأتي بعد الصبر)».
- «"الحگ ما ينگال والكذب احرام" (=الحق لا يقال والكذب حرام)». أي

ن الإمساك عن بيان الحق يكون أحيانا مطلوبا، وقول الكذب حرام.

إن هذه القيم الإذعانية التي تدعو إلى الصبر، والتجاوز عن الظالم، وعدم الغضب، وعدم الاكتراث بما فسد، وعدم البوح بما في الصدر، وعدم الغضب، وتهوين الأمور، والحذر عند قول الحق... إلخ تبدو لدى الديماني وكأنها عمل بطولي يتفوق به أولاد ديمان على من يفترض أن يكون هو الأقوى، فأولاد ديمان لا يعتبرون الصبر على إساءات الغير عجزا بل قوة، كما لا يعتبرون عدم الرد على ظلم الظالم ذمامة، بل عزة، تحفظ لهم مكانتهم الارستقراطية التي يعتبر الإذعان وسيلتهم المفضلة للدفاع عنها. حدثني يابه بن محمادي السملالي أنه سأل المختار بن حامدن الديماني عن بعض الديمياناته فقال له: «إنه سافر مرة في رفقة من قومه من آمنيكير قاصدين الكوارب فلما أصبحوا على مرحلة من الكواريب نفد زادهم، فألجأهم ذلك إلى المقيل بلا "أتاي" (=شاي) ولا طعام، فبينما هم كذلك إذ مرت بهم قافلة قادمة من الكوارب متجهة إلى الساحل، فقال أحد الجماعة للمختار: انظر أنت الذي تعرف أهل الساحل لعلك تجد لنا عند هؤلاء ما يعيننا على مقيلنا هذا، فتعرض المختار للقافلة، وتبادل التحية مع قائدها، ثم سأله إن كان لديه بعض ما يعينهم على مقيلهم، فقال له الرجل: من أي الناس أنتم؟ فقال: من أولاد ديمان، فقال: لا أهلا ولا مرحبا بأولاد ديمان، مررنا بقربهم مسافرين ومواشينا عطشى، فلم يعرجوا علينا ولم يرحبوا بنا وسكت، فقال له المختار: والذي جئتكم من أجله؟ فانقلب الرجل على ظهره ضاحكا وقال: هذا ما سبقتم به الناس، أذم لك أهلك كل هذا الذم، ثم تعيد لي مسألتك وكأن شيئا لم يكن، سأعطيك فوق ما تريد، وأناخ راحلته وأعطاه كثيرا من "الأتاي" والطعام».

ولأن أولاد ديمان بقيمهم هذه التي انتهجوا قد أصبحوا يشعرون أنه لا أحد يكافؤهم فإنهم قد أصبحوا كذلك يرفضون أن يحيوا كيفما اتفق، بل أصبحوا يبحثون عن حياة متميزة، تتماثل معهم، مما أنتج لهم مجتمعا فريدا، يعيش نوعا من السادية اتجاه الآخر ومن المازوشية اتجاه نفسه.

ولا شك أن أوضاع المنطقة اختلفت مع الوقت، وتغيرت أشياء كثيرة فيها، لكن قيم أولاد ديمان بقيت هي هي، ومع غياب الآخر (الأقوى) الذي كان الديماني

بحاجة إلى قيمه الإذعانية المذكورة للتفوق عليه، حول هذه القيم إلى وسيلة للتفوق أيضا على الآخر (الأضعف) أو المماثل (المساوي في القوة)، بل يمكن القول إنه حولها أكثر من ذلك إلى وسيلة للتفوق على نفسه التي ظل الديماني منذ ذلك العهد وما زال -أو هكذا يفترض- يرفض الانتصار لها في مواجهة أي عدوان خارجي مهما كان مصدره، قويا كان أو ضعيفا.

وتقدم لنا وثيقة تاريخية منشورة ضمن جزء أولاد ديمان المطبوع، أثناء الحديث عن بطن أهل بله الأبهميين، مثالا على حرص أولاد ديمان على الاستمرار في هذا الاتجاه. حيث تقول الوثيقة: «الحمد لله الذي لا يحتاج في ملكه إلى الأنصار والجوار، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالسبع الطُّوَل، على مر الليالي وانصرام الدول. وبعد فقد اتفق أهل الحل والعقد من أبناء المختار بن عثمان [الديمانيين] على فسخ من ينتصر لنفسه، وإخراجه من العصبة كائنا من كان، ثم لا يصدهم عن ذلك طول أمد، ولا تقادم عهد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم إن احتيج إلى ذكر الجماعة فمحمذو وأحمذو ابنا العاقل ومحمذن فال بن حمال وأحمذ بن الأمين إلى غير ذلك ممن يضيق عن ذكره الرق. والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات.

أملاه من أمرته الجماعة المذكورة بتخليده في الكتب محمذن بن أحمذ بن محمد العاقل[1]».

ويبدو أن أولاد ديمان لم يكتفوا بتمثل هذه القيمة (قيمة عدم الانتصار للنفس) وأشباهها تمثلا طبيعيا، بل ارتقوا بها إلى مستويات تفوق حدود التحمل أحيانا، وكلما كانت قوة تحمل الديماني أقوى كلما كانت إشادة أولاد ديمان به أكثر. ويتداول الديمانيون في هذا الصدد قصصا كثيرة تمجد أولئك الذين يتحلون بصورة تتجاوز المعتاد قيمة من القيم الديمانية الأساسية، كما هو حال قصة الديمانية تفنفنيت بنت امحمد الأمين مع قيمة الصبر التي نقل سيدي أحمد بن أسمه في كتابه "ذات ألواح ودسر" عنها حيث «أتاها شيخ، وهو الولي والد بن خالنا، معتمدا على

---

(1) المختار بن حامدن، حياة موريتانيا، الجزء السادس عشر، بعض المجموعات الشمشوية، منشورات الزمن، الرباط، 2009، ص 342.

عكاز أسفله زميج، فطعن رجلها من غير علم له بذلك، لكون رجلها كانت غائصة في الرمل وهي جالسة، فلم يزل يسألها عن الأخبار وهي تجيبه عن كل ما سألها عنه، وهو معتمد على الزميج حتى انفض المجلس وأراد الانصراف، فقالت له: انزع الزميج برفق لئلا يتسع الجرح[1]».

أو حال قيمة كقيمة الحياء التي دفعت إحدى الديمانيات إلى عدم التصرف حينما «كانت تفلي أم زوجها، وكان ابنها الرضيع يلعب خارج الخيمة، فوجد حية فأمسك بطرفيها بيديه، وجعل يتحسس ظهرها ويمصه بفمه، وأمه تنظر إليه ولا تستطيع أن تقوم إليه، ولا أن تخبر بما هو فيه حياء، حتى جاء رجل فأمسك بطرفي الحية وسحبها من بين يديه وقتلها».

أو حال قيمة كقيمة دماثة الطبع (=المطابقة بالحسانية) التي يحتفي بها أولاد ديمان احتفاء بالغا إلى درجة أنهم يقولون: «"أولاد ديمان يختيرو حد مطابق عن حد عالم" (=أولاد ديمان يفضلون المتحلي بحسن الطبع عن المتحلي بالعلم)» لفتا للانتباه إلى أن العلم بدون دماثة الطبع غالبا ما يدفع صاحبه إلى التعاظم أو التبجح المنافي للطبع الديماني، فلذلك كان ستر العلم وعدم التبجح به ممدوحا عندهم. وقد نقل ابن أسمه في "ذات ألواح ودسر" استدلالا لذلك «أن الشيخ بابه بن الشيخ سيديا قال ليلة لبعض خواصه كان مسامرا له: أي قبائل الزوايا أعرف الناس بالعلم؟ فخاضوا في ذلك، فقال بعضهم: بنو فلان أعرف، يعنون قبائل من الزوايا، فقال هو لهم: لا، أعرف الناس بالعلم هو التلميذ من بني ديمان الذي لا يذكر بعلم ولا بغيره[2]». وكان الشيخ بابه يشير بما قال إلى ما وقع له من ذلك مع بعض فتيان أولاد ديمان، كالذي وقع له مع جدنا محنض بن أحمد الديماني (محنض أشفغَ علما)[3] الذي تعرف على الشيخ بابه في حداثته فأعجب به، فصار يختلف إلى مجلسه، ولم يكن محنض يذكر بشيء من علمه وأدبه لشدة ستره لذلك، فلم ينتبه بابه إلى أن هذا الديماني الحدث من

---

(1) ابن أسمه، ذات ألواح ودسر، مرجع سبق ذكره، ص111.

(2) المرجع نفسه، ص50.

(3) محنض أشفغَ بن أحمد بن محنض ميلود الديماني الباركللي: العالم الشاعر في اللغتين الراوية المخطاط. ت1382هـ. (ابن حامدن، جزء أولا ديمان، ص178-179).

أعرف الناس بالعلم والأدب إلا مع الوقت، عندما كان بابه لا يعرض أمرا للمباحثة على من في مجلسه من العلماء إلا وجد عنده محتضي به معرفة، فلما تكرر له منه ذلك مرات عرف حقيقته فأدناه وأشاد به وأصبح من خاصته.

ومثل ستر العلم ستر الولاية فسترها ممدوح عندهم أيضا، حتى ذاع عنهم قولهم بشأن ما يذكر من ولاية الولي إنهم: «"حد ولي يعرفو عنو ولي، وحد ماه ولي ما يعرفو يكانو ولي ولل ماه ولي" (=من هو ولي يعرفون أنه ولي، ومن ليس بولي لا يعرفون هل هو ولي أو غير ولي)».

إن مثل هذا التجاوز لحدود المعتاد في تمثل هذه القيم إنما هو تعبير عن التماهي الشديد الذي حصل بين أولاد ديمان وبين قيمهم التي قام عليها طبعهم إلى درجة أنه يمكن القول إن أولاد ديمان طبعوا كل قيمة من هذه القيم -بل كل قيمة من سائر القيم- بطابعهم الخاص، فكل قيمة حتى ولو لم تكن من القيم الأساسية للديمين أصبحت لها لمسة معينة هي التي تجعلها ديمانية على غرار ما قال المختار بن حامدن في يعقوب بن أبي مدين الديماني:

«يعقوب يسترنا في كل بسراني وستره لبني ديمان ديماني[1]».

فطبع أولاد ديمان إذن عبارة عن مزيج من القيم الأساسية التي لا يوجد الديمين بدونها، والقيم الأخرى التي يشترك مع أولاد ديمان فيها غيرهم لكن أولاد ديمان طبعوها بلمستهم الخاصة.

وهذا الطبع، بسبب اتساع جوانب منظومة الديمين وتنوعها، كثير الجزئيات، غير أننا سنورد من جزئياته على مستويي كل من السلوك والتعبير نماذج دالة -وإن كان بعضها قد اندثر لأسباب معينة- تعرف بخطوطه العريضة، وتساهم في خلق

---

(1) الأبيات بتمامها:

يعقوب يسترنا في كل "بسراني"	وستره لبني ديمان ديماني
في غوث كل أخي كرب يعللنا	وفك كل أسير موثق عان
الغوث فيه وفيه الشيخ أحمدنا	معنى وفيه المزايا من سليمان
معنى هنالك في ديمان أحرزه	وثانيا فيه معنى الجانب الثاني

صدور أكثر وضوح عنه.

أولا: نماذج من طبع أولاد ديمان على مستوى السلوك:

لا يفعل الديماني ما يجعله لافتا لانتباه غيره، فلا يضع التمائم الحمر على صدره، ولا يركب الجمل المجزوز، ولا يركب دون راحلة أو دون خطام، ولا يغشي راحلته، ولا يستخدم الملابس الصارخة الألوان، ولا يلبس نعل الجلود، ولا يشمر ثيابه، ولا يكشف عن منكبيه، ولا عن ركبتيه، ولا عن سرواله، ولا يتلثم إلا لمرض، ولا يلبس اللباس الرومي (الغربي) إلا لضرورة، ولا يحلق رأسه حلقا يستأصل شعره، لأن أولاد ديمان يرون ذلك مثلة، وقد سئلوا مرة: «"اعلاش ما ايحسنو رؤصهم كالو عنهم خايفين إيلا حسنوهم ما ينبتو" (=لماذا لا يحلقون رؤوسهم حلقا يستأصل شعرها؟ فقالوا بأنهم يخافونها ألا تنبت من جديد)».

ويحافظ الديماني على السكينة والاعتدال، وعدم الإطناب، وتهوين الأمور، والتحلي بالحياء، والتزام الوقار.

والديماني شديد الكتمان، شديد التستر، كثير الخفض للصوت، قليل الالتفات.

ولا يخالل الديماني الكبير الصغير، ولا ينبسط الصغير بحضرة الكبير.

ولا يظهر الديماني ما في سريرته لغيره، فلا يظهر ما يتميز به الفرق بين من يحبهم ومن يبغضهم. ولا يظهر الديماني وجده على أحد، بل لا يجد عليه أصلا، لأنه كما يقول أولاد ديمان: «"الناس اثنين: حد تعرفو ما يالل اتشوف اعليه شي، وحد ما تعرفو ابلا موجب اتشيف اعليه شي" (=الناس اثنان: من تعرفه يجب ألا تجد عليه، ومن لا تعرفه لا مبرر لأن تجد عليه)».

ويداري الديماني أهل التجبر، ويتغابى لأهل التعالم، وكلما زاد المرء في الاحتجاج لرأيه زاد الديماني في تصنع الإصغاء إليه. ولا يحاول الديماني أن يخدع غيره فيفطن له، ولذلك يقول أولاد ديمان إنهم «"ما ايخزو بالناس بيها الي إيلا خزات بيهم يفطنوا لها" (=لا يخدعون الناس لأن الناس إذا خدعوهم فطنوا لهم)».

ولا يحقق الديماني في الأشياء بنظره، ولا يقلب عينيه في المجلس، ولا يبسط فيه رجله، ولا أمام من هو أكبر منه. ولا يقهقه إلا غلبة، ولا يضحك أمام ذي الشيبة.

ولا يجلس الديماني في مجرى الرياح، ولا يشتغل بالعبث بمتاع البيت أو أدواته،

ولا ينام في المجلس إلا غلبة لأنه لا يدري ما يقع له فيه وهو نائم.

ولا يكثر الديماني الكلام، ولا يطيل السلام، إلا بقدر ما يؤنس المسلم، ولا يدخل البيت حتى يشعر بمقدمه بتنحنح أو نحوه، ولا يأتي البيت من الجهة المسامتة لمدخله بل ينحرف عن جهة المدخل حتى يصل إليه.

وإذا أراد الديماني أن يزور قوما شرب وطعم وعرض نفسه على الخلاء حتى يجنب نفسه الاحتياج إلى هذه الأشياء في زيارته إليهم.

ولا يعزي أهل الميت في يومهم الأول حتى تهدأ نفوسهم إلا أن يكون متأكد القرابة أو ذا علاقة خاصة به. كما لا يسلم على الضيف القادم حتى يستريح ويلقى أهله ويفرق هداياه إن كان قدم بها، حتى لا يكون في مجيئه المبكر إليه تنغيص لباله أو تشوف إلى هداياه، ويقولون تبريرا لذلك: «"اسلام ما يظرو البرود" (=السلام لا يضره التأخير)».

وإذا دخل الديماني الحمام تحرز من التطويل فيه، ومن ترك أي أثر لدخوله، وإن ذهب إلى الخلاء أبعد في ذهابه حتى يتأكد من أنه لا يراه أحد، وربما ذهب إلى جهة غير جهة الخلاء ثم ينعطف إليها بعد ذلك إذا غاب عن الأعين سترا لحاله في مثل هذه الأشياء. ولا يبول الديماني على قارعة الطريق ولا مستقبل القبلة. وقد أعان هذا «امرأة منهم ضلت الطريق بينما كانوا مرتحلين، فوجدت آثارا فحسبت أنها آثارهم فاقتفتها، فبينما هي كذلك إذ لقيت أثر رجل ممن كانت تقتفي أثرهم جلس على الطريق وبال مشرقا، فقالت: هؤلاء ليسوا قومي، فالديماني لا يبول على قارعة الطريق، ولا يبول مشرقا مستقبل القبلة».

ولا يجالس الديماني مع ابنه إلا في بيته، ولا يجلس مع صهره، ولا يمر أمام بيت أصهاره، لا سيما بعد تطليق بنتهم، ولا يقيم في حي أصهاره ضيفا إلا لماما، وإلا كان معنى ذلك أنه يريد ارتجاع ابنتهم.

وطلاق الديماني لا يكون تصريحا، بل بما يدل عليه، وصداقه لا يكون فيه النيف، ولا يظهر الديماني الكبير الغيرة على الصغير.

والديماني لا يركض، ولا يسرع في مشيه إسراعا زائدا على المعتاد، ولا ينزل عند أشراف الحي ضيفا، ولا يركب بعيره في الحي، ولا يدخل به الحي وهو راكبه.

وإذا خرج الديماني دون أن يودع فمعناه أنه قام لحاجة فلا يحتاج إلى أن يظن أنه ذاهب، أو يسأل عن وجهته.

ولا يذهب الديماني الأشيب أو ذو البنات إلى البئر وأشباهها مما لا يناسبه، ولا يطيل أظافره، لأن ذلك علامة على نقص عقل صاحبه.

ولا يأكل الديماني كل ما قدم إليه ولو قل، ولا يرتشف القدح، ولا يأكل طعام رجل ذي بنات، لأنه تعريض بأنه لن يتزوج بناته، ولا يأكل وحده وإن كان ضيفا، ولا يأكل صغار الصيد كالطيور والأرانب، كما لا يأكل صغار الإبل والبقر والمعز بخلاف صغار الضأن، ولا يأكل لحم الديكة[1]، ولا يأكل لحم المهزول جدا، ولا يشرب لبن الحديثة العهد بالولادة، ولا يشرب لبن المنهل، والمعطن، ولا لبن الضالة وأشباهها، ولا يأكل مع ذي الشيبة. وإذا أكل الديماني لم يسرع في الأكل، ولم يفرط فيه.

ولا يظهر الديماني الفرح بالطعام، واستحسن أولاد ديمان له أن يظهر العكس، لاسيما إذا عدم الطعام أو قل.

والديماني لا يلتقط العلك، ولا النبق، ولا غيره من الثمار، ولا يحضر عن عديلة الملح، ولا يتسوق بتافه، ولا يمدح المبيع، ولا يذمه، وإذا اشترى الشيء ولم يعجبه لم يبادر إلى بيعه بل ينتظر به مدة ثم يبيعه.

ولا يمر الديماني قريبا من الدور، أو المجالس، أو أماكن النساء، أو مواطن الاكتظاظ.

ولا تمر النساء بأماكن الرجال، وإذا رأتهم وهي في طريقها جلست حتى يجتازوا، ولا تتكلم المرأة بحضرتهم، ولا تضحك أمامهم، ولا تجيبهم إلا على طبق السؤال.

ولا تتكلم البكر في الأسبوع (أسبوع الزواج)، كما لا تكشف عن وجهها،

---

(1) مما يروى في ذلك (شعر حساني):

"لحم الجديان والحم الأديك
أولاد ديمان ما يؤكل ذاك"

وتتكلم الشيب فيه لكن مع التقليل من الكلام. ولا تسرح الديمانية في مشيها إلى بعلها، ولا تتقدم على مرافقيها إليه، ولا تمشي أمامه، ولا تأخذ بطرف الزمام ما دامت عروسا.

<u>ثانيا: نماذج من طبع أولاد ديمان على مستوى التعبير:</u>

عمدة التعبير عند أولاد ديمان التلويح والإشارة، فهم يعدون الصراحة نوعا من البلاهة، فالديماني إذا تحدث اكتفى بالتعويم بدل التوجيه، والتعريض بدل المباشرة، والمراجعة بدل التفنيد، والاستفهام بدل الرد، ولجأ إلى العهد بدل الإضافة، والصمت بدل التعنيف.

ويتحاشى الديماني التجريح، والإطناب، والفضول، وسوقي الكلام، كما يتحاشى مدح نفسه، والتحدث بمآثره أو مآثر آبائه.

والديماني إذا أراد أن يكذبك لم يقل لك: «كذبت»، ولكن قال لك: «ذلك لم أفهمه»، وإذا أراد أن يخطئك لم يقل لك: «أخطأت»، ولكن قال لك: «ما معنى ذلك؟»، وإذا ذهبت تجادله سايرك في قولك وأوهمك أنك محق ليقطع عليك الحديث. وإن خاطبته بما لا يليق أو أكثرت عليه صمت عنك، فصمت الديماني ككلامه له معنى على السامع أن يبحث عنه.

وإذا كنت تأكل مع الديماني وأرادك أن ترفع يدك عن الأكل، قال لك: «كل فما أقل أكلك». وإذا كنت مع ديماني وأرادك أن تذهب عنه لينام قال لك: «الليل تأخر على ذهابك»، وإذا كنت ضيفا عنده وأرادك أن تنصرف عنه، فإن كان ذلك بعد المقيل قال لك: «داهمك الليل فامكث»، وإن كان بعد العشاء قال لك: «لتبت حتى الصباح فقد تأخر عليك الوقت»، وإن قدم لك الديماني طعاما وأرادك ألا تأكله كله، قال لك: «هذا كله إنما نريده لك».

وإذا أراد الديماني أن يبالغ في مدح أحد لم يزد على قوله: «"افلان جابر" (=فلان موافق)»، وإذا أراد أن يبالغ في ذمه لم يزد على قوله: «"افلان ما هو جابر" (=فلان غير موافق)»، وإذا أراد أن يقول: «"فلان مجنون"» قال: «"فلان مجذوب"»، وإذا أراد أن يقول: «فلان أحمق» أو «مخبول» قال: «"فلان صالح" أو "وخيرت بيه"»... وهكذا.

ولا يعجل الديماني بالجواب، بل يتأنى حتى يتدبر ما يقول، وإذا سئل الديماني

عن أمر لا يجيب بـ: «"خم" (=لا أدري)» لأن «"خم أزماگ" (=لا أدري إساءة)».
ولا يرد على السائل بـ«لا» مفردة، لأن «لا» مفردة جفاء، بل يسوقها في عبارة أو سياق فيه تلطف، كأن يقول: «سوف يوجد ذلك مستقبلا إن شاء الله»، أو «لعل ذلك يتيسر»، أو «يسرني أن أتمكن من فعل ذلك»... إلخ. «جاء مرة رجل إلى المختار بن حامدن الديماني يسأل عن كتاب، فبادره أحد أهل البيت بالجواب بأن الكتاب ليس في مكتبتهم، فلما انصرف، قال له المختار: ما هكذا ينبغي أن يكون جوابه، كان عليك أن تقوم وتدخل إلى المكتبة كأنك تفتش عنه حتى يرى السائل منك الاعتناء به وبمسألته، ثم بعد ذلك ترجع وتجيبه».

والديماني لا يصرح بأمر ولا بنهي بل يعبر عنهما بما يفهمان منه، وإن هز الديماني رأسه موافقة على شيء فمعناه الإعراض عنه. «جاء رجل يدعي الشرف إلى جماعة من أولاد ديمان وقال لهم بأنه رأى رسول الله ﷺ في المنام، وسأله هل هو شريف، فقالوا له: بم أجابك؟ فقال لهم: هز لي رأسه (أي بالموافقة)، فقالوا له: هذا يكفي من الإعراض».

وإن قالت أم البنت الديمانية للخاطب أو رسوله: «مرحبا بك، أنت هو مرادنا ولكن شاور قريبها فلانا»، فمعناه: «لم نقبلك».

وليس من لغة الديماني كثرة استعمال العبارات الجازمة كـ«نعم» و«لا»، بل يقول: «ذلك ممكن»، أو «يجوز ذلك»، أو «كأنه صحيح» في الإثبات مثلا، ويقول: «لا أعرفه»، أو «كأنه ليس هو»، أو «هذا لا يشبهه»، أو «هل يجوز أن يكون غيره؟»، في النفي مثلا.

وإن سئل الديماني عما لا يعرف لم يقل: «لا أعرفه»، بل يقول: «ما سمعت به»، أو «لم يسبق لي أن رأيته». وإن سئل عما يعرف، لم يقل: «هو كذا»، بل يقول: «لعله كذا».

ولا يسمي الديماني اسم أبيه، ولا ابنه، ولا صهره وإنما يكني عنهم، أو يلقبهم بكلمرابط والطفل وما أشبههما.

والديماني لا يستعمل ضمير الواحد المتكلم، ولا يستعمل ياء الإضافة، فلا يقول: «إبلي»، أو «بقري» بالإضافة إلى نفسه، كما لا يقول: «ابني»، أو «أخي»، أو

«أمي»، أو «أبي» مثلا، فالديمانيون يقولون: «"أولاد ديمان ابلا ابات" (=بنو ديمان لا آباء لهم)».

والديماني لا يقول لزائريه: «مرحبا» فهم يقولون: «"أولاد ديمان ما ايگولو مرحبه" (=أولاد ديمان لا يقولون مرحبا)»، لأن «مرحبا» تعني الصراحة والمبالغة في إظهار الود وهم يستهجنون ذلك، فلذلك يقال: «"الديماني إيل جاك جاك شي، ويلا جيتُ ما جيت الشي" (=إذا جاءك الديماني بدا وكأن شخصا مهما زارك، وإن جئته بدا وكأن شخصا غير مهم زاره)»، لأنه لا يظهر لك وده وفرحه بك، فإذا أظهر لك وده وفرحه بك فمعناه أن له عليك موجدة.

ولا يقوم الديماني للسلام على زائره إذا كان أصغر منه ويقولون: «"حد أكبر من حد ما يوگف لو يكون إيل عاد شايف اعليه شي" (=الرجل لا يقوم لمن هو أصغر منه إلا إذا كانت له عليه موجدة)».

ولا يجاهر الديماني بما يقوم به من إكرام ضيفه، ولا يسعى في إطلاع الناس على ما يبذله له من ضيافة حتى لا يحرج ضيفه، ولا يخبر أهل الحي بأنه قد نزل به ضيف حتى لا يظهر وكأنه يريد من أهل الحي أن يساعدوه في ضيافته، ولا يتحدث إلى غيره في شأن ما يقدم له من شراب أو طعام، فكل ذلك يستهجنونه، ويعدون الحديث فيه من شأن النساء والصبيان، لا شأن الرجال، ويقولون: «"الخاطر لو لاهُ التركه وتعليات إيج ما نعلم بيه ويمشي ما نعلم بيه" (=الضيف لولا النساء والصبيان لجاء دون أن يُعلم به وذهب دون أن يُعلم به)».

ويكتفي الديماني إذا جاءه الضيف مثلا بسؤاله عن جهة قدومه، أو وجهته بدلا من سؤاله عمن يكون، وربما انتظره حتى يصلي فينظر هل سيجهر بما سوى تكبيرة الإحرام مما الأصل ندب الإسرار به فيعرف هل هو من أهل العلم أو من عامة الناس، وقد يلجأ إلى بساط الحديث كي يعرف إلى من ينتمي، فيخوض معه في أحاديث شتى بعضها يتعلق بالعلم، وبعضها يتعلق بالفروسية، وبعضها يتعلق بتنمية الماشية مثلا، ثم يستنتج من خلال أجوبته إلى أي طبقات المجتمع ينتمي، ثم يخمن من يمكن أن يكون حتى يعرفه دون أن يسأله عن هو. «جاء رجال من أولاد يعقوب إنلل بن ديمان إلى امرأة من أولاد سيدي الفالي بن محنض بن ديمان، فاهتمت بأن تعرفهم من غير أن

تسألهم، فما عرفتهم حتى قدمت لهم العشاء فاعتذروا عنه تظرفا، فقالت لهم: عرفتكم، أنتم من أولاد يعقوب إنلل، قالوا لها: كيف عرفتنا؟ قالت: لما رأيت حسن هندامكم حسبتكم من إيدابهم، ولما رأيت حسن صلاتكم حسبتكم من إيدوعلي، فلما اعتذرتم عن العشاء تظرفا عرفت أنكم من أولاد يعقوب إنلل، فتلك عادتهم».

والديماني لا يحدث بما يقع بحضرته من إحسان أو إساءة، فلا يحدث بالإحسان لأن في التحديث به إطراء، وهم يستهجنون الإطراء، ولا يحدث بالإساءة لأن في التحديث بها شكوى وهم يستهجنون الشكوى.

ولا يحدث الديماني بسره أحدا -لا سيما إن كان من إيتشكي- غالبا مهما كان.

ولا يطلب الديماني الحاجة إلا إيماء، ولا يكرر الطلب لها إلا لضرورة، ولا يكثر الملام، وأكثر ما يلوم بنظراته، ولا يؤدب بالعبارات المباشرة، ولا يجهر بالتأديب، ولا يشارك في الصخب كيفما كان، ولا يخاصم على الدنيا مهما وقع، ولا يناجي غيره إلا لأمر عظيم، ولا يلاحظ على غيره إلا الفعلة الأولى، فإذا كررها لم يجدد الملاحظة عليه، ولا يتحدث أمام من هو أكبر منه إلا بالصنهاجية دون الحسانية.

ولا يداين الديماني غريمه إلا بالسلام عليه، والأحسن عند أولاد ديمان أن يسلم الغريم على دائنه إذا التقيا أولا، رفعا للحرج عن الغريم.

هذه نماذج استخلصناها من مجموعة من الأنظام المؤلفة في طبع أولاد ديمان(1)، ومن غيرها تعطي صورة عن الطباع التي يرى أولاد ديمان أنها تعبر عن هويتهم، وتميزهم عن إيتشكي، وهو الغير -سلوكا لا نسبا- الذي يرون أنه يمثل الكون الموازي لكونهم، على وفق المقارنة التي عقدها محمد سالم بن عدود المباركي بين طبع أولاد ديمان وطبع إيتشكي -معتبرا نفسه من إيتشكي وهو بعيد من أن يكون منهم على سبيل المداعبة لأولاد ديمان- في مقطوعة له قال فيها:

«أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا بِهِ ابْتَلَى بَنِي دَيْمَانَا

مِنْ نَيَّاتٍ مِنْهُمُ جِبِلاَّ قِيلاً وَرِثْ مِنْ آبَائِهِ الْجِيلاَ

---

(1) راجعها في الملاحق.

وَإِنْ أَتَى بِغَيْرِ ذَاكَ قَالُوا   لَمْ يَأْتِهِ عَمٌّ لَهُ أَوْ خَالُ
وَنَحْنُ إِيتِشْكِّي عَنَّا مِنَّا أَتَى   فَتًى جَمِيلاً قِيلَ أَبْنَاءُ الْفَتَى
وَإِنْ أَتَى بِغَيْرِ ذَا لَمْ يُسْتَقِمْ   شِنْشِنَةٌ نَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ[1]»

وقد عبر محمذن بن باركلل بن محمذن بن محنض بابه الديماني عن الرغبة التي تحدو الديماني في التمسك بطبعه مهما كان السبب، وعدم مجاراته للغير في طباعهم أو الرد عليهم بمثلها بقوله:

«قَدْ يَسْمَعُ الْمَرْءُ أَلْفَاظًا تُكَلِّفُهُ   ضِدَّ الطِّبَاعِ وَأَشْيَا غَيْرِ مَلْفُوظَهْ
وَلَيْسَ مِنْ رَدِّهِ بِالْمِثْلِ يَمْنَعُهُ   عَجْزٌ وَلَكِنْ حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَهْ»

ويعبر هذا عن حرص الديماني -بوعي منه أو بغير وعي- على أن يظل التمايز بين طبع أولاد ديمان وطبع إيتشكي قائما، والحدود بينهما جلية، إلى درجة أن أولاد ديمان جعلوا من التحذير من إيتشكي والتعاطي معهم أحد عناصر مقولاتهم المأثورة كقولهم: «إيتشكي إيتمو ألا إيتشكي (=إيتشكي سيظلون دوما إيتشكي)»، وقولهم: «إيتشكي ما تكبر فيهم الكرش (=إيتشكي لا يعول عليهم)»، وقولهم: «"أثلاثت اروايات ما ايجو فوگ الظن: الشاشرة، والمَ الاكحل، وإيتشكي" (=ثلاثة أشياء لا تأتي على وفق الظن: الصبيان، والماء الأسود (=الذي لم يتغير بلبن أو نحوه)، وإيتشكي)»، أي أنها لا تؤمن عاقبتها.

وهكذا يظهر أن أولاد ديمان قد أولوا الطبع مكانة كبيرة في هذه المنظومة القيمية التي اختطوا لأنفسهم في كل من الكلام والطبع والعادات.

❁❁❁

---

(1) ولمحمد سالم بن عدود المباركي في أولاد ديمان أيضا:

مَا إِنْ رَأَيْنَا مَعْشَرًا أَظْرَفَا   مِنْ آلِ دَيْمَانَ وَلَا أَلْطَفَا
إِنْ أَنْصَفَتْ أَيَّامُهُمْ أَوْ صَفَتْ   لَمْ يَذْكُرُوا وَقْتَ الصَّفَاءِ الْجَفَا
وَإِنْ هَفَتْ أَوْ أَرْجَفَتْ أَوْ جَفَتْ   لَمْ يُنْسِهِمْ ذَلِكَ عَهْدَ الصَّفَا
شَهَادَةٌ لَيْسَ لَهَا مُوجِبٌ   فِي وَقْتِنَا الرَّاهِنِ إِلَّا الْوَفَا

عادات أولاد ديمان

عادات أولاد ديمان عموما جزء من عادات البيضان، لكن مع إضافة بعض لمسات الديمانية التي تضفي عليها بعدا خاصا. وهذه اللمسات هي التي ستكون موضع تركيزنا خلال استعراضنا لهذه العادات -التي نلاحظ أن بعضها أصبح مهددا بفعل التحضر- في وجهيها الاجتماعي والأنتروبولوجي، من خلال ثلاثة محاور كبرى للعادات هي: الزواج، والنفاس، والهدية.

أولا: الزواج:

لم نجد في الكتابات الأنتروبولوجية التي اطلعنا عليها ما يمكن أن يفيدنا في تحليل ظاهرة الزواج في المجتمع البيضاني، لأن الزواج في هذا المجتمع لا تنطبق عليه -على ما يبدو- صفة الزواج الخارجي الذي اعتبره بعض الدارسين من سمات المجتمعات الانقسامية، كما أن عدم دقة الفرق بين مفهومي الزواج المفروض والزواج المفضل[1] تجعلنا نحتار اتجاه تحديد شكل الزواج الذي يقع -أو كان يقع- بين أبناء العم في قبائل البيضان، ومنها قبيلة أولاد ديمان.

إن القواعد التي تعتبر أشخاصا مرغوبا فيهم كأزواج أو كزوجات أو ربما تحددهم باعتبارهم الأزواج الوحيدين المتاحين في وقت من الأوقات، تكون مصحوبة في نفس الوقت عادة بقواعد تمنع أو تكره الزواج بأشخاص معينين.

وبما أن الزواج لدى هذا المجتمع أقرب إلى الزواج الداخلي، فإن الزواج بين أبناء العم ليس مسموحا به فقط، بل ويعتبر زواجا مفضلا للغاية أيضا، حتى إن بعض الآباء والأمهات قد يتولون بأنفسهم اختيار الزوجة المناسبة لأبنائهم، ويرون أنه كلما كان ابن العم أو ابنة العمة أقرب -سواء من جهة الخط النسبي للأب أو للأم- كلما كان ذلك أفضل.

ويمكننا أن نستعرض عادات الزواج لدى أولاد ديمان من خلال النقاط التالية:

---

1) يقول الأنتربولوجيون في تعريف الزواج المفضل والزواج المفروض بأن القاعدة إذا كانت تلزم الرجل بأن يتزوج امرأة من فئة معينة، فإن هذا الزواج يسمى زواجا مفروضا. أما إذا اعتقد أن ذلك من المرغوب فيه فحسب فإن هذا الزواج يدعى زواجا مفضلا.

1- الخطبة:

بالنسبة لأولاد ديمان يكفي في الخطبة أن تصدر من الخاطب أو من ينوب عنه إشارة تفيد ذلك، لأنه ليس من المستحسن لديهم أن يصرح الخاطب بمراده.

وقد كان للخطبة حتى زمن قريب لدى أولاد ديمان مقدمات تتم بأن ترسل والدة الخاطب كتابا –أو كتبا إذا تعدد الأبناء والبنات– إلى أسرة المخطوبة في الأعياد كتعبير منها عن رغبتها في مصاهرتهم، فإذا لم يردوه فورا دل ذلك على استعدادهم لذلك، لكن الخطبة مع ذلك لن تكون رسمية إلا إذا عبر عنها الخاطب أو أمه أو أخته أو من ينوب عنه لوالدة البنت أو من يقوم مقامها، تعبيرا يفهم منه أن إرسال الكتب لم يكن مجرد إبداء إعجاب أو مجاملة. ولأن رد الخاطب بالرفض المباشر لا يستحسن عندهم، فإن المخطوب لديهم يكتفون في حالة عدم موافقتهم باللجوء إلى أساليب لفظية أو عملية يفهم منها الخاطب أنهم رفضوه، كـ«هناك أعضاء في الأسرة ننتظر موافقتهم»، أو «لدينا أقارب تجب مشاورتهم»، أو «سننظر في الأمر»، أو «سبق لنا أن تكلم لنا غيرك»، فكل ذلك رفض للخاطب بصورة غير مباشرة.

2- العرس:

يجمع العرس بين العقد والبناء، والعقد ليلة واحدة أما البناء فكان أسبوعا للبكر وثلاثة أيام للثيب. وقد يتمان دفعة واحدة، كما قد يفصل بينهما زمن غير محدد، كانت العادة تجري قديما بأن يكون عاما. وقد تقلص الآن العرس (العقد والبناء معا) إلى ليلة واحدة أو ليلتين أو ثلاث ليال على الأكثر في الأغلب. ويتم العقد في بيت أهل العروس، أو في المسجد، أو في خيمة أحد كبار أهل الحي، أو في خيمة العالم الذي سيباشر العقد.

وصيغة العقد الشرعية معروفة، غير أن أولاد ديمان عادة ما يكتفون بأخف شيء في ذلك، من ذلك مثلا أن «المختار بن حامدن الديماني في عقد عقده لأسرة من أولاد ديمان لم يزد على أن سأل عن وكيلي الزوجين وشهودهما ثم قال: قد عرفنا ما جاء بنا هنا، وقد أنفذناه به على وفق ما ينبغي أن يكون». وانصرف فدلت كلمته على العقد، وعلى صداق المثل، وعلى الشروط المعتادة من مثلها دون أن يقول شيئا من ذلك.

ثم يرسل الرجل الصداق عند العقد ولا يحدد غالبا، غير أن أولاد ديمان

يكرهون أن يكون فيه النيف، لا سيما الثلاثة، فيأخذ أهل العروس نصفه ويردون نصفه، ثم يوزعون من نصفهم هدايا على كافة أو بعض خيام "الفريگ"(=الحي). وإذا رجع إليه النصف جعل عليه مبلغا آخر ثم أرسله باسم "تمراگ أسبوع" (=الخروج من البناء)، ويعرف هذا المبلغ الأخير في الحسانية بـ"أگچار"، ويمسك أهل العروس ربعه أو نصفه، ويردون الباقي. ويفعلون به ما فعلوا بالصداق قبله.

ولأولاد ديمان عوائد في العرس وفي الأسبوع منها أن العروس لا تزينها إلا امرأة لم تتأيم ولم تترمل، ولا يكشف عن زينتها لأي أرملة أو مطلقة -خشية أن يلحقها ما لحق تلك المرأة من ذلك- بل لا يستحسن للأرملة أو المطلقة أن تسعى إلى رؤية زينتها أصلا. ومنها أن العريس طيلة أسبوع البناء لا يبقى وحده، وكذلك العروس، فلا يجلسان، ولا يسيران إلا وأحد يجلس أو يسير غريبهما، (كانوا يقولون إن العرسان مستهدفون من طرف الجن) وهم يكرهون أن "تروغ"[1] (=تختفي) العروس وحدها خوفا عليها من الجن.

وإذا أرادت العروس أن تروح إلى خيمة زوجها، جلست في الطريق حتى يأتيها، فيحملها إلى داخل الخيمة فتلبث معه ساعة وترجع، فهي لا تبيت، طيلة الأسبوع إلا عند أهلها إلى جنب والدتها، لكنها إذا رجعت وهجعت العيون جاء هو إليها فبات معها، وهو لا ينام مخافة أن يدركه الصباح في بيت أهلها، ولا تنام هي ثم لا ينامان في النهار مخافة أن يقول الناس إنهما باتا مستيقظين. ونوم العروس نهارا طيلة الأسبوع وقاحة، وهكذا كلامها لاسيما إن كانت بكرا. ولا يأكل العريسان في خيمة العرس طيلة الأسبوع.

وإذا انتهى الأسبوع فعلى العروس أن تبيت معه في خيمته، لكنها لا تأتيه أبدا من تلقاء نفسها، بل تجلس في منتصف الطريق حتى يأتي فيدخلها فيها.

ثم إذا أرادت أن تذهب لا بد أن يخرج في وداعها، وهي لا تتجه إلى أهلها

[1] "التروغ": هو الإختفاء، وهو عادة معروفة عند البيضان، ومقتضاها أن أصحاب العريس يجعلون من أنفسهم حراسا للعروس طيلة الأسبوع، بينما تحاول صاحبات العروس أن يستغفلن الحراس حتى "يروغوها" فإذا أفلحن في ذلك بدأ البحث من طرف العريس وأصحابه يوما أو أياما حتى يجدونها، فيأتون بها في ظل مراسيم احتفالية ضخمة.

مباشرة، بل يلزمها أن تدور دورة قبل أن تأتيهم، لأن إتيانها إياهم مباشرة من عضد زوجها وقاحة.

ثم إذا جاءت إلى أهلها لا ترجع إليه من الليلة الأخرى تلقائيا، بل تمكث حتى يرسل في طلبها. والعروس في خيمة العرس لا تتكلم إلا إذا سئلت، ولا تضجع ما دام أحد في الخيمة، ولا تأكل، ولا تشرب، ولا تعد طعاما، ولا تقدم وسادة لأي أحد، بل ولا تجلس قرب المتاع. وإذا سئلت عن شيء من ذلك، أو عن زوجها لا تجيب.

وتستمر هكذا مدة غير يسيرة تأتيه ليلا وتذهب عنه نهارا، وهو لا يبرح الحي طيلة هذه المدة.

3- معاملة الأصهار:

يخيم بمجرد العقد جو من الحياء من الأصهار، حتى من أسمائهم، ومن المرور ببابهم، فضلا عن الجلوس معهم والتحدث إليهم ومؤاكلتهم.

والأصهار فيما بينهم يقومون بتبادل الزيارات والهدايا التي تعبر عن الاغتباط بالعلاقة الجديدة. وهذه الهدايا في مجملها هدايا يقدمها أهل المرأة إلى أهل الرجل، كنوع من إكرام الرجل الذي يكتفي بعد الصداق و"آكجار" بإرسال هدية تعرف بـ"الهيشر" (=هدية ما بعد الزواج). وعادة ما يفعل ذلك بعد شهر أو شهرين من الزواج فضلا عن الهدايا التي يرسل عند كل عيد.

أما الهدايا التي يقدم أهل المرأة فهي:

- "گصر النم" (=تتبع قرابات الرجل): حيث يقوم أهل العروس بعد البناء مباشرة بإرسال هدية إلى والدي الرجل، تتمثل عادة في شياه تسمى "لگدح" (=القدح)، ثم يتعقبون خطوط الدم القرابية لأقارب الزوج، فيرسلون إلى كل خيمة (=أسرة) من أقاربه شاة.

- "المحارة": أصلها المثل الحساني "دير خيرك فامحاره إلى گر زيدو باغراره وبل ما گر كافي ذلك من لخصاره" (=اجعل خيرك في محارة، فإن شُكر فزده بجرار، وإن لم يشكر كفاك ذلك من الفساد)، أي أن "المحارة" - عملا بالمثل- تمثل مقدمة للهدية الكبرى المعروفة بـ"الفسخة" (= هدية ما بعد الزواج)، وترسل "المحارة" عادة بعد شهر أو شهرين من الزواج، فإن صادفت قبولا وذكرا حسنا لدى أهل

الرجل، فمعناه أن أهل المرأة بإمكانهم أن يجتهدوا في "فسختهم" وإلا اكتفوا بأقل ما يجزئ. وتتألف "المحارة" من أعداد متساوية من كل شيء (أوان، ملبوسات، حلي.. إلخ) أربعة أربعة، أو خمسة خمسة، أو عشرة عشرة، بحسب طاقة الأسرة. وتساعد نساء الحي عادة أم العروس في هذه "الفسخة".

– "الفسخة": عادة ما ترسل "الفسخة" بعد السنة، وربما قبل ذلك. وتمثل "الفسخة" الهدية الكبرى التي يرسلها أهل العروس، والتي يبالغون فيها، ويقيم فيها التنافس والتفاخر بين خيام القبيلة، وهي تمثل أعدادا متساوية من كل شيء، تبلغ أحيانا مائة مائة ولا حد لها. وهذه "الفسخة" -كما هو الحال بالنسبة "للمحارة"- يمسك أهل الرجل نصفها ويردون النصف على العادة. ثم يوزعون نصفهم على خيام الحي على شكل هدايا.

4- الرحيل:

يوم رحيل المرأة إلى أصهارها يوم مشهود، وعادة ما "تروغ" (=تختفي) فيه العروس، أو تحاول ذلك صويحباتها على الأقل. وتتم فيه نفس الاستعدادات التي تتم في العرس من تنظيف للعروس[1]، ومن ضفر هو نفسه ضفر العروس[2]، ومن

---

(1) كان تنظيف العروس يتخذ قديما النظام التالي:

1- تستحم العروس جيدا بالماء.

2- يأخذ بعض زبل البقر ويقطر عليه من الدسم قليلا، وقليلا من لبن البقر الرائب، ويطلى به عموم الجسد ويترك لمدة دقائق. ويسمى هذا "اللبوخ".

3- يدلك "اللبوخ" بعد دقائق ثم يزال فيأتي بالوسخ معه، ثم تنظف العروس بالماء بعد ذلك.

4- يأخذ ماء ويجعل فيه بعض أنواع الطيب هي: القرنفل و"اطكگ"، ويقطر عليه من مخ دابة أو فرارة لبن ويدلك بهذا سائر الجسد.

5- تأخذ قطعة قماش من النيلة أو الأنصاف، وتدق في مهراس مع قليل من الحناء وقليل من المخ أو فرارة اللبن ثم تدهن به المرأة وجهها وذراعيها. وتعلق الحفيظة على صدرها في ملحفتها والحفيظة مخلاة صغيرة تكون عادة سوداء من النيلة مستطيلة لها ذنبان، طولها شبران وعرضها ثلاثة أصابع تملأ ببعض أنواع الطيب هي: القرنفل و"تيدگت" و"المحاجة" وتضمخ بالمسك، ثم تعلق لها بعض "المحاجة" في مخيط يسمى "توشيت"، وتمق الحفيظة بملوك بيضاء "توشر" بها.

(2) الضفر أنواع كثيرة عند نساء البيضان، لكن بعضها يتخذ نهجا، ويخضع لتراتبية زمنية معينة، على

النحو التالي:

1- "سالفه مافه": وهي أول ضفرة للفتيات تتم بعد مرحلة الطفولة وقبل المراهقة، وهيأتها أن يقسم الرأس بخط مستقيم من الأذن إلى الأذن ثم يأخذ النصف الأمامي ويصنع منه ما يعرف بـ"التطباگ" وصورته أن يسبل الشعر إلى الأمام، ثم يطوي إلى أعلى، كما تطوى الورقة، ويخاط، ثم تركب فيه "اجدايل" خمسة أو سبعة، و"اجديله" مسمار معقود على ثلاث خرزات. أما النصف الخلفي من الرأس فيقسم ثلاثة أقسام: "تزور" (=تضفر) من أعلى إلى أسفل في كل جانب ضفرا ملتصقا بالرأس على شكل ذوائب على هيئة قرنين وگطايه.

2- "اتشگلي": الفتاة "المشگلية" هي المقاربة لسن الصيام، وضفرتها هي ضفرة المراهقة. وصورتها أن يزور (=يضفر) "السالف" وهو خيط الشعر المنطلق من الجبين إلى الناصية من الجانبين، ثم يضفر الرأس إما بـ"ظفر الكلب" وإما بـ"الشرمه". و"ظفر الكلب" صورته: ثلاثة قرون على شكل نقاط الثاء في ثلاثة أقسام، يقسم إليها جانب الرأس، فتصير تسعة قرون في جانب الرأس، وتسعة في الجانب الآخر، ثم يلوى العرف ست ليات إلى أعلى ويجعل فوقه "أگافه" (=مسمار من الحديد مبروم على هيئة الراحلة ملواة عليه قطعة قماش مقدمته أرفع من مؤخرته يلوى عليه الشعر). و"الشرمة" لا تختلف عن "ظفر الكلب" إلا بكون قرونها الثلاثة متساوية صفا واحدا. ويجعل في "أگافه" بعض الخرز يسمى: "ازريبه"، ويجعل صرع من الخرز على السالف يسمى: "حب شوفني" (=حب انظر إليّ).

3- "البرمه": وهذه من ظفرات الشباب وصورتها: نقسم جانبي الرأس إلى ست ليات، ونصنع منها أربعة قرون (ذوائب)، كل قرن مضفور بسبعة "أصراع" فوق النواصي: اثنان من اليسار، وتحت ذلك السوالف، وتحت ذلك "الرّبّه" (=سوالف دقاق جدا). ثم نأخذ مقدمة الرأس ونقسمها إلى ست ليات كذلك: اثنين خلف اثنين خلف اثنين، ثم نفتل الأخيرتين إلى الخلف فتل الحبل، ثم نلويهما الواحدة حول نفسها على شكل ذنب عقرب. ثم نأخذ رأسيهما ونلويهما إلى الإمام، ونضمهما لليات الأربع الأماميات، على شكل "جمل أگافه" (=مرتفع فوق الرأس). ثم نأخذ الليات الأربع الأماميات ونجعلها ست "برمات"، ثم نخلطها اثنين اثنين، كل واحدة مع التي في جنبها الأخر. ثم نقسمها من النصف ونفتلها كالحبل على شكل قرون إلى اليمين وإلى اليسار. وهنا تنتهي "البرمة"، فإذا كنا نريد "البرمة المللمة" نأخذ القرون الأربعة: اثنين من تحت البرمة واثنين من فوقها ونجمعها. كما أن أصراع "البرمة" ثلاثة أما أصراع "البرمة المللمة فتسعة". ومن مؤخرة الرأس ثلاثة "الگطاطي" كذلك.

4- "ظفرت العروس" (=ضفرة العروس): "ازريبه" أو "عين الحجلة"، وهي لا تختلف كثيرا عما ذكرنا سابقا إلا أن لها ثلاثة "دفوف"، و"الدف" هو سد من القرون مدور من الوجنة إلى الوجنة الأخرى: "دفها" التحتاني مبروم والفوقاني مبروم كذلك، أما الدف الأوسط فمضفور، ويعلق عليه

حناء، وغير ذلك.

وعلى العروس أن تصطحب معها أكبر عدد ممكن من الهدايا لتوزيعها على حي أصهارها الذي ستذهب إليه. وعادة ما يقطعها أبوها عددا من رؤوس الماشية، وخادما ترحل معها، فإذا وصلت إلى أصهارها مكثت في خيمتها لا تبرحها طيلة

الخرز و"المليات" و"آگافه" وتكون "الگطاطي" سبعة. ويجعل في كل هذا الخرز.

5- "لمشيدحه": وهي ضفرة المرأة المتوسطة السن، ويقسم الرأس فيها إلى "آگافه" و"السوالف" وأربعة قرون، يجعل في القرون خرز يسمى: "العزل"، ويتألف من "ءامجون" و"ابابات يونخزايم" و"الاخراب"، ويجعل في "السوالف" "صرع" من "الميال" والعقيق. وربما ربط "السالف" الأمامي بـ"السالف" الوراني في هذه الضفرة فيقال إنها: "تسلدگ".

بعد تلك السن وأثناءها ليس هنالك شيء محدود، فهنالك مثلا: "برمت أولاد الناصر"، وصورتها: "برمة" واحدة في الفوق على هيئة "البرم" الذي ذكرنا سابقا.

وهناك: "البوط". وهو خلط نصف الرأس الأمامي بقرن واحد، والنصف الوراني بقرن واحد آخر كذلك.

وهناك: "اكريب" (وهي ضفرة حديثة). وصورتها: أن نقسم شعر الرأس من الأذن إلى الأذن، ثم نقسم النصف الأمامي نصفين، وفي كل نصف نجعل أربعة "دفوف"، ومن كل "دف" نفتل أربعة قرون أو ثلاثة، وهكذا في الجانب الآخر، ثم نضفر كل "دفين" معا، فيصير جميع الرأس أربعة قرون كبار نجمعهم فوق الرأس ونخيطهم.

وهناك: "اندك". وهي إسبال الرأس إلى الأمام، ثم طيه على قطعة من القماش، ووضعه على الجبهة.

وهناك: "أم اگجيجه". وهي ضفرة المرأة "المغيبة" (=التي غاب زوجها). وصورتها أن "يزور" الرأس "آزوزا" واحدا على الجبهة.

وهناك ضفرات أخرى غير هذه، لكن هذه عموما هي أشهرها وأكثرها. وكل ضفرة يوضع فيها خرز معين يسمى "اديار"، منه إضافة إلى ما تقدم ما يصاحب الضفرات التي تقوم بها النساء البالغات (ما بعد ضفرة "اتشگلي) كمحارة "التفون"، وهي محارة من محار البحر بيضاء اسمها "البوط"؛ وتكون معها "الفشه"، وهي ثلاث خرزات من "الميال" عليها عقيقتين، وفيها خيط من الجلود يسمى "العگال" يوزع على الشروط جانب "البوط" وجانب "الفشه".

وهناك "اديار" يسمى "الحرعارات": وهو عبارة قطعة من الجلود "منزوزة" (=منسوجة) على شكل مربع، لها أهداب ثلاثة، كل هدب فيه ثلاث "فشات" -على شكل الفشه التي ذكرنا آنفا-، إلا الهدبة الوسطى، وتسمى "مضم"(MADAME) ففيها "فشه" واحدة؛ كما أن أهدابها ليست ثلاثة بل اثنين فقط.

أربعين يوما كاملة هي المدة الواجب عرفا قضاؤها معهم.

والعروس التي ترحل إلى أصهارها لأول مرة تلاقي من المراقبة الشديدة والاختبارات المتعددة التي يختبرها بها أصهارها ما لا ينتهي، فالعروس يجب ألا تتكلم إلا إذا سئلت، وألا تجيب فيما يتعلق بالبيت أو بالزوج، وألا تجلس قرب المتاع، وألا تباشر أي عمل في تلك الخيمة. كما أن عليها أن تخدم بنفسها قريبات زوجها اللواتي لن يتكلمن لها صراحة، بل بالتلويح والكناية، وأن تفهم عنهن مرادهن، فعليها مثلا أن تفهم من النظرة التي تلقيها أم العريس أو أخته على رأسها أنها تريد أن ترى ضفرها فتنزع عن رأسها فورا، كما عليها أن تفهم من تمرققها لها بأنها تريدها أن تفليها، وهكذا.

وعلى العروس كذلك ألا تسمن طيلة مقامها الأول عند أصهارها، لأن معنى ذلك أنها نهمة، كما عليها طيلة هذه الفترة ألا تبدل ثيابها ولا ضفرتها إلى يوم ذهابها الذي على الأصهار فيه أن ينظفوها، ويعيدوا لها نفس ضفرتها، ليعود بها زوجها إلى أهلها كما ذهب بها.

5- **الطلاق:**

يكفي من الديماني في طلاقه أن يرسل شيئا فيه العدد ثلاثة، أو يكتب في نهاية رسالته إليهم: «والسلام»، أو يقول لزوجته إذا أراد أن يذهب: «أستودعك الله»، أو يطوي فراشه إذا أراد أن يذهب، أو يقرب دابته من أصهاره للركوب، وما أشبهه من التصرفات الدالة على ذلك. فهذا مثلا الشيخ أحمد بن العاقل الديماني يحكم بالطلاق الثلاث لحيّي بنت الفالي بن الهلال الديماني حين نبحها زوجها امكيتير بن يا محمد بن الهلال الديماني ثلاث مرات مجونا، وهذا الشيخ أحمدو بن اسليمان الديماني يحكم بطلاق زوجة ابن اعبيد الفالي الديماني طلاقا بالثلاث بعد أن نادى والدها بيدحا بالبيت التالي:

«يَا بِيدَحُ يَا بِيدَحِ يَا بِيدَحَا مَا بَيْنَنَا آنَ لَهُ أَنْ يَصْلُحَا».

برفع بيدح الأولى وخفض الثانية ونصب الثالثة، على خلاف ما يقتضيه النحو، وقال الشيخ أحمدو: «إن اختلاف الحركات الثلاث في كلام ابن اعبيد الفالي يقاس

... تبعات أمكيتير[1].

بيان النفاس:

لعل عادات النفاس هي أكثر هذه العادات غرابة، فالمرأة الديمانية كانت إذا ... نفاسها ذهبت إلى خيمة أهلها، ويوم يصبح سجف الخيمة الشرقي موضوعا ... ظهور الشمس فمعناه أنها قد وضعت مولودها، لأنه لا ينبغي للنفساء أن تصرخ ... تتأوه بصوت عال يسمعه جيرانها، كما لا ينبغي لذويها أن يجعلوا من نفاسها ... جبا للتحلق حولها، حتى لا يبدو لأهل الحي أن الأمر يستحق كل هذا الاهتمام.

وبعد الوضع يبنون لها قبة تدخل فيها، وتدخل معها سكينا تغرزها في التراب ... فيها (يزعمون أن السكين تطرد الجن)، وتدخل معها "أزوكي" (=شظية قدح ... كسر) تجمع فيها الأم فضلات المولود طيلة أيام الأسبوع حتى يوم اسمه إلى ... بيها، وإذا لم تجد "أزوكي" حفرت حفرة تجمع فيها الفضلات، ولا تردمها ... يزعمون أنه عليها أن تحفظ فضلاته معها طيلة هذه الفترة حتى لا يراها أحد مخافة ... العين) وتدخل معها "الكحله" (=الإثمد) أو "الحميره" (=المغرة)، فإذا كان ... المولود ذكرا لطخت وجهها بـ"الكحله"، وإذا كان أنثى لطخته بـ"الحميره"، ثم ... يدلون عليها القبة ولا يتركون أحدا يجلس بينها وبين القبلة أبدا، كما لا يتركونها ... وحدها أبدا كذلك، وإذا قامت لبعض شأنها أجلسوا أحدا مع مولودها (يزعمون أنه ... إن بقي وحده فإن الجن سوف يبدلونه بولد من الجن يشبهه)، ولا بد من أحد يجلس ... معها طيلة الأربعين يوما التي تلي النفاس، فإذا انتهت الأربعون اغتسلت وتطيبت، ... وضفرت رأسها ولبست الجديد إن كان المولود أنثى، فإن كان ذكرا لم تفعل ذلك ... حتى يتم سنتين.

وعلى الزوج أن يحضر مع نهاية الأربعين، ويرسل إليها لأنه ليس لها أن ترجع ... إلى بيتها دون ذلك، وإذا لم يفعل اعتبر ذلك طلاقا منه لها.

والمرأة تتعهد مولودها الذكر برعاية زائدة على رعاية الأنثى، فلا تضربه، ولا ... تلومه، ولا تنزع شيئا في يده، ولا توقظه إذا نام، بل إنها إن كانت مهتمة بنبوغه لا تدعه

---

[1] ابن اسمه ص 122

يسير أبدا إلا وأحد غربيه حتى يراهق (يزعمون أن ذلك يحفظه من الجن ويقيه العين والحسد)(1).

ثالثا: الهدية:

تختلف الهدية في بعض أشكالها وطرائقها من منطقة إلى أخرى في المجتمع البيضاني، إلا أن هناك عموما هدايا معينة في مناسبات محددة، تواضع عليها البيضان، حتى أصبحت دينا اجتماعيا يجب الوفاء به، وإن اختلفوا أحيانا في بعض حيثياته. وهذه الهدايا -بالإضافة إلى هدايا مناسبات الزواج التي تقدمت- هي:

1- **"المجيبه" (الفرحه):**

على الرجل المسافر إذا قدم على "الفريگ" (=الحي) أن يأتي بهدايا توزع على كل خيام (=أسر) "الفريگ" أو على بعضها، حسب الخطوط القرابية والعلائق الاجتماعية. كما أن الخيمة (=الأسرة) التي تنزل على "الفريگ" يلزمها أن تأتي ببعض الهدايا لخيام "الفريگ" أو بعضها. ويلزم ربة هذه الخيمة أن تستطلع أحوال "الفريگ" الذي ستنزل فيه قبل سفرها ليكون عدد ونوع الهدايا الذي سوف تقدم كافيا ومناسبا.

وإذا نزلت المرأة فإنه بالمقابل على نساء "الفريگ" اللاتي يزرنها بالنسبة لأولاد ديمان أن يأتين بهدايا رمزية لأطفالها. وتتخذ هدايا "المجيبه" شكل ملبوسات وأوان وطنافس وحشايا ومفارش محلية... إلخ.

2- **"التعزيبت":**

في بعض المناطق كمنطقة أولاد ديمان، إذا نزل الضيف الفرد رجلا كان أو امرأة، فإن كل رجل في الحي أو كل امرأة من عصره أو عصرها، يأتيه أو تأتيها بالأطعمة طيلة مقامه أو مقامها. وعلى الضيف أن يأكل من كل هذه الأطعمة المقدمة إليه مهما كثرت. ومن تعذر عليه الحضور أرسل طعامه إلى الضيف. وعلى المضيف

---

(1) تقول الروايات الشفهية إن دانيت بنت المختار بن الطالب أجود الشريف الحاجي والدة محنض بابه بن اعبيد الديماني الباركللي كانت دائما تسير غربيه أينما سار، مع أنها لاتمنعه مكانا يريده، بل إذا ذهب لبعض شأنه أو لعبه جلست غربيه حتى ينتهي منه واستمرت هكذا حتى بلغ. وبهذا يفسرون نبوغه العلمي والعقلي.

أو رسوله لدى أولاد ديمان أن يرفع غطاء آنية طعامه، لأنه إذا لم يفعل ذلك فمعناه أنه يقول للضيف: «لا تأكل طعامي». فالضيف في أولاد ديمان لايأكل إلا مما رفع صاحبه غطاءه. كما أنه على الضيف ألا يأكل كل ماقدم إليه، لأن من عادتهم أن يرسلوا للضيف أكثر من حاجته، وإن كانوا مقلين فربما أرسلوا إليه كل ما يملكون، وينتظرون رجوع ما فضل عنه. وفي ذلك قصة وقعت لأحد أولاد ديمان: «نزل عليه ضيف فحلب كل ماعندهم من اللبن وقدمه إليه فشرب الضيف حتى ارتوى، وبدل أن يرد البقية لمضيفه الديماني التفت إليه وقال له: أعطني قدحا أغطي به هذا اللبن لأشربه بعد حين، فاستثقل الديماني ذلك فمد للضيف قدحين، فقال الضيف: أما هذا فسأجعله فوق الإناء، وأما الآخر فما أصنع به؟ فقال له الديماني: اجعله تحته».

3- "التامصفاط":

إذا أرادت المرأة أن تسافر إلى أصهارها أو أخوالها، أو ترجع إلى أهلها، تقدم كل امرأة في "الفريگ" -حسب الخطوط القرابية والعلاقات الاجتماعية والمستوى- هدية للمرأة المسافرة. وتتوقع النساء اللاتي قدمن تلك الهدايا أن تعود إليهم المرأة المسافرة في إيابها بهدايا موازية. ونشير إلى أن هذه الهدايا التي تتجمع لدى المرأة المسافرة إنما تدخل في إطار عملية إعادة توزيع غير مباشرة، حيث إن المسافرة تقوم بدورها بتوزيعها على "الفريگ" الذي ستذهب إليه، فالمرأة في سفراتها تأخذ هدايا أهلها لتوزعها على أصهارها، وهدايا أصهارها لتوزعها على أهلها، وهكذا.

4- "التاكشيت":

إذا نزلت خيمة طارئة على "الفريگ" فعلى كل خيمة أن ترسل لها شاة تدعى "التاكشيت"، وإذا كان النازل خيمة مهمة أو خياما متعددة فيمكن أن تقوم خيمة أو عدة خيام من "الفريگ" بإرسال ناقة أو بقرة في "التاكشيت". وبالنسبة لأولاد ديمان فإن هذه الشاة التي ترسل في التاكشيت يجب ألا ترسل إلا بعد أن تذبح لأنه إذا أرسل لك الديماني شاة حية، فمعناه أنه يقول لك: «أريدك أن تردها».

5- "تاكشيت النفسه":

إذا ولد للمرأة مولود جديد، فإنه على نساء "الفريگ" أن "تكشي" هذا المولود بأن ترسل شاة إلى ذويه قبل يوم تسميته أو في نفس اليوم. وإذا لم يكن عند المرأة شاة

فقد ترسل بعض اللبن إلى ذويه لمدة ليال، أو تمنحهم حلوية، وربما –وهذا في هذا الزمن– أرسلت أو أحضرت بعض النقود أو بعض الهدايا الأخرى. وعلى المرأة بدورها أن ترد الكيل إلى النساء اللواتي "كشينها" متى ولد لهن أولاد.



أولاد ديمان والعيش

العلاقة بين طبع أولاد ديمان والعيش علاقة خاصة، عبر عنها ابن أحمد يوره الديماني بقوله:

«وَحُبُّ بَنِي دَيْمَانَ لِلْعَيْشِ دَائِمًا   وَحُبُّ بَنِي يَعْقُوبَ رِسْلَ الْعَلَائِلِ[1]»

وغريب كون العامة –رغم أنهم لايدركون بعد ذلك العلمي– كثيرا ما ربطوا عند الحديث عن هذه العلاقة بين طبيعة العيش الباردة وبين طبيعة أولاد ديمان، بل وبين طبيعة أهل الگبله عموما باعتبار العيش وسيلة تغذية شائعة لدى أهل هذه المنطقة. وهذا صحيح لأن للعيش تأثيرا قويا في التخفيف من العدوانية والعصبية لدى ءاكليه، ولذلك كثيرا ما وصفه الأطباء التقليديون للمصابين بالأمراض العصبية والعقلية كأفضل غذاء يساعد على برودة الأعصاب[2].

لكن العيش يتجاوز واقعه كوسيلة تغذية رخيصة ومفضلة عند أولاد ديمان، إلى تعبير عن سلوك اجتماعي وسياسي معين، لا ينبغي أن نفصل بينه وبين الظروف الاجتماعية والسياسية التي عاشتها هذه القبيلة.

فأولاد ديمان الذين زادوا من انغلاقهم على أنفسهم بعد حرب شرببه، وفي إطار أضيق هذه المرة (إطار القبيلة) أخذوا في لأم جراحهم، والتكيف مع واقعهم الجديد، عن طريق خلق نوع من التكافل الاجتماعي والاقتصادي سعيا إلى التمكن من القيام بأعبائهم وأعباء يتامى وأرامل شرببه.

ورغم أن أولاد ديمان كانوا يتوفرون على عائد كبير من العلك (=الصمغ العربي)، وعلى عدد غير محدود من الأودية الزراعية، وكانوا أصحاب ماشية، إلا أنه لم يكن يوجد حينها من غذاء يستطيع أن يعيل هذا المجتمع العاطل في أغلبه، والمثخن بجراح الحرب إلا العيش، نظرا لتوفر مادته ويسر صناعته.

إن العيش إذن مثل رمز المساواة والتكافل والفضيلة، كما أنه مثل رمز العناء

---

(1) امحمد بن أحمد يوره الديماني، الديوان، مرقون، ص32.

(2) أثبتت الدراسات الحديثة العلاقة القوية بين الأطعمة الحارة وبين العدوانية وكثرة الحركة والعصبية الزائدة.

والحاجة والتضحية عند عند أولاد ديمان. وهكذا تحول العيش من غذاء إلى موضوع أخلاقي يقابل من طرف الجمهور الديماني بالرضى والاغتباط، لأنه يمثل عاملا من عوامل إظهار المساواة، ينضاف إلى عدم وجود -بشكل طاغ- زعامة أو رئاسة أو حتى طبقة أرستقراطية متعالية داخل هذه القبيلة.

كما أن طبيعة العيش تنسجم تماما مع الطبع الذي ارتضاه الديمانيون لأنفسهم من حيث الكياسة وسهولة الاستعمال، فهو لا يحتاج إلى استعمال اليدين معا، ولا إلى استعمال السكين، ولا يَعْلَق بالأسنان فتحتاج الأسنان بعده إلى التخليل، وليس له نوى يحتاج إلى أن يلفظ كالتمر، وليس فيه عظام تحتاج إلى أن تنزع كاللحم، وهو مع ذلك رخيص ومتوفر، فلذلك كثيرا يقول أولاد ديمان عنه: «"العيش ما فيه الاعظام" (=العيش لا عظام فيه)». وهذه العبارة ذات وجهين: الأول هو أن العيش ليس كاللحم لا عظام فيه، والثاني: هو أنه ليس محل تهمة، من حيث أنه لا يوجد حرج بين أولاد ديمان وبينه، لأن البيضان يقولون للشيء الذي لا حرج فيه حيث لا تتوجه التهمة بأنه «"ما فيه الاعظام"».

وهكذا ارتبط أولاد ديمان بالعيش دون غيره ارتباطا خاصا، أملاه طول وعمق هذا الارتباط، وكثرة ما حيك حوله من حكايات حقيقية أو أسطورية.

ويكفي للتأكيد على ذلك، حكاية إرسال أولاد ديمان "صربتهم" (=وفدهم) إلى العيش يسترضونه حينما قل العيش (=قل الزرع الذي هو مادة العيش ذات سنة) فقالوا: «إنما ذلك لأن العيش قد غضب علينا، ويجب أن نسترضيه»، وهي التي تحدث عنها الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا في نظمه لنوادر هزل أولاد ديمان بقوله:

«وَسَارَ وَفْدُهُمْ إِلَى الْعَصِيدِ يُرْضُونَهُ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدِ

حَتَّى أَنَاخُوا عِنْدَهُ وَسَلَّمُوا وَبَجَّلُوا مِقْدَارَهُ وَعَظَّمُوا

وَسَمَرُوا وَحَكَوُا الأَخْبَارَا وَطَرِبُوا وَأَنْشَدُوا الأَشْعَارَا

فَطَرِبَ الْعَيْشُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ وَطَلَعَتْ بَعْدَ الأُفُولِ شَمْسُهُ

فَصَارَ يَهْتَزُّ عَلَى الدَّوَامِ حَتَّى خَشُوا إِرَاقَةَ الإِدَامِ

وَكَانَ فِي الْوَفْدِ الَّذِي لَهُ وَفَدْ   حَدَّثَنِي مُحَمَّدُنْ نَجْلُ احْمَدْ

وَهْوَ الصَّدُوقُ الثِّقَةُ الظَّرِيفُ   أَنَّ الَّذِي أَطْرَبَهُ الْخَفِيفُ

وَقَالَ لاَ يَمَسُّنِي مُؤْذَانِي   وَلاَ أُصَافِحُ سِوَى دَيْمَانِي».

وتروي الرواية الشعبية أن الذي أغضب العيش هو عدم احترام بعض ءاكليه له، حتى إنهم صاروا يتتفونه إذا أرادوا أكله، لجهلهم بآدابه.

وتصور لنا منظومة أبي بكر (بكن) الديماني[1] في العيش[2] مدى اعتناء الديمانيين بالعيش، وتفضيلهم له على سواه من الأطعمة، وارتباطهم به، وتفسر لنا بعض أوجه ذلك الارتباط، وأنه قائم على أساس أن: «منزلة العيش من الطعام بمنزلة أولاد ديمان من القبائل». كما نجد في نوادر أولاد ديمان أمثلة مختلفة على مدى قوة هذا الارتباط.



(1) أبو بكر (=بكن): هو أبو بكر بن محمد بن أبي بكر الديماني الفاضلي المعروف بلقبه بكن، شاعر مجيد له ديوان شعري. ت1340هـ/ 1921م.

(2) راجع نص المنظومة في الملاحق.

أولاد ديمان والنوادر

كثير من المعطيات المختلفة -تعرضنا لبعضها فيما تقدم- جعل النوادر تكثر في مجتمع أولاد ديمان، كما أنه لأسباب ثقافية واجتماعية معينة اعتنى الديمانيون بنوادرهم أكثر من غيرهم، حتى باتت نوادر أولاد ديمان موروثا حضاريا لا يطالب الديمانيون بالمحافظة عليه فحسب، بل وبالاستزادة منه أيضا، حيث أصبح بمثابة السجل الذي يحفظ لأولاد ديمان ذاكرتهم، ويحافظ لهم على صورتهم في المجتمع.

وتجمع النوادر الديمانية، إضافة إلى استفادتها من قوانين المنطق وطرقه في الاستدلال، بين أساليب بلاغية مختلفة، فمنها البليغ، ومنها الظريف، ومنها الحسن التخلص، ومنها المسكت، ومنها الحكيم، ومنها الذكي، ومنها الهازل، ومنها الساخر... إلى آخره من الأساليب البلاغية، ومنها ما يجمع بين أسلوبين أو أكثر.

فمن أمثلة النادرة البليغة، وهي التي يستعمل فيها وجه من أوجه البلاغة لتحسين اللفظ أو المعنى كالكناية أو التعريض أو التلميح أو التورية أو الاستخدام... إلخ نادرة «المختار بن حامدن الديماني الذي وفد عليه فيه ولد أنما بن أحمدو بن التاه والمختار بن امود الديمانيين بالمدينة المنورة بعد مضي وهن من من الليل وأنا معه، فذهبت أبحث لهم عما يتعشون به بأحد المطاعم فلم أجد إلا الدجاج فأحضرته، والدجاج في عرف أهل ذلك البلد لا يعد إكراما للضيف لتيسره ورخصه، فلما أخبرت المختار بأني لم أجد إلا الدجاج قال لي: قدمه إليهم، ثم قال لهم: «طعام المؤمن ما وجد»، وأردف قائلا: وما هنا نافية»، جاعلا لما هنا إضافة لمدلولها الموصولي الأصلي المعروف في هذه المقولة المشهورة مدلولا نافيا، وهو أنه لم يوجد في هذا الوقت المتأخر طعام مناسب يقدم إليهم.

ومن أمثلتها نادرة «فتيان من أولاد ديمان الذين صادفتهم عجوز كانت تقصد دار الشباب فتجاوزتها دون أن تفطن، فسألتهم: أين دار الشباب؟ فقالوا لها: نعتقد أنك تجاوزتها»، مجيبينها على طبق سؤالها، بينما يقصدون أنها تجاوزت سن الشباب وأصبحت عجوزا.

ومن أمثلة النادرة الظريفة، وهي التي تدل على لطافة صاحبها وكياسته وحسن عبارته، نادرة «ابابه بن الفظيل الديماني مع اللص الذي ضربه وسلبه وبالغ في إذايته

وانصرف عنه، ثم عاد إليه فقطع نباطة تمائمه، فقال له بأبه: "هذا اص شنه معناه" (=هذا التصرف الجديد ما معناه؟)، فضحك اللص وأرجع إليه كل ما سلبه».

ومن أمثلتها نادرة «الديماني الذي غضب عليه رجل، فأخذ يشتمه ويتوعده، وهو ماد إصبعه إلى وجهه، فقال له الديماني: رد عني إصبعك، فظن الرجل أن الديماني يهدده بذلك، فقال له: خوفا مماذا؟ فقال له الديماني بنبرة هادئة: خوفا من أن تعور عيني».

ومن أمثلة النادرة الدالة على حسن التخلص، وهو الرد بجواب حسن يتخلص به الديماني من مأزق الموقف، نادرة «المختار بن حامدن الديماني الذي كلف سكرتيرين معه بكتابة رسالة إلى الوزير، فكتب أحدهما في مقدمتها: إلى فخامة الوزير بتاء مبسوطة، فقال له زميله: تاء فخامة مربوطة، فجادله في ذلك ساعة، ثم قررا أن يسألا المختار، فأتياه فقال له أحدهما: أنا كتبت فخامة بتاء مبسوطة وهذا يزعم أنها مربوطة، فأينا الصادق؟ فقال المختار: لدي رأي آخر وهو أن تكتبا: إلى معالي الوزير».

ومن أمثلتها نادرة «الديماني الذي سأله قوم خطب إليهم رجل من أولاد ديمان بالحلف بنتهم، وقال لهم: إنه من أولاد ديمان، فأرادوا أن يتحققوا من دعواه فاستدعوا ديمانيا يعرفونه، فلما جاءهم وجد معهم الخاطب، فقالوا له: هل هذا الرجل ابن عمك؟ فقال: هو أقرب من ذلك».

ومن أمثلة النادرة المسكتة، وهي التي يرد فيها صاحبها على محاوره ردا مسكتا، نادرة «محمد الحسن بن محمذن فال بن أحمينَّ الديماني الذي دخن بقرب رجل، فقال له: ما حملك على استعمال هذه الخبيثة المنتنة؟ فقال: أتمرن عليها لئلا أجهل على مستعمليها».

ونادرته حين رآه رجل فرحا، فقال له: «ما لي أراك فرحا بطرا؟ فقال: لئلا أتضايق من أي إنسان فرح».

ومن أمثلتها نادرة «الديماني الذي كان يعمل في الخارج، ورجع منه بمال جزيل، فالتقى بأحد أصدقائه، فقال له صديقه: "أعطيني فظه انشغلها لك" (=أعطني نقودا أشغلها لك)، فقال له: "الفظه ما اتكوس" (=النقود لا تعاني من البطالة)».

ومن أمثلة النادرة الذكية، وهي النادرة التي تدل على ذكاء صاحبها وقدرته على استثمار ذكائه بكياسة في المواقف التي يحتاج فيها لذلك نادرة «محنض بابه بن أمين الديماني الذي قدم إلى قوم ليفصل في تركة لهم كثر فيها الخصام، وكانت فيها إبل ينبغي تقسيمها بين الورثة، فجاء محنض بابه إلى الخيمة المهيأة له فجلس في وسطها، وجلس أحد الطرفين المتخاصمين عن جنوبه والآخر عن شماله، فلم يزل بهما حتى أذعنا لمقاله ونزلا على حكمه، ثم أراد أن يقسم الإبل دون أن يبرح مكانه، فأمر بالإبل فجمعت في واد، ثم استدعى ممثل الزوجة التي لها الربع، فقال له: اذهب إلى الإبل فاختر منها ربعا وميزه عن بقية الإبل وعد إلي، فذهب الرجل فاختار ربعا كما يريد دون أن يتدخل محنض بابه أو يترك أحدا يتدخل في اختياره ورجع، فقال: اخترت ربعا، فقال له محنض بابه: وأين جعلته؟ قال: جعلته في المكان الفلاني، فقال له: وأين بقية الإبل؟ قال له: في المكان الفلاني، فقال له محنض بابه: دع هذا الربع، واذهب واختر ربعا آخر على اجتهادك وامض به، فذهب الرجل وفعل ذلك، فأمر محنض بابه بأن يُرد الربع الأول على الإبل بعد مضي الرجل بالربع الثاني، حيث عرف محنض بابه أن الرجل إذا ترك له اختيار الربع الأول والمضي به قد يختار كرائم الإبل ويترك ما سواها فيكون في ذلك إجحاف ببقية الورثة، وأن هناك طريقة لتفادي ذلك غير طريقة الذهاب إلى الإبل والوقوف عليها والتعب في تمييز أصنافها، وهي أن يترك الرجل يختار الربع الأول، ثم يأمره باختيار ربع ثان، فيكون الثاني بلا شك دون الأول وفوق الثالث والرابع في الجودة، فإذا ذهب به كان ما أخذ عدلا، ثم إذا رُد الأول في الجودة على الثالث والرابع اللذين هما دون الثاني في الجودة نزلت الإبل الباقية عن مستوى الأول وارتفعت عن مستوى الثالث والرابع فكانت بمثابة الثاني الذي ذهب به الرجل في الجودة وتحقق العدل بذلك دون أن يحتاج محنض بابه إلى مغادرة مكانه أو مكابدة تمييز الإبل. وكان في الأخير هناك أخان من الورثة لهما نفس النصيب أحدهما غائب، فقال محنض للحاضر منهما: اذهب واقسم ما بقي بينك وبين أخيك، ففعل، فقال له محنض بابه: أين جعلت نصيبك؟ فقال: في المكان الفلاني، فقال له: وأين جعلت نصيب أخيك؟ فقال: في المكان الفلاني، فقال له محنض بابه: خذ أنت نصيب أخيك الغائب، واترك له نصيبك. أمره بذلك لأنه إن كان قسم الإبل بعدل فلا فرق بين

القسمين، وإلا كان إيثاره لأخيه الغائب على نفسه أولى من إيثاره لنفسه».

ومن أمثلتها نادرة «الديماني الذي كان معه اثنان يلعبان لعبة "اصرند" (=ظامت) فغلب أحدهما وأرادا أن يلعبا لعبة جديدة، فهم المغلوب أن يبدأ باللعب على عادة أهل "اصرند" في ذلك، فأبى الغالب وقال: ليس من العدل أن يكون المغلوب في كل مرة هو من يبدأ اللعبة الجديدة دون الغالب، مع أن البادئ يربح نقطة على حساب غيره؟ فقال له الديماني: بل هو من العدل لأن الغالب هو آخر من لعب في اللعبة المنصرمة».

ومن أمثلة النادرة الحكيمة، وهي التي تدل على حكمة صاحبها وتبصره ورزانته نادرة «عبد الرحمن بن التاه الديماني الذي كان تاجرا بالسينغال، وكان إلى جانبه تاجر آخر من البيضان من قبيلة أخرى، فاتفق أن كلا منهما ذهب في الصباح إلى السوق فاشترى برميلا من زيت الطبخ، ووصل برميل الديماني قبل برميل جاره، فشرع يبيع منه للزبناء الذين تجمهروا لشراء حصتهم اليومية منه، فبينما هو كذلك إذ رآه جاره فظن أن البرميل برميله وأن شركة التموين أوصلته إلى الديماني غلطا، إذ لم يعلم بأن الديماني اشترى بدوره برميلا، فجاء مسرعا إليه وسحبه من تحت يديه: قائلا: هذا البرميل لي اشتريته من الشركة هذا الصباح وقد أوصلته إليك بالغلط، وأخذ يجره إلى دكانه، فتبعه عبد الرحمن وأعطاه ثمن ما باع منه قبله. وبينما الرجل مستغرق في بيع زيت برميل الديماني إذ جاءه مندوب الشركة يحمل برميله، فلما رآه انتبه إلى أنه أخطأ في حق الديماني، وأحس بالخجل، فقام إليه مسرعا وقال له: لم لم تخبرني بأن البرميل لك وليس لي؟ فقال له الديماني: لم تسألني».

ومن أمثلتها نادرة «فتى أولاد ديمان الذي سافر مع صهره، وكان لذي صهره صرة دراهم في جراب يحمله على ثور له، فلما كانا بالطريق، تفقد الشيخ الصهر الصرة فلم يجدها، فبحث عنها على أثرهما دون جدوى، ولم يشأ أن يسأل عنها الفتى كفاحا، فقال له: يبدو أننا لن نكمل سفرنا وعلينا أن نرجع، ففهم الفتى أن الشيخ أضاع صرة دراهمه التي كان يريد أم يشتري بها الميرة لأهله، فقال له: بعني الثور، فباعه له على أمل أن تتسنى له أن مواصلة سفره شراء ما كان يريد من الميرة، فقام الفتى إلى الثور ونحره، وعمد إلى جوفه فشقه واستخرج منه صرة الدراهم ودفعها إلى

صهره، فتعجب صهره من ذلك، فقال له: قد علمت أنك ما طلبت الرجوع إلا لأنك التمست مراهمك فلم تجدها، وقد علمت أنها لم تخل من أحدنا: أنا وأنت والشيره فلذلك فعلت ما فعلت».

ومن أمثلة النادرة الهازلة، وهي التي تبدو وكأنها غير جادة في ظاهرها، غير أنها تحتفظ بعمق دال على جدية تختبئ خلف ذلك الهزل نادرة «عيسى بن الكوري بن قطرب الديماني الذي كانت لديه ناقة يريد أن ينحرها، فلما قام إليها لنحرها هو وجماعة من قومه أقبل إليهم رجل ضخم كانوا يستثقلونه فقال لهم: دعوني أنحرها لكم، فقال له عيسى: نخاف أن تموت».

ومن أمثلتها نادرة «الديماني الذي كان نازلا عند الترجمان ولد ابن المقداد باندر، وكان رجلا كريما فكان بعض رواد اندر من البيضان يرتادون داره للغداء فيها، فلاحظ الديماني أن بعضهم عندما يدخل يسأل عن ولد ابن المقداد كأنه يقصده ثم يجلس فإذا طعم انصرف ولو قبل عودة ولد ابن المقداد من عمله، فعرف أنه في الحقيقة إنما يقصد الطعام، فدخل عليه مرة فوجده نائما فأيقظه وسأله عن ولد ابن المقداد، فقال له الديماني: ما زال على النار».

ومن أمثلة النادرة الساخرة، وهي التي ترد للتهكم أو للاستخفاف أو التقريع، نادرة «الكوري ضال الديماني بشأن امرأة تشاجرت مع زوجها شجارا لا يناسب وأخذت منه حمارا كان لها على وجه غير مستحسن، فلما جاءت، سأل أحدهم: "اش جابت افلانه؟" (=بم جاءت فلانة؟) فقال له الكوري ضال: "جابت احمار" (=جاءت بحمار)». وهي عبارة من عبارات لعبة "السيك" تدل على أن صاحبها فعل فعلا أفسد به كل ما سبق له تحقيقه في اللعبة من أفعال حسنة.

ومن أمثلتها نادرة «فتيان أولاد ديمان الذين جاءهم رجل عند البئر -وهم يسقون- وهو راكب بقرة، وكانوا يستثقلون ذلك جدا ويحبونه، فعمد أحد مواليهم خلسة إلى البقرة فنخسها فسقطت وسقط صاحبها في الوحل، فغضب غضبا شديدا من ذلك، فقالوا له: ما يغضبك؟ قال لهم: نخس بقرتي، فقالوا له: دونك بقرنا هذا كله فانخسه».

وتتميز النوادر الديمانية على اختلاف توجهاتها بالتهذيب اللفظي، فالنادرة

الديمانية حتى وإن جرحت مشاعر من هي موجهة إليه، فإنما تفعل ذلك بفكرتها أو بمدلولها لا بلفظها، وكل نادرة جارحة باللفظ فهي ليست نادرة ديمانية. وحتى تلك التي تجرح المشاعر بفكرتها أو بمدلولها فإنما يكون ذلك منها بصورة غير مباشرة.

كما تتميز النوادر الديمانية، لاسيما تلك الهازلة منها، ببعدها الفكاهي البين، لأن الهزل في النادرة الديمانية له وظيفتان: الأولى إيصال رسالة معينة يريد الديماني إيصالها من وراء نادرته، والثانية إضفاء جو من المرح على الحياة العامة للديمانيين، حيث يعتبر المرح ذا أهمية قصوى في حياة أولاد ديمان، فهو فضلا عن كونه نوعا من حسن الخلق الذي يطالب الديمانيون به أنفسهم تعبيرا منهم عن التزامهم بمبدأ "تلباگ الأمور" (=تهوين الأمور) مبدأ الديمين الأبرز، حيث يحتاج "تلباگ الأمور" (=تهوين الأمور) إلى السيطرة على ما تثيره التجاوزات التي يتعرض لها الديماني من المشاعر السلبية وتعويضها بمشاعر إيجابية من أهم وسائلها المرح المزمن.

كما أنه للنوادر الديمانية الهازلة دور تثقيفي وتربوي نبه عليه الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا في خاتمة نظمه لنوادر هزل أولاد ديمان، مشيرا إلى أن هذه النوادر ذات فوائد جمة، نظرا لما تنطوي عليه من إشارات وكنايات واستعارات، ولما يكتسبه حاضرها أو سامعها منها من علوم المعاني والبيان والبديع، إضافة إلى كونها وسيلة لتعليم المرء كيف يتجنب سلوك الثقلاء، ويتخلق بأخلاق الظرفاء، ويتعلم الحلم والحيل والأدب والفهم، وطرق الجدل[1].

وليس تنوع النوادر الديمانية بمختلف أصنافها واستمرار إنتاجها إلا دليلا على أهميتها لدى أولا ديمان -وغيرهم أيضا-، كما أن كثرة أصحاب هذه النوادر واختلاف مدارسهم على امتداد العصور ليس إلا دليلا على الحنين غير الواعي من الديمانيين لمواصلة إنتاج نفس النمط من الأبطال الذين سبق أن أنتجهم مجتمع أولاد ديمان، باعتبار أنهم لا يعبرون من خلال نوادرهم عن أنفسهم فقط، بل عن الضمير الجمعي لكل الديمانيين، فهؤلاء الأبطال هم الوسيلة التي من خلالها يظل الديمين حاضرا ومحتفظا بحيويته في المجتمع.

---

(1) الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا، نظم ملح بني ديمان، تقديم وشرح محمد يحيى بن سيدي أحمد، مجلة الوسيط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ع4، 1993، ص10-39.

ورغم تعدد أصحاب هذه النوادر وصعوبة حصرهم، فإن أشخاصا معينين منهم يستحقون أن يتوقف عندهم باعتبارهم روادا متميزين، لكل منهم اتجاهه الخاص في هذه النوادر التي بدأت بواكير ما وصلنا منها تتبلور في القرن الثالث عشر للهجرة، حيث يبدو أن حلول اللهجة الحسانية محل اللهجة الصنهاجية أضاع علينا جل ما أنتجته الأجيال الأقدم من أولاد ديمان من النوادر.

ومن هؤلاء الأشخاص:

1-بابه فال بن المختار بن محمذن بن أحمذن يحيى الديماني[1]:

يمكننا أن نسمي مدرسته في النوادر بالمدرسة القيمية، حيث إن بابه فال كان يستغل ظرافته للحفاظ على القيم الديمانية والتنبيه إلى المسلكيات التي لا تلتزم بالخط الديماني، فاتجاه مدرسته قيمي واقعي مبني على رصد الواقع ونقده.

فمن نوادره في هذا المجال أنه «وجد جماعة في مجلس يتحدثون في شأن إبلهم وما جرى لهم من أحوال معها، وحيث إن هذا الحديث غير مديمن باعتبار أن أولاد ديمان لايتحدثون عن شؤونهم مع ممتلكاتهم، فقد أراد بابه فال أن ينتقد تصرفهم ذلك، فلما أصبح تعلق بذنب جذعة إبل يملكها وظل يدور ويجري وراءها حتى تمزقت ثيابه، وتعب، فلما رجع سألوه لماذا فعل ما فعل؟ فقال لهم: أريد أن يكون لي في شأن الإبل ما أتحدث به في مجلس كالمجلس الذي كنت فيه البارحة».

ومنها أن «أمه سقطت في حفيرة كانوا يتخذونها لتصفية محصول حصاد بذور البطيخ من الغشاء الملاصق لها، يطرحونها فيها أياما حتى تمتص التراب الغشاء – فأعظم له أخوه المكافأة على ألا يخبر بذلك أحدا، فسكت بابه فال حتى إذا أصبح وصلى بالمسجد، التفت إلى جماعة الحي فأخبرهم الخبر، فلامه أخوه في ذلك، فقال له: "نختير ظحكت ديماني" (=أفضل ضحكة ديماني)» أي على مكافأتك.

ومنها أن «بنتا له تأيمت مع أنها كانت ذات سمن وجمال، فرامت يوما أن تمر بين عمودين فلم تستطع لسمنها، فقال لها بابه فال: "ذاك كامل منفوش" (=كل ذلك

---

(1) ذكره ابن حامدن في جزء أولاد ديمان، ص331، وقال فيه الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا في نظمه لنوادر هزل أولاد ديمان:

وقصب السبق بذا المجال مسلم فيه لبابه فال.

قليل الجدوى)»، أي أنه لا جدوى من سمنها وجمالها الذي لم تحصل به على زوج.

وقالت له بنته مرة: «علمني أفخاذ أولاد ديمان فإني لا أعرف أفخاذهم، فقال لها: "حتى هوم" (=وكذلك هم)»، إشارة إلى أنها لم تتزوج.

ومن كلماته المشهورة قوله لرجل كان يتسابق معه: «أنت سبقتني إلى الأمام وأنا سبقتك إلى الوراء»، وقوله: «أحوج ما يكون الرجل إلى سرواله ساعة يريد أن يلبسه».

2-محمذن ميلود بن القاضي الديماني[1]:

يمكن تسمية مدرسته في النوادر بالمدرسة التهذيبية، لأنه كان يسعى إلى تهذيب غيره بواسطة نوادره. فمن نوادره مثلا أنه: «كان بعدما أسن راكبا على عصمة فوق ثور لا يستطيع أن يمسك عليها نفسه، فضلا عن أن يمسك شيئا آخر، فأتاه ثقيل بعجل وطلب منه أن يمسكه على العصمة، فاعتذر له فلم يقبل منه العذر، فأخذ العجل كارها لأخذه، فنفر الثور فأسقطه ووقع العجل عليه، فأتى الثقيل ليرفع عنه العجل، فضم محمذن ميلود العجل إليه في الحشيش والشوك والتراب الحامي، ليريه أن إصراره على حمل العجل هو الذي تسبب له في السقوط».

ومن نوادره: «أن رفيقا له دخل في مشاجرة، فأستنجد به، فاعتذر له بالتعب والسأم»، عتابا له على التشاجر مع الغير.

ومنها: «أن ثقيلا طلب الركوب على جمله، فقال له: أوافق على شرط أن تمسك بعض ثقلك».

ومنها: «أنه كان عند رجل اسمه عثمان، وعند عثمان كتف شاة مشوية قد خبأها عنه، ومحمذن ميلود عالم بها، فجاء رجل وسلم وقال: من هنا؟ فقال له محمذن ميلود: هنا أنا وعثمان والكتف».

3-حبذا بن أمينو بن النفع بن هاد الأمين الديماني[2]:

---

(1) ذكره ابن أسمه في ذات ألواح ودسر، ص150. وقال فيه ابن الشيخ سيديا:

ومـــنهمُ محمـــذن ميلـــود   ممن ظرفـــاء عـصره معـــدود.

(2) ذكره ابن حامدن في جزء أولاد ديمان، ص137. وقال فيه ابن الشيخ سيديا:

وحبـــذا المبـــدع للبقـــال   بغالـــه بديهـــة المقـــال.

كانت له اليد الطولى في اللغة، وحضور البديهة. يمكن تسمية مدرسته في النوادر بالمدرسة البديعية، حيث كان يركب كلمة من كلمتين ويسميها بغلا -البغل نتاج بين الفرس والحمار-، وكانت له بغال بديعة يرسلها ليعمي الكلمة التي يريد أن يقول عن سامعيها، أو يدس في معناها معنى آخر يريد قوله.

من نوادره أنه: «نزلت عليهم "أصريه" (=وفد) من سبعين رجلا، فأعدوا لهم طعاما كثيرا، فأكلوه كله، فاستثقل هو ذلك منهم، إذ لم يكن من عادة أولاد ديمان أن يأتي الضيف على جميع ما يقدم إليه، فلما رجع إلى أهله سألوه عن عدد هؤلاء الضيوف فقال: شبعون»، بدل أن يقول: «سبعون»، إشارة إلى كثرة أكلهم.

ومنها أن «رجلا ارتحل بزوجته على جمل "ماه مذوب" (=غير ذلول)، فنفر، فأراد تأديبه بين أصهاره، وهذا مما لا ينبغي عند أولاد ديمان، فقال له حبلذ: «ترك الأذْب مع الأحبة أذَب» بتسكين الدال الأولى، أخذه من القول المعروف: «ترك الأدَب مع الأحبة أدَب» بفتح الدالين.

ومنها «أن امرأة يقال لها اخديجه أتاها صداق بنتها ففرقته بين الناس على عادتهم في ذلك، ثم إن امرأة أخرى أتاها صداق بنتها فلم تفعل به ما فعلت اخديجه، فقال حبلذ: "أصل ماه اخديجه وانكسمت" (=بالتأكيد أنها ليست خديجة وانقسمت)». وأصل هذه العبارة مثل يقوله حساني يقوله الناس لكنه بالحاء: "أصل ماه احديجه وانكسمت"، وهي ثمرة البطيخ.

ومنها «أن رجلا طلق زوجة له اسمها سالمًا -بتنوين الميم-، واتفق أن سافر يوم الاثنين فارتجعها، فقال حبلذ: «من سافر بالاثنين رجّع سالمًا» بتشديد الجيم، أخذه من الأثر المتداول: «من سافر بالاثنين رجَع سالمًا[1]» بتخفيف الجيم.

4- محمد فال بن امخيطرات بن محمود الله الديماني[2]:

يمكن أن نسمي مدرسته في النوادر بالمدرسة العقلية، لسرعة بديهته، وحضور عقله في المواقف الحرجة، ولاشتهاره بالأجوبة البليغة المفحمة. كان من خاصة أمير

---

(1) يعزى هذا الأثر إلى علي بن أبي طالب.

(2) ذكره ابن حامدن في جزء أولاد ديمان، ص 96. وابن الشيخ سيديا بقوله:

ومنهمُ أيضا سليل امخيطرات وهو الذي قد فاز بالمصطحبات.

التراززة وأصحابه.

من نوادره: «أن جماعة من علماء إحدى قبائل الزوايا جاءوا إلى الأمير، وقالوا له: لم تقدم علينا علماء أولاد ديمان ونحن أعلم منهم، وإن شئت فادعهم إلى المناظرة، فأينا غلب كان أولى بك دون الآخر، فقال له ابن امخيطرات: أنا أكفيك أمرهم. فلما كان اليوم الذي ضربوه للمناظرة وجاء علماء تلك القبيلة واجتمعوا في المسجد، كتب لهم ابن امخيطرات ما صورته "ب"، وطلب منهم قراءته، فجعل كل واحد منهم يقرأه على هيئة حرف معقود أو منفصم، بالجيم تارة، وبالفاء تارة، وبالباء تارة أخرى، وابن امخيطرات يقول لهم: ليس هو كذلك، حتى عجزوا فقالوا له: اقرأه لنا أنت، فقال لهم: هذا شاء جعلت أنا نقاطه أسفله، فسقط في أيديهم وضحك الناس».

وكان مشهورا بـ«"المصطحبات" (=النظائر)» التي كان يجمع فيها أمورا مختلفة إلى أمر معين يريد الحديث عنه تقول: «"خالك شي يخلع: حد عظو احنش، ولل شاف السبع، ولل النگ افلان" (= هناك شيء مفزع: من لدغته حية، أو رأى أسدا، أو لقي فلانا)».

5-محمذن بن آبود بن الأمين بن أشفغ مينحنه الديماني[1]:

مشهور بظرافته ونوادره، له نظم مليح في طبع أولاد ديمان[2]. يمكن تسمية مدرسته في النوادر بالمدرسة البيانية. وهو صاحب المثل المشهور «"حزما مني كمال ول آبود" (=حزما مني كما قال ابن آبود)»، وقصته: «أنه كان في سفر مع أحد ممن يدعون الصلاح والكرامات، فاتفق أن نزلا عند حي، فأراد الرجل الذي يدعي الصلاح أن يستميل أهل الحي، فحدثهم عن صلاحه وكراماته حديثا، ثم قال لهم: علامة ذلك أنكم إذا أعددتم "الزريگ" (=المذق) فلا تحلوه، بل ضعوه جانبا فإنه سيحلو بنفسه، ففعلوا، ثم تذوقوه بعد مدة فإذا هو حلو فصدقوه، وأهدوا لهما هدايا كثيرة، وأصبحا مرتحلين، فلما كانا بالخلاء أرادا أن يعدا "الأتاي" (=الشاي)، فالتمس

---

(1) ذكره ابن حامدن في جزء أولاد ديمان، ص 85، وذكره عبد الله بن امين في عقود الجمان معتبرا أن صاحب النوادر ابنه محمذن، ولعل لكل منهما نوادره.

(2) راجع الملاحق.

الرجل قطعة سكر كانت في زادهما فلم يجدها، فسأل عنها ابن آبود فقال له: تلك جعلتها أنا خفية في قدح "الزريگ"، فقال له: لم فعلت؟ هلا تركته ليحلو بنفسه؟ فقال له ابن آبود: حزما مني».

6-المختار بن ألجد الديماني[1]:

صاحب الخيال المبدع و"التركيبات" (=المسرحيات) المشهورة. يمكن اعتبار مدرسته في النوادر بالمدرسة النقدية. برع في توجيه النقد إلى الأشخاص والمجتمعات عن طريق "تركيباته"، واخترع في ذلك المجال "تركيبات" دالة طريفة تلقاها الناس بالقبول، وأقبلوا عليها يتداولونها فيما بينهم.

من أشهر "تركيباته": "تركيبة" يوم القيامة التي قال فيها: «إنه إذا كان يوم القيامة ينادي على القبائل قبيلة قبيلة، فينادي أولا على قبيلة (بني فلان) فتقول لهم الملائكة: ما فعلتم فيما قال لكم ربكم؟ فيقولون: فعلناه وزدنا عليه، فتقول لهم الملائكة: أتدعون الزيادة على ماقال لكم ربكم، اذهبوا إلى النار. ثم ينادى على قبيلة (بني فلان) فتقول لهم الملائكة: ما فعلتم فيما قال لكم ربكم؟ فيقولون: فعلناه لم نزد عليه ولم ننقص منه شيئا، فتقول لهم الملائكة: أتدعون الكمال فيما قال لكم ربكم، اذهبوا إلى النار. ثم ينادى على أولاد ديمان فتقول لهم الملائكة: ما فعلتم فيما قال لكم ربكم؟ فيقولون لهم: فعلنا منه ما ظهر لنا أنه يمكننا أن نفعله منه، فتقول لهم الملائكة: لا تعرفون ماذا فعلتم، اذهبوا إلى النار».

ولا تكاد نوادر رواد أولاد ديمان الآخرين من أمثال: بابه بن الفظيل، وحامدن بن اكريك، زالكوري ضال، واندداه، ومحمد محمود بن محمودن، وغيرهم، على تنوعها واختلاف أصنافها تخرج عن هذه الاتجاهات.

وفيما يلي نماذج متنوعة من النوادر الديمانية:

– «كان رجل منهم ينقل الكتب ويذهب بها إلى رجل آخر يقابلها معه، فأتاه يوما فوجده منهمكا مع جماعة في شأن لهم، فرأى في وجهه أنه كره مجيئه في هذا الوقت، فقال له: "لاهي نمشي إيل انهار أوخر اليوم انبان ماني امقابل شي" (=سأذهب إلى يوم آخر، يبدو أنني لا أقابل شيئا اليوم) وقصد المدلول الآخر لعبارة "ماني امقابل

---

(1) ذكره ابن حامدن في جزء أولاد ديمان، ص 242، وابن أسمه في ذات ألواح ودسر، ص151.

شي" (=لا أساوي شيئا)».

- «ولقي رجل منهم رجلا بدينا سمع عن الديماني أمرا لم يعجبه، فقال له: "فشيتني" (=جئتني دون ما كنت أظن)، فقال له الديماني: "امركت لك، افشي" (=صرت مفيدا لك)».

- وصلى رجل منهم في مسجد فسرق حذاؤه، فلما أراد الخروج التمسه دون جدوى، فرآه أهل المسجد وهو كذلك، فسألوه: ما باله؟ فقال لهم: "انعايلي إبانو انخفاو امع انعايل حد ابلا انعايل" (=يبدو أن حذائي تبادل غلطا مع حذاء رجل لا حذاء له)».

- «وجاء رجل فأناخ عند خيمة منهم، وزعم أنه شريف، فلما بلغ ذلك أهل الحي قال أحدهم: اسألوا هذا الشريف من أي قبيلة هو».

- «وسكن فقير منهم في حي، فلاحظ أن أهل الحي لا يأبهون به إذا قدم، ولا يشمتونه إذا عطس، وإذا سأل لا يجيبونه، وفهم أن ذلك إنما هو بسبب فقره. ثم وجد مالا فاشترى منه حمارا، فعطس بعد ذلك فقال: الحمد لله أنا اشتريت حمارا»، يريد أن يقول لهم: حان أن تشمتوا لي فقد صرت غنيا.

- «وجاءهم رجل فوجدهم يتدافعون إمامة الصلاة فيما بينهم، فقال لهم دون أن يسلم عليهم: هذا التدافع ليس من السنة، ووقف أمامهم وكبر، فلم يصلوا بصلاته، وتركوه حتى أنهى صلاته وقال: السلام عليكم، فقالوا له: وعليكم السلام» تنبيها له إلى أنه لم يسلم عند قدومه.

- «وجاءهم رجل من الثقلاء في زمن كثر عليه غشيان "عر" (=الدب) لبلدهم، وقال لهم: اجعلوا لي جعلا على أن أطرد عنكم "عَرّ" (=الدب) الذي أضر بكم، فقالوا له: نحن إلى طرد غيره أحوج». يوهمونه أنهم يقصدون غير الدب من السباع وهم يقصدونه هو.

- «وجاءهم رجل فأقام بين أظهرهم، وكانوا أهل خمول، فجعل يحثهم على إعانته على إصلاح الحرث وزرعه، وهم لا يأبهون له، فلما أكثر عليهم قاموا معه إلى الحرث فأعانوه على إصلاحه، ثم جعل يتعهده، لكن "عَرّ" (=الدب) كان يأتي إلى الحرث بعده فيفسد جانبا منه، فطلب منهم أن يعينوه على "عَرّ"، فقالوا له: دعه فلن

يأكل "عَرْ" إلا رزقه، فلما ألح عليهم ذهبوا معه، فقال لهم: إن لـ"عَرْ" غارين وأريدكم أن تقفوا على فم أحدهما وتصفقوا ليخرج من الآخر، حيث سيجدني في انتظاره، وأنا أكفيكموه. فلما وقفوا بفم الغار وصفقوا خرج "عَرْ" هاربا من الغار الآخر، فعلقت نابه بحزام الرجل فاقتلعه من الأرض وهرب بجره، فجعل يصرخ: أغيثوني، أغيثوني، وهم ينظرون إليه ولا يتحركون، فلما يئسوا من تخلصه من "عَرْ" قالوا: "وساة عَرْ مسكين" (=فعلها الذيب المسكين)» فأرسلوها مثلا.

- «وخطب فيهم فتى ليس منهم، فقالوا له: حتى نمتحن طبعك، فبقي معهم مدة يتطلع بطباعهم، وكانت لأبي المخطوبة جذعة من الإبل، فقال لرجال الحي: أريد أن أسم هذه الجذعة غدا، وغمزهم ألا يمسكوها ليرى ماذا سيصنع الفتى الخاطب، فلما أصبح دعى الرجال لوسم الجذعة، فبلغ ذلك الفتى فجاء مشمرا، لعله يظهر للحي ما ينال رضاهم فيعطونه ابنتهم، فلما أحاطوا بها ردها أبو الفتاة إلى جهة الرجال، فتمايز عنها اثنان منهم فقفزت من بينهما تعدو، فبادر إليها الفتى فتعلق بذنبها، وغاب عن الأنظار وهو يطاردها محاولا السيطرة عليها، فلما كان بعد الظهر، عاد ممسكا بها وقد بلغ به التعب كل مبلغ، وتمزقت ثيابه، وهو يرى أنه أنجز المهمة على أحسن وجه، بينما يرى أولاد ديمان أنه فشل فيها حين قفز بعدو متعلق بذنب جذعة أمام أعين أهل الحي، فخرج والد الفتاة وهو يخاطب بعض أهل الحي من الجهة التي جاء منها الفتى: قولوا له يتركها لم نعد نريد أن نسمها».

- «وسكن فيهم رجل وتطبع بطباعهم حتى ظنوا أنه أصبح منديمنا، فأرادوا أن يمتحنوه، فجعل كلما جاء إلى المسجد للصلاة فغر له أحدهم فاه كأنه مستفهم، فيلتفت إلى الآخر فيجده نفس الشيء، وهكذا، فصبر على هذا أياما، ثم لما طال عليه الأمر ملأ يده من التراب وأرسلها في فم أحدهم، فقال له: "أراتك افهمتني" (=لقد فهمتني)»، إشارة إلى أنه لم ينجح في تدينه.

- «ومر منهم اثنان على رجل كان يقطع عصيا، فسأل أحدهما الآخر: اليوم يوم كم في الشهر؟ فألقى نظرة على العصي وقال له: خمسة وثلاثين، ولم يفهم الرجل ذلك، وانطلقا. ثم إن الرجل لما أراد حمل عصيه عدها فوجدها خمسا وثلاثين، فعرف أنهما كانا يتكلمان فيه وغضب، وجد في أثرهما حتى أدركهما فأخذ بتلابيب

المتكلم، وقال له: أتهزأ بي، ثم جعل يخنقه ويقول له: لا أتركك حتى "تدوس" (=يغمى عليك)، فالتفت صاحبه إليه وقال له: "دوس بالمجله خلين نمشو" (=ليغم عليك بسرعة كي يتسنى لنا الذهاب)».

- «وقدم رجل منهم متطفلا على فتية تحلقوا على مائدة، فحصل ما دفع واحدا منهم إلى أن لطمه فلطخ وجهه بما كان عالقا بها من العيش، فمسحه الديماني وبادر بأكله، ثم قال له وهو يضحك: أعد بها إن الكريم عائد».

- «وجاء رجل منهم به مرض بإحدى عينيه إلى طبيب، فأخبره بمرض عينه، فبنى له الطبيب خيمة لمعالجته، وأغلقها عليه من كل ناحية، ولما أراد أن يعالجه غلط فعالج عينه السليمة، ثم قال له: لا تخرج للرياح، حتى آتيك من الغد، فلما أصبح جاءه فقال له: كيف حال عينك؟ فقال له الديماني: العين التي جئت بها مريضة ما زالت تنتظر العلاج، والعين السليمة التي عولجت بالأمس بدأت تسترجع عافيتها ولله الحمد».

- «وتشاجر رجل منهم لم يكن أصيلا فيهم مع زنجية في السينغال، فأصابت أضراسه بحجر فسقطت إحداها، فجاءهم رجل فقال لهم: إن رجلا يدعي فلانا من أهل خيامكم تشاجر مع زنجية وأسقطت أضراسه، فقال له أحدهم "ذلي شون امن أهل الخيام ابلا اضروس" (=من هنا من أهل خيامنا لا أضراس لهم)».

- «ونزل ضيف على امرأة منهم فلم تجد ما تضيفه به، وكان للضيف نعلان كبيرتان مستقلتان من جلد بعير غير مدبوغ، فتركته حتى نام فعمدت إليهما وشوتهما جيدا، ودقتهما دقا ناعما، وصبت عليهما دهنا وخلطته معهما، ثم قدمتهما للضيف، فأكل حتى شبع، وقدمت له الشراب فشرب، فلما أراد الانصراف التمس نعليه فلم يجدهما، فبالغ في التماسهما، وجعل يسألها عنهما وهي لا تزيد على قولها: "ألا ثم" (=إنهما لثم) حتى يئس منها وذهب». وصار يضرب بقولها هذا المثل فيقال: "أل ثم كيف انعايل الصيد" (=إنه ثم كنعلي الرجل).

- «وكان فيهم فتى "ماهو مطابق" (=تنقصه دماثة الطبع)، فعمد إلى بقرة من بقرهم، فحل وثاقها وقال إنه ذاهب بها إلى المحظرة، فاستدعاه أبوه، فقال له ما تريد؟ قال: أريد أن أذهب بهذه البقرة إلى المحظرة لأدرس وأصبح عالما، فقال له أبوه:

"هذا الفريك أفضل هو الحد مطابق من حد عالم" (=هذا الحي أحوج إلى رجل دمث الطبع منه إلى رجل عالم)».

-- «ونزل فتيان في خيمة لرجل منهم، ولم يكن ذلك من عادتهم فقد كانت العادة تقضي بأن ينزل الضيف في خيام الأطراف، فاستثقل ذلك منهم، فلما كان بالليل وحلبت ماشيته دخل إلى خيمته موليا الفتيان ظهره، يريهم أنه لم يرهم ولم يعلم بهم، ثم ملأ قدحا من اللبن وناوله للراعي، وقال له: سمعت أن فتيانا من أمرهم كذا وكذا قدموا إلى الحي، ينبغي أن يكونوا في إحدى خيام الأطراف، فأحضر لهم هذا اللبن»، يريد أن يريهم أن ما فعلوه لا ينبغي.

- «وارتحلت امرأة منهم إلى أصهارها بعاملة لها، ثم إنها اكتشفت أن بين زوجها وعاملتها شيئا، فصبرت على ذلك وسكتت حتى رجعت إلى أهلها، فلما حان وقت عودتها إلى زوجها قالت لأبيها: أريد مكان العاملة عاملا، فلما قدمت به ورآه زوجها تنكر وجعل يسألها عن العاملة، ويعيب العامل، وهي لا تتكلم، فعابه مرة بغلظ الشفتين، فقالت له: "ذاك هو ال غلاه" (=ذلك ما حبه)».

«وكان تاجر منهم قافلا من السينغال ولديه صندوق قد حمل فيه من كل نفيس، فأضاعه في محطة الكوارب، فبحث عنه في كل مكان دون جدوى، فلما يئس منه ركب سيارة النقل المتجهة إلى حاضرة ذويه فصادف أن رأى فيها صندوقه فعرفه، فلم يتكلم، وظل يراقبه حتى وصلوا إلى إحدى الحواضر، فنزل رجل من السيارة وأنزل معه الصندوق، فتبعه الديماني، فلما دخل بيته ولج الديماني عليه البيت وقال له: أريد أن أبيت هنا الليلة حتى يتسنى لي أن أذهب إلى حاضرتنا في النهار، فلما اطمأن بهم المجلس قام الرجل إلى الصندوق وشرع في كسر قفله، فأخرج له الديماني مفتاحه وقال له: هاك مفتاحه، فخجل من ذلك وحمله إليه، فأعطاه الديماني منه هدية».

-- «وكان رجل منهم تاجرا في السينغال مع رجل من قوم آخرين، وكانت عند هذا الأخير فلوس خبأها في مصحفه، فلما حان وقت سفره تفقدها فلم يجدها، فالتفت إلى الديماني قائلا: كانت عندي فلوس في هذا المصحف لم أجدها، فقال له الديماني: كم عددها؟ فسماه له فأعطاه إياه. ثم سافر الرجل فلما وصل الحدود أخرج بطاقة تعريفه فوجد في طيها فلوسه، فندم على ما فعل، فلما جاوز الحدود ذهب إلى دكان

لأولاد ديمان بلكوارب، فأخبرهم الخبر وأراد أن يدفع لهم الفلوس فأبوا، فاحتفظ بها حتى رجع إلى السينغال فأراد أن يردها إلى الديماني فأبى أن يأخذها منه».

- «وكان أحدهم مسافرا وعنده "بيصة" (=قطعة من القماش)، فقال عند أسرة في طريقه، وكانت عند هذه الأسرة "بيصة" من نفس النوع، فلما ارتحل تفقدوا "بيصتهم" فلم يجدوها فظنوا أن الديماني أخذها، فتبعه الرجل حتى أدركه فقال له: "البيصة" التي في متاعك لنا، فأخذها منه، فلما رجع إلى أهله وجدهم عثروا على "بيصتهم"، فاضطر للعودة بها إلى صاحبها، فلما دنا منه ناداه: انتظرني حتى أرد لك بيصتك فقد وجدنا بيصتنا، فقال له الديماني: "هي البيصه أخبارها ما توفَ" (=أما آن لقصة قطعة القماش أن تنهي)».

- «وجاءهم رجل عين موظفا على الهلال الأحمر في بلدتهم، ولم يكن نزيها وكان مع ذلك يكثر من الهيللة بصوت عال، فسئل أحدهم مرة: ما يفعل فلان؟، فأجاب: "ألا ايهيلل" (=يكثر من الهيللة)»، يوهمه أنه يقصد الذكر، وهو يقصد الهلال.

- «وعين عليهم بالمذرذرة حاكم شديد، حامي الوطيس، ثم حول إلى اندر، فلقي منهم رجالا فسألهم عن حال المذرذرة مع الحر، فقالوا له: بردت بعدك الحمد لله»، يقصدون أن المذرذرة عرفت العافية بعده.

- «وعين عليهم حاكم نهم، فكبرت كرشه في فترته عندهم، فجاءهم مرة مغاضبا، وقال لهم: "كنت امكبر فيكم الكرش" (=كنتم موضع ثقتي)، فقالوا له: ذلك ظاهر» يوهمونه أنهم يقصدون ثقته وهم يقصدون كرشه.

- «وجاءهم رجل، وجعل يكثر من الهيللة بصوت عال حتى أزعجهم بصوته، فقال له أحدهم: "يخي تم استغفر ساعة" (=يا أخي استغفر ساعة)». جملة يقولها البيضان لمن أكثر من الكذب أو اللغو.

- «وجاءهم رجل فارع الطول بعيد المطرفقال لهم إن المطر كان شديدا وإن الماء قد بلغ الحقوين، فقالوا له: وأين بلغ الحقوان؟».

- «ولقي أحدهم مسؤولا يبحث عن نوق اشتراها من ثمن عدد من قطع أرض الدولة ضلت عليه، فقال له: "لا يشطنوك إيبل التراب ما تو نمد" (=لا تقلق عليها

قابل الأرض لا تصل».

– «واستدعى مسؤول اختلس أموالا كثيرة على الدولة في مجلس فيه رجل منهم نفسه بأنه كريم لا يأتيه أحد في حاجة إلا قضاها، ولا يسأله شيئا إلا أعطاه إياه، واستشهد الديماني على ذلك، فقال له الديماني: "نشهد عنك ذا الّي فيداك ماه لك" (=أشهد بأن ما في يدك ليس لك)»، يوهم المسؤول أنه يقصد معنى العبارة المجازي فهي كناية في كلام بني حسان عن الكرم، وهو يريد معناها الحقيقي.

– «وجاء بعضهم إلى منزل أحدهم، حيث زوجته وزيرة، فوجدوا الحرس عند باب المنزل، فسألوهم عما يقصدون؟ فقالوا لهم: نقصد جانب المنزل غير المحروس»، يقصدون بذلك الزوج.

– «وأوقف رجل منهم سيارته أمام منزله، فجاءتها سيارة أخرى فصدمتها، فأثرت فيها تأثيرا قويا، فهرع الناس صوب الحادث، وجاء الديماني، فقال له الذي صدم سيارته: "أين الشلاحي انعملو؟" (=ماذا سنفعل؟)، فقال له الديماني: "الاهي انعملوا الفريته" (=سنصلح المكابح)».



خاتمة

يتضح من خلال ما استعرضناه من فصول في هذا البحث بأن النسب في المجتمع البيضاني ما يزال مرتبطا بإيديولوجيا القبيلة وديناميكيتها العصبية أكثر من ارتباطه بتراثها وتاريخها، مما يجعل من الصعب التعرض له بالدراسة والنقد الموضوعيين، كما يتضح من خلاله أن العصبية التي تظهر بفضل تضامن المجموعات القبلية التي تشترك في خطوط قرابية موحدة حقيقية أو مفترضة تمثل آلية القبيلة الأساسية التي تحمي بواسطتها أعضاءها، وإقليمها، وممتلكاتها المادية: (الثروة/ الريع/ الجباية...إلخ)، والمعنوية: (النسب/ الشرف/ السمعة/ ...إلخ).

أما التقسيم الفئوي الوظيفي الذي عرفه المجتمع البيضاني فيتضح من خلال هذا البحث أنه كان يمثل استجابة لأوضاع اجتماعية وثقافية واقتصادية خاصة في هذه المنطقة النائية المترامية، التي ظلت دوما -أو لفترات طويلة- تفتقر إلى سلطان مركزي جعلها تحتاج إلى مثل هذا التقسيم الذي استطاعت بواسطته أن تنتج إطارا يضمن لها ثلاثية (الحماية/ التعليم/ الإنتاج) الضرورية لبقائها واستمرارها وفق نمطها الذي عرفت به. ويتضح من خلاله أيضا أن هذا التقسيم كان سابقا لمقدم بني حسان كما يتضح من الأدلة التاريخية التي استعرضناها في محلها من هذا البحث.

ويظهر من خلال هذا البحث كذلك أن نسق القبيلة في هذا المجتمع الذي يندرج -عموما- في إطار نسق المجتمع الذي يصنف بأنه "مجتمع بلا رئيس" تديره جماعة الحل والعقد، وأن هناك نسقين سياسيين عرفهما المجتمع بدرجة متفاوتة هما نسق الإمارة ونسق الإمامة اللذين لعبت عوامل معينة -تعرضنا لها في هذا البحث- في ظهورهما، ونجاح أحدهما (نسق الإمارة) وفشل الثاني (نسق الإمامة).

وقبل أن نستعرض بالدراسة والتحليل ظاهرة الديمين، استعرضنا السياقات التاريخية والجغرافية والثقافية لأولاد ديمان، مرورا بأهم التحولات التي عرفوها أو عرفها أسلافهم، مبرزين دور التحولات التاريخية والعوامل الجغرافية والخلفيات الثقافية في ظهور هذه الظاهرة.

أما ظاهرة الديمين نفسها فدرسنا مفهومها، مبينين أن الديمين سلوك وليس

انتسابا، قبل أن ندرس تجلياتها من خلال تمظهراتها المختلفة سواء على مستوى الكلام الذي عالجناه في بعديه السوسيولوجي والتداولي، والطبع الذي درسناه في مستوييه التعبيري والسلوكي، والعادات التي استعرضناها في وجهيها الاجتماعي والأنثروبولوجي، مظهرين أن تأثيرات الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية ساهمت في بروز هذه الظاهرة التي تحولت مع الوقت من تعبير عن نسق اجتماعي وأخلاقي ولغوي عام، يمكنه أن يوجد في أي مكان، ولدى أي شخص، إلى هوية خاصة يتبناها الديمانيون، ويعتزون بها، ويحافظون عليها.

ثم تتبعنا مظاهر التجليات المختلفة لهذه الهوية على مستوى كل من كلام أولاد ديمان، وطبع أولاد ديمان، وعادات أولاد ديمان، دون أن نغفل علاقة أولاد ديمان الخاصة بالعيش، وتأثير هذه العلاقة المحتمل على ظاهرة الديمين، وكذلك نوادر أولاد ديمان التي تمثل السجل الذي يحفظ لأولاد ديمان ذاكرتهم، وصورتهم الديمانية في المجتمع، مقدمين فكرة عن أهم مدارس واتجاهات هذه النوادر وروادها، إضافة إلى نماذج عملية من نوادر أولاد ديمان.

وبعد الخاتمة شفعنا هذه الدراسة بمجموعة من الملاحق التي تثري جوانب مختلفة من الموضوع أو تعين على استيعاب أفضل له.





الملاحق

- جرد مختصر لأبرز ما ذكره ابن حامدن في "حياة موريتانيا" من أوصاف علمية ودينية وأدبية عمن ترجم لهم من أولاد ديمان.
- جرد بأهم مواطن إيگيدي.
- نظم الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيديا الأبييري لنوادر هزل أولاد ديمان.
- تذييل المختار بن جنگي اليدالي لنظم الشيخ سيد محمد.
- تذييل نظم الشيخ سيد محمد بأبيات من نظم بابكر بن إمام اليدالي.
- نظم المختار بن جنگي اليدالي في طبع أولاد ديمان.
- نظم بابه بن محمودن الديماني في طبع أولاد ديمان.
- مقطع من نظام محمدن بن آبود الديماني في طبع أولاد ديمان.
- مقطع من نظم المتوسط المبين لمختصر بابه بن أمين الديماني في عادات أولاد ديمان.
- وصف سيد أحمد بن أسمه الديماني لطباع المرأة الديمانية.
- وصف الشاعر الحساني ولد مبارك ولد يدين الكنتي لطباع الشباب الديماني.
- منظومة العيش لبكر (أبوبكر) الديماني.
- نظم الثقلاء لحمدن بن التاه الديماني.
- ألفية أولاد سيد الفالي الديمانيين للمختار بن حامدن الديماني.
- لامية إيدابهم الديمانيين للمختار بن حامدن الديماني.
- المقطات الحية في أولاد يعقوب إنلل الديمانيين للمختار بن حامدن الديماني.
- المقطات الحية في إيشفغشن الديمانيين للمختار بن حامدن الديماني.
- المقطات الحية في أهل أگد الحسن (=الحسن) الديمانيين للمختار بن حامدن الديماني.



جرد مختصر لأبرز ما ذكره ابن حامدن في "حياة موريتانيا"

من أوصاف علمية وأدبية

عمن ترجم لهم من أولاد ديمان

أولاد سيدي الفالي:

- محنض بن ديمان: عالم ورع صالح وجيه رئيس.
- سيدي الفالي بن محنض بن ديمان: علامة مدرس رئيس أغنت شهرته عن وصفه، (ت1047هـ).
- الكوري بن سيدي الفالي: عالم صالح له خوارق عجيبة.
- الفالي بن الكوري: سيد رئيس شجاع سخي عالم. قضى وأفتى وهو ابن 18 سنة.
- حرود بن ميلود بن الفالي: صالح شهير.
- محمذن بن حرود: صالح مكاشف.
- محمذن بن المختار بن الفظيل بن الأمين بن ميلود: شيخ صالح مربٍ مكاشف (ت1315هـ).
- أحمد زروق بن الفالي بن الكوري: رئيس طبيب لبيب.
- محمد فال بن الأمين بن يا محمذن بن أبي حيده بن أحمد زروق: صالح شاعر (ت1291هـ).
- الأمين بن محمد بن سعد بن محمذن بن أحمد زروق: حكيم بليغ.
- محمذن بن المختار بن الحفيد بن الفالي بن أحمد زروق: شاعر أديب (ت1334هـ).
- محنض بابه بن إسحاق بن بدر الدين بن الفالي بن أحمد زروق: صالح بركة ذو كرامات وأنوار (ت1307هـ).
- محمد بن أحمدوفا بن السبتي بن سيدي المختار بن محمذن بن ألمين عمي بن الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي: شاعر أديب.

– الماقور بن الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي: رئيس عالم عامل، ذو صيت طائر صالح تقي. وفي ولده الرئاسة والدرجة والجلادة والصبر وحفظ القرآن.

– الفالي بن المبارك بن الماقور: شهير الصلاح والسيادة والجلادة. وكذلك عقبه.

– المختار بن سيدي الفالي بن محمد بن الفالي بن المبارك بن الماقور: شاعر مؤلف.

– سيدي أحمد بن محمد بن أحمد بن سيدي الفالي بن محمد بن الفالي بن المبارك بن الماقور: سيد ورع أديب شاعر.

– احمدناه بن الكوري بن المختار سعيد بن بويد بن المبارك بن الماقور: نسابة.

– أحمدو النّاه بن محنض بن محمذن بن لعويج بن العادل بن الماقور: صالح ناسك (ت1358هـ).

– محمد الكريم بن الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي: علامة بركة رئيس شاعر.

– المختار بن محمد الكريم: علامة مدرس وجيه.

– محمذن (=بَنيوگ) بن المختار بن محمد الكريم: عالم ورع مدرس (ت1237هـ).

– المختار بن بَنيوگ: عالم ورع مدرس (ت1270هـ).

– محمذن بن المختار بن بَنيوگ: عالم ورع مدرس (ت1291هـ).

– محمذو بن محمذن بن المختار بن بَنيوگ: عالم ورع مدرس، له مؤلفات منها: نظم لنوازل عليش سماه: "ثمرة فتح المالك"، ونظم في الفرائض، ونظم لأسماء الله الحسنى وشرحه. (ت حول 1324هـ).

– محمودن بن محمذن بن المختار بن بَنيوگ: من أهل العلم (ت1333هـ).

– المختار بن محمودن: موصوف بالصلاح والكرامات (ت1389هـ).

– محمد اليدالي محمودن: موصوف بالصلاح والكرامات (ت1400هـ) بن.

– ناصر الدين بن محمودن: موصوف بالصلاح والكرامات (ت1396هـ).

– محمذن بن المختار بن محمودن: من أهل العلم.

– أبو بكر بن سيدي الفاللي بن بنيوگ: صالح مكاشف.

– المحقق بن المختار بن سيدي الفاللي بن بنيوگ: صالح، سمي بالمحقق لأنه حين ولد قال لا إله إلا الله حقا.

– بابكر بن محمذن بن احجاب بن محمد الكريم: عالم نظام مؤلف مؤرخ نسابة. له نظم الحوادث الشهيرة في سني الهجرة، ونظم في الصحابة سماه: "مواهب الوهاب في سيرة النبي والأصحاب"، ونظم في تواريخ وفيات الأعيان من أهل هذه البلاد. (ت1322هـ) عن مائة سنة.

– محمذن بن بابكر بن احجاب: شاعر أديب (ت1303هـ).

– سيدي الأمين بن محمدو بن محمذن ميلود بن حبلل بن هاون بن محمد الكريم: عالم قارئ حاج (ت ليلة الخميس 27 شوال 1379هـ).

– بابا بن محمذن بن الفاظل بن أحمد انهكر بن محمد الكريم: صالح صوفي.

– الأمين بن المختار بن أحمد انهكر بن محمد الكريم: عالم قاض، عاش مائة فأكثر ممتعا بحواسه (ت1327هـ).

– محمذن بن الأمين بن المختار بن أحمد انهكر بن محمد الكريم: صالح عابد.

– الكريم بن محمذن بن الأمين بن المختار: عالم صوفي (ت1366هـ).

– الكوري ضال بن اسويد أحمد بن حبلل بن آمين بن محمد الكريم: ظريف، ذكر في نظم الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا لظرفاء أولاد ديمان.

– إبراهيم بن الكوري بن سيدي الفاللي: رئيس صالح جلد سخي.

– أسمه بن العود بن محمذن بن حميا بن إبراهيم بن الكوري: بليغ ذكي.

– خيليل بن متيليَّه بن سيدي الفاللي: عالم صالح مجذوب متقشف، تحكى عنه كرامات عجيبة.

– أشفغ الأمين بن سيد الفاللي: عالم بحر، وعامل بر، وملك همام، وبطل مقدام، جواد لا يبقي ولا يذر. قال فيه أخوه الكوري: "أعلم الناس أخي الأمين إذا أخذ الكتب وكلامه أصح عندي من كلام اللخمي". ويقال إنه اشترى خزانة من الكتب بمائة ناقة، فقال ديلول الطباري الحكيم إن الإبل لا تعطى عبثا. واعتبر ذلك دليلا على صحة الشريعة الإسلامية فأناب إلى الله تعالى. نسخ بيده كتاب الديباج

المذهب لابن فرحون (ت1101هـ).

– زعلم بن سيدي بن حرمه بن المختار بن المعزوز بن أشفغ الأمين: عالم قاض أديب.

– محمد بن سيدي بن حرمه بن المختار بن المعزوز بن أشفغ الأمين: عالم قاض أديب.

– الكوري بن سيدي بن حرمه بن المختار بن المعزوز بن أشفغ الأمين: عالم قاض أديب.

– بگي بن سيدي بن حرمه بن المختار بن المعزوز بن أشفغ الأمين: عالم قاض أديب. (ت1297هـ).

– البراء بن بگي بن سيدي بن حرمه: علامة قاض شاعر مؤلف. له كتاب الشواهد في مفردات العربية وشواهدها من شعر العرب سماه: "الكلمة وشاهدها"، وله القصيدة التائية التي يحاجي بها أهل عصره من العلماء وعلق عليها ابنه محمدو، ومنظومة في وفود العرب الذين وفدوا على رسول الله ﷺ، ورسالة في شجعان العرب. (ت 29 شوال 1336هـ).

– محمدو بن البراء بن بگي: عالم متفنن مؤلف نظام، له قصيدة في الألغاز الفقهية وشرح عليها. وله استدراك على نظم الغزوات للبدوي المجلسي، واستدراك وشرح على منظومة والده لوفود العرب. وكان مولعا بالغريب في شعره. وله أيضا منظومة في تاريخ وفيات الأعيان المعاصرين له. (ت1362هـ).

– محمدن بن سيدي أحمد بن بگي: صالح حاج (ت1334هـ).

– بابه بن الفظيل بن بوبكر بن أشفغ الأمين: صاحب أظروفات ونوادر وبلاغة.

– زين العابدين بن أشفغ الأمين بن سيدي الفاللي: علامة رئيس همام غني معمر، خبير بعلم الحساب والجبر. له مسائل حسابية استخرجها بنفسه. (ت1185هـ).

– أحمد بن سيدي بن المبارك بن زين العابدين بن أشفغ الأمين: شاعر أديب.

– محمد يگوه بن محمد الادخن بن أحمد ميلود بن سيدي المختار بن أشفغ الأمين: شاعر مجيد أديب مطبوع.

– محمد فال بن امخيطرات بن محمود لله بن أبي الحسن بن المرضف

=المصطفى) بن سيدي الفالي: صاحب نوادر. ذكره ابن الشيخ سيديا في نظمه
نوادر بني ديمان.

– ابن عبدم بن عبد الله بن الأمين بن محنض بن أبي الحسن بن المرضف
=المصطفى) بن سيدي الفالي: عالم مدرس مؤلف شاعر نظام، له تعليق على
لاصة ابن مالك، واستدراك على نظم البدوي المجلسي في الأنساب، ونظم في
مروض عقد به الخزرجية، وتعليق عليه. (ت1268هـ).

– عمر بن ابن عبدم: عالم عامل قاض مدرس، له شرح على المعلقات السبع،
شرح على استدراك أبيه على نظم البدوي المجلسي للأنساب. قيل وله شرح على
صغرى السنوسي. (ت1335هـ).

– محمد بن عمر بن ابن عبدم: عالم ورع حج على طريق البر.

– بابكر بن عمر بن ابن عبدم: عالم ورع حج على طريق البر.

– محمذن بن محمد بن الأمين بن محنض بن أبي الحسن بن المرضف: عالم
شاعر أديب. (ت1329هـ).

– سيدي بن محمد بن الأمين بن محنض بن أبي الحسن بن المرضف: عالم
ورع مدرس. (ت1344هـ عن 96 سنة).

– محمذن بن سيدي بن محمد بن الأمين بن محنض بن أبي الحسن بن
المرضف: عالم أديب. (ت1362هـ).

– الأمين بن سيدي بن محمد بن الأمين بن محنض بن أبي الحسن بن
المرضف: عالم مدرس، من شيوخ العصر.

– محمد عبد الله بن الحسن بن سيدي بن محمد بن الأمين: أحد فتيان العصر
البارزين بمعنى الكلمة.

– جمال بن محمد عبد الله بن الحسن بن سيدي بن محمد بن الأمين: من شباب
العصر البارزين ثقافة وأدبا.

– محمد الباقر بن محنض بن أبي الحسن بن المرضف: عالم صالح، مات في
رجوعه من الحج.

– عبد الله بن أحمد بن محمد الباقر بن محنض بن أبي الحسن بن المرضف:

عالم شاعر (ت1321هـ).

– محمذن بن عبد الله بن أحمد بن محمد الباقر بن محنض بن أبي الحسن بن المزضف: شاعر أديب. (ت1362هـ).

– محمد (ت1376هـ) بن عبد الله بن أحمد بن محمد الباقر بن محنض بن أبي الحسن بن المزضف: شاعر أديب. (ت1376هـ).

– أبو بكر (=بكن) بن محمذن بن أبي بكر بن محنض بن أبي الحسن بن المزضف: شاعر فصيح مقتدر حكيم. (ت1340هـ أو في التي تليها).

– محم بن ابوبا (=الأمين) بن ماهي (=الماحي) بن سيدي الفاللي: غاية في العلم والورع، يلقب بعرقاب العلماء، أي متعقب أقوالهم.

– محمد بن امين بن محمد بن محمذن بن محم بن ابوبا بن ماهي: عالم. (ت1382هـ).

– ابن غازي بن الفاللي بن محم بن سيدي بوبكر بن سيدي الفاللي: من أهل العلم.

– أحمد البزي بن الفاللي بن محم بن سيدي بوبكر بن سيدي الفاللي: من أهل العلم.

– محمد بن محمذن بن أحمد البزي: عالم منفق. (ت1333هـ).

– محمذن بابه بن محمد بن محمذن بن أحمد البزي: من أهل العلم. (ت1333هـ).

– الكوري بن مولود بن المختار بن أحمد البزي: شاعر.

– ابن غازي بن الفاضل بن محم صالح: ذو كرامات مأثورة، مجاب الدعوة.

– محمد فال بن ابن غازي: عالم مدرس جواد مقرئ منفق.

– البناني بن محمد فال بن ابن غازي: عالم خطاط قارئ.

– محمد بن البناني بن محمد فال: شاعر.

– أحمد بن البناني بن محمد فال: عالم (ت1334هـ).

– محمد فال بن أحمد بن البناني: عالم موسوعي شاعر، له نظم فيما اشتهر بالضم من فعل بالفتح، ونظم وشرحه في مرويات الصحابة، ونظم في حقوق المرأة

وواجباتها، وتأليف في سنية القبض، ورسالة "الحكم المبتوت في وجوب الجمعة على أهل أكجوجت"، وملخص في التعريف بموريتانيا.

- **مودي مالك:** عالم صالح.

- **بوتف (=المصطفى) بن مودي مالك:** صالح مكاشف.

- **مينحنه (=محمد) بن مودي مالك:** صالح عالم جليل قاض، خاتمة الأعلام، يرجع إليه عند التباس الأوهام بالأفهام بركة الزمان. سأل السلطان المولى إسماعيل ابن رازكه عن أعلم أهل الگبله فقال: مينحنه.

- **عبد الله بن مينحنه بن مودي مالك:** عالم صالح رئيس.

- **الأمين بن مينحنه بن مودي مالك:** عالم صالح رئيس.

- **محمد بن مينحنه بن مودي مالك:** عالم صالح رئيس.

- **المختار اسلامه بن أحمد بن الدن (=حمدن) بن عبد الله بن مينحنه:** صالح ورع ذو كرامات.

- **عبدو بن الأمين بن إمام بن عبد الله بن مينحنه:** شاعر ظريف (ت1347هـ).

- **شماد بن عبدو بن الأمين بن إمام:** ظريف شاعر. (ت1380هـ).

- **محمدن ميلود بن آبود بن محمدن بن الأمين بن مينحنه:** صاحب نوادر وأظروفات. له منظومة فيما يستقبح في عرف بني ديمان.

- **أحمد بوراص بن مودي مالك:** أنجب فتى في عصره، عمر أوقاته بتدبير الدين والدنيا.

- **الأمين بن مودي مالك:** عالم عامل.

- **محم صار:** من رجال الدنيا والآخرة.

- **باهننه (الأمين) بن يفلج (=الفاللي) بن محم صار:** صالح شهير.

أولاد بابحمد:

- **بابحمد بن يعقوب إنفل بن ديمان:** عالم رئيس. أخرج له أحمد بن دامان كتابا جاءه من أحد نصارى الشواطئ يريد المعاهدة معه على التجارة بالعلك، فقرأه له بابحمد وفسره له. فكان أحمد بن دامان يعطيه نصيبا من الإتاوة التي يأخذ الأمير إذ ذاك على السفن. ثم كان بنوه يأخذونها إلى أن انقرضت تلك التجارة. (ت بعد

1040هـ).

- صبارة بن بابحمد: علامة صالح ذو كرامات.

- أحمد بن صبارة بن بابحمد: رئيس عالم.

- محمذن بن امحمد بن اخيارهم بن أحمد بن صبارة: صالح ذو كرامات (ت حول 1300هـ).

- سيدي أحمد بن أسمه بن الكوري بن محمذن بن امحمد بن اخيارهم: عالم ورع مؤلف. له: "التصحيح الأتم والصلح والسلم في التوفيق بين الصوفية والفقهاء المنكرين عليهم". و"معجم في علم العروض"، و"مقامة في الرد على دين التثليث"، وكتاب في "العلوم الرياضية"، ومكتوب في علم الهيئة سماه: "فتح الباري في رصد الثوابت والدراري"، و"الوضع الجديد لفن المخارج والصفات وما والاهما من فني الفواصل والتجويد"، و"دليل التبيان في ترتيب السور والأحزاب والأثمان"، و"أول خط خط في أن أول الخط النقط"، و"رسالة في حرف الجيم"، و"العشرون صفة الواجبة في حق الله تعالى، والثلاثة الواجبة في حق رسله عليهم الصلاة والسلام"، و"تحذير العامة وأهل الخصوص من إنكار ما جاءت به النصوص"، و"رسالة في مأمورية مدح النبي العدناني ﷺ"، و"جهد المقل في تنبية السدل"، و"اختصار جهد المقل في تنبية السدل"، و"العرف الذكي في تبيين العرف للذكي والغبي"، و"منظومة في التصوف"، وفي "تفسير بعض الأحاديث التي لا يتبادر تفسيرها إلى الأذهان". وعليها شرح خفيف. و"ذات ألواح ودسر"، و"القاموس المحيط الوفي بأحكام علمي العرض والقوافي"، وفي آخره نظم له في "عروض الشعر الحساني الدارج"، و"بلوغ الغاية بمجرد الحكاية بلا تعارض مع حديث ولا آية"، و"المقولات في الحادثات"، و"الحض على التآلف والاجتماع وذم التفرق والنزاع". توفي سابع جمادى الأولى سنة: 1392هـ.

- عبد الله بن سيدي أحمد بن أسمه: عالم أديب.

- عبد الرحمن بن سيدي أحمد بن أسمه: عالم أديب.

- الفاللي بن بابحمد: عالم عامل حكيم يلقب بحكيم الزوايا. (ت حول 1110هـ عن 120 سنة).

– الكوري بن قطرب بن محنض بن الغلاوي بن القاللي بن بابحمد: علامة قاض مفت.

– المختار بن قطرب: رئيس نفاع تسلسلت في عقبه الرئاسة.

– أحمدُّو البراوي بن محمذن بن أحمد محمود بن قطرب: عالم فقيه قاض مؤلف. (ت ثاني جمادى الأولى 1342هـ).

– عبد الله بن عباس بن الكوري بن قطرب: من أهل العلم.

– المختار بن محمد بن عبد السلام بن الكوري بن قطرب: من أهل العلم والدين.

– المختار بن الكوري بن قطرب: من أهل العلم والصلاح.

– الكوري بن سيد أحمد بن الكوري بن قطرب: عالم نسابة حكيم.

– بيدح بن الناسك بن الغلاوي بن القاللي بن بابحمد: عالم محدث صالح.

– محمذن بن بيدح بن الناسك: عالم صالح.

– أحمد بن بيدح بن الناسك: عالم صالح.

– المختار بن بيدح بن الناسك: علامة قارئ مدرس مؤلف، ورع، يلقب بصاحب النصوص. من مؤلفاته: "موضح الغوامض من علم الفرائض"، و"نظم في أوزان الفعل". و"محصل الوصول إلى علم المحمول"، و"عطية الوهاب فيما تجانس من الكتاب". توفي 1309هـ.

– أحمدو بن بيدح بن الناسك: عالم أديب (ت1347هـ/ 1928م).

– حامدن بن بيدح بن الناسك: عالم أديب، له منظومات وأشعار. (ت1377هـ/ 1957م).

– عبد الرحمن بن بيدح بن الناسك: عالم أديب. (ت1369هـ/ 1949م).

– عبد الله بن بيدح بن الناسك: عالم أديب، له منظومات كثيرة وأشعار. (ت1962م).

– أحمد بن محمد محمود بن حابيب بن سيبويه بن الفكيكي بن الغلاوي: من أهل العلم والخط الحسن.

– أحمد محمود بن أحمد فال بن اعديجه بن الغلاوي: مشتهر بالعقل والطب.

– أحمدُّو بن المامون بن الدكيكي بن الغلاوي: عالم قارئ مؤلف شاعر في الحسانية. له منظومات في القرآن.

– محمد فال بن الحميدي بن الغلاوي بن أحمد بن الفالي بن بابحمد: شاعر أديب، يضرب المثل بظرفه وحسن أخلاقه.

– سيدي أحمد بن المختار بن الحميدي بن الغلاوي بن أحمد: عالم نظام، اشتهر في علم الفرائض وعلم الفلك.

– محنض بن هايت بن حبيبنا بن الفالي بن بابحمد: صالح مشهور.

– حامدن بن محنض بن هايت: صالح مجذوب.

– سيد أحمد بن حامدن بن محنض بن هايت: صالح مجذوب مكاشف. (مات بالوباء المشهور سنة: 1286هـ).

– أبو بكر بن أحمد بن محنض بن هايت: عالم ورع مؤلف نظام مدرس، له نظم "التنبيه" عقد به ما في الميسر من تنبيه وفرع وفائدة وخاتمة، وشرحه. و"دواء السكتة بشرح ديوان الستة" لم يتمه، فأتمه عبد الله التمكلاوي. وله مثلث استدرك به على مثلث ابن مالك، وأنظام كثيرة في شتى المسائل.

– المختار بن محمذن بن أغلمينت بن محمذن بن الفالي بن بابحمد: عالم مؤلف نظام، له نظم في الفرائض، ونظم في الحساب، ونظم في العروض، وغير ذلك. (ت1270هـ).

– أحمد بن المختار بن محمذن بن أغلمينت: عالم نظام نسابة.

<u>أولاد بوميجه (=أحمد شلل):</u>

– المختار الشاعر بن محمذن بن أحمد شلل: أنجب فتى، شاعر متبحر في علم الكلام.

– محنض أودن بن محمذن بن أحمد شلل: صالح ذو كرامات.

– عبد الله (=آبّ) بن محمد الأمين بن محمد المختار بن محمد الأمين بن محمد المختار بن قطرب بن محمذن فال بن بوفال بن محنض أودن: فقيه.

– محمد الأمين بن عبد الله (آبّ) بن مُحَمَّد الأمين بن محمد المختار: عالم مدرس نظام (ت1388هـ).

– أشفغ يحيى بن أبي ميجه (=أحمد شلل): عالم صالح.

– حامتو بن أشفغ يحيى بن أبي ميجه: عالم، وبيته بيت علم.

– بابكر بن محمد فال بن انجبنان بن محنض بن حامتو: رئيس عالم قارئ نري.

– الفاروق بن احميد بن انجبنان بن محنض بن حامتو: عالم جليل متفنن ملح.

– محمذن بن بابكر بن احميد بن انجبنان بن محنض بن حامتو: عالم ورع خطاط شاعر نظام محدث مؤلف، له نظم "طريق الصلاح وجالبة الفلاح المبينة من لحديث الاصطلاح"، و"رسالة في حكم خروج النساء ومخالطتهن"، و"رسالة في ضبط أسماء العلماء وتواريخهم"، وأنظام في "الأدب والأخلاق". (ت 18 شوال 1358هـ).

– أحمدو بن محمد بن يحيى بن محنض بن حامتو: سيد همام عالم ورع. (ت 1355هـ).

– أحمد بن المختار بن محمد بن يحيى بن محنض بن حامتو: من فتيان قومه البارزين دراية وفتوة.

– محمذن بن المختار بن محمد بن يحيى (ت 1356هـ) بن محنض بن حامتو: عالم خطاط شاعر همام.

– محمد فال بن محمذن بن المختار بن محمد بن يحيى بن محنض بن حامتو: أديب دراية ورواية، قارئ مقرئ.

– المختار بن محمذن بن بابنا بن الفاللي بن أشفغ يحيى: عالم صالح مدرس مؤلف، له شرح على لامية الأفعال، وشرح على المقصور والممدود، وتعليق على المثلث ثلاثتها لابن مالك. وله رسالة في مآسد بلاد العرب.

– محمذن بن اسلامه بن أحمد بن محمذن بن بابنا بن الفاللي بن أشفغ يحيى: من أهل العلم.

– محمذن فال بن الكوري بن عاون بن محنض بن الهادي بن أشفغ يحيى: صالح سائح أعجوبة.

- عبد الله بن محمذن فال بن الكوري بن عابدن بن محنض بن الهادي بن أشفغ يحيى: صالح ورع. (ت 1389هـ).

- الشيخ محمد بن الفالي بن أحمذنّه بن مُحَمَّدنا بن محنض بن الهادي بن أشفغ يحيى: صالح صوفي عابد. (ت1960م).

- العادل بن آبر بن الأمين بن أشفغ يحيى: صالح ذو كرامات.

- بابه بن بابكر بن أحمد بن العادل بن آبر بن الأمين بن أشفغ يحيى: عالم دين أديب.

- يا عبيد بن عاشور بن الأمين بن أشفغ يحيى: كان عالما شاعرا وقع له نصيب من الكتب التي أرسل سلطان المغرب إلى علماء بني ديمان.

- ميلود بن حامدن بن محمذن بن اسلامه بن ما يخاف بن عبيد بن محمد بن أشفغ يحيى: من أهل العلم.

- الكريم بن أبي ميجه (=أحمد شلل): رئيس صالح.

- محمذن بن الوالد بن اهديجه بن الفالي بن الكريم: شاعر أديب.

- سيدي بن الأمين بن الفالي بن الكريم: عالم خطاط. وتركها كلمة باقية في عقبه.

- الحسن بن أبييه بن سيدي بن الأمين بن الفالي بن الكريم: عالم خطاط رسام.

- سالم بن أبييه بن سيدي بن الأمين بن الفالي بن الكريم: عالم خطاط رسام.

- عالي بن أبييه بن سيدي بن الأمين بن الفالي بن الكريم: عالم خطاط رسام.

- عبد الكافي بن أبييه بن سيدي بن الأمين بن الفالي بن الكريم: عالم خطاط رسام.

- عبد الله بن أبييه بن سيدي بن الأمين بن الفالي بن الكريم: عالم خطاط رسام، مدرس مؤلف محرر، له تأليف في "علم الأوفاق"، وله "تحفة الإخوان في تجويد القرآن"، و"تحفة الأطفال في تصريف الأفعال". و"ترتيب تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام"، و"الثمار شرح الكوكب الساطع"، و"جامع السيرة" وهو شرح على كل من ألفية العراقي وقرة الأبصار ونظمي الأنساب والغزوات

البدوي المجلسي. وله "مسلم المعراج في اختصار السراج" يعني تفسير القرآن المسمى بالسراج المنير للشربيني، وله أيضا "شرح مستقل على نظم الأنساب للبدوي المجلسي"، و"منار الحائر في ترتيب النوادر" وهي أمالي أبي علي ابن القالي. و"منحة الوارث في اختصار المباحث" اختصر بها "المباحث الجليلة في تحرير مقاصد الوسيلة" لعبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي التي شرح بها وسيلة السعادة في علم الكلام للمختار بن بونا الجكني، و"منظومة في الأشياء التي استعاذ منها النبي ﷺ"، و"منظومة في النحو"، و"شرح ألفية العراقي"، و"اختصار كتاب البيجوري في علم الفلك"، و"اختصار دواء السكتة لأبي بكر بن محنض بن هابت الديماني في شرح دواوين الشعراء الستة"، و"شرح الشاطبية".

- الكوري بن عالي بن أبيه: له حظ وافر من العلم والأدب، خطاط. (ت حول 1360هـ).

- محمذو (=ددو) بن حامدن بن سيدي بن الأمينَّ بن الفاللي بن الكريم: صالح عالم متخصص في علم الكلام.

- المختار (=آبا) بن حامدن بن سيدي بن الأمينَّ بن الفاللي بن الكريم: عالم متخصص في التوحيد.

- سيدي بن حامدن بن سيدي بن الأمينَّ بن الفاللي بن الكريم: عالم.

- حامدن (=آدن) بن المختار (=آبا) بن حامدن بن سيدي بن الأمينَّ بن الفاللي بن الكريم: عالم خطاط، متخصص في العربية، مؤلف، له شرح على نظم ابن المرحل في التصريف، وشرح على الشمقمقية (ت1363هـ).

- المختار بن محمذن بن ألجد بن انديه بن الفاللي بن الكريم: صاحب النوادر، كان يصور الرجال في مسرحيات بديعة، له حظ من الصلاح.

- عبد الرحمن بن محمذن بن ألجد بن انديه بن الفاللي بن الكريم: عالم شاعر همام نفاع خطاط.

- سيد أحمد بن بابا بن عمر بن اباهي بن أشفغ الأمين بن حبلل (=حبيب الله) بن الكريم: من حملة القرآن المقرئين.

- محمذن بن عبد الله بن أحمد بن حبلل (=حبيب الله) بن الكريم: من

أهل المعرفة.

أولاد باركلل:

- بارك الله بن يعقوب إنلل بن ديمان: صالح ذو كرمات عجيبة.

- سيدي الأمين بن باركلل بن يعقوب إنلل بن ديمان: صالح ذو كرامات.

- ميلود بن أغلنعمر (=الأمين) بن ابن غازي بن سيدي الأمين بن باركلل: عالم صالح أديب.

- اليدالي بن أحمد بن ابن غازي بن سيدي الأمين بن باركلل: وجيه عالم صالح.

- عبد الملك بن اليدالي بن أحمد بن ابن غازي بن سيدي الأمين: عالم.

- محمذن بن عبد الملك بن اليدالي بن أحمد بن ابن غازي بن سيدي الأمين: عالم. كان يعين محنض بابه في كتابه "الميسر" بتحصيل الأنقال.

- المختار بن عبد الملك بن اليدالي بن أحمد بن ابن غازي بن سيدي الأمين: عالم كفؤ محمودن بن محنض بابه في العلم.

- الساهل بن عبد الملك بن اليدالي بن أحمد بن ابن غازي بن سيدي الأمين: عالم.

- محمذن بن محمذن بن المختار بن عبد الملك: كان له حظ من العلم.

- محمد بن الساهل بن عبد الملك: قارئ مقرئ، كانت تكثر عنده الطلبة حتى يجتمع القرآن كله في ألواحهم.

- المختار (=اخليل) بن محمد بن الساهل بن عبد الملك: من أهل العلم والصلاح.

- أحمد بن باركلل بن يعقوب إنلل: علامة مدرس، همام مدبر سائس.

- أحمذي بن صبّاره بن محنض بن أحمد بن باركلل: صالح عابد ذو كرامات.

- حبيب الله بن أحمد بن باركلل: عالم أديب، رثاه محمد اليدالي.

- هادَ الأمين بن حبلل بن أحمد بن باركلل: صالح ذو كرامات.

- حبَّذا بن أَمينُو بن النفع بن هادَ الأمين: صاحب النوادر والأظروفات المذكور في منظومة ابن الشيخ سيديا في نوادر بني ديمان.

- المختار بن النفع بن هاد الأمين: عالم خطاط.
- محمذن بن النفع بن هاد الأمين: عالم خطاط.
- محنض بن النفع بن هاد الأمين: عالم خطاط.
- الفالي بن باركلل بن يعقوب الله بن ديمان: لقب بالفقيه لأنه كان مدرس تشمشه في عصره. وكان ناصر الدين يدنيه ويفضله ويثني عليه، ويقول: إنه يجير من الأولياء ولا يجيرون منه.
- محمذن بن سيدنَّ بن محنض أشفغ بن الفالي بن باركلل: عالم رئيس غني سنفق.
- اينو بن المزصف (=المصطفى) بن سيدنَّ بن محنض أشفغ: عالم جليل. كان قاضيا لأمير آدرار.
- حبلل (=حبيب الله) بن محنض أشفغ: يضرب المثل به في العلم والورع.
- المختار بن حبلل بن محنض أشفغ: يضرب المثل به في العلم والورع.
- محمذن (=مدو) بن حبلل بن محنض أشفغ: يضرب المثل به في العلم والورع. رثاه محنض بابه بن اعبيد.
- الحسين بن محمذن (=مدو) بن حبلل بن محنض أشفغ: سيد مرموق دينا وثقافة وأخلاقا.
- الحسن بن محمذن (=مدو) بن حبلل بن محنض أشفغ: سيد مرموق دينا وثقافة وأخلاقا. كان من أهل العلم والقرآن.
- أحمد بن محمذن (=مدو) بن حبلل بن محنض أشفغ: سيد مرموق دينا وثقافة وأخلاقا.
- بابات بن محمذن (=مدو) بن حبلل بن محنض أشفغ: سيد مرموق دينا وثقافة وأخلاقا.
- أحمدنا بن خليه بن الحسين بن محمذن بن حبلل: قارئ. (ت1387هـ).
- محمد الأمين بن الحسن بن محمذن بن حبلل: من أهل العلم والقرآن.
- أحمد بن محمذن بن حبلل: صالح عابد (ت: 1298هـ).
- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمذن بن حبلل: من قراء العصر.

– أحمد سالم بن الجيلاني بن أحمد بن محمذن بن حبلل: من قراء العصر.

– أحمدو بن المختار بن أحمد بن محمذن بن حبلل: من مشايخ الوقت.

– محمذن بن الأفظل بن أحمد بن محمذن بن حبلل: من صالحي العصر.

– المختار بن محمذن فال بن أحمد بن محمذن بن حبلل: من المعاصرين الموصوفين بالعلم والورع والأدب.

– محمذن بن محمذن فال بن أحمد بن محمذن بن حبلل: من أهل العلم والدين، شاعر خطاط.

– اليدالي بن أحمد سالم بن محنض أشفغ: صالح ورع، تؤثر عنه كرامات.

– السجاد بن الفالي بن اليدالي بن أحمد سالم بن محنض أشفغ: قارئ مقرئ.

– أحمد سالم بن السجاد بن الفالي بن اليدالي بن أحمد سالم بن محنض أشفغ: قارئ مقرئ. (تـ حول 1340هـ).

– أحمد سالم بن الركاد (=المختار) بن محنض ميلود بن اليدالي بن أحمد سالم: قارئ من شيوخ العصر.

– أحمد بن محنض ميلود بن اليدالي بن أحمد سالم: عالم ورع قارئ مجود مقرئ إمام المسجد وخطيبه. وكان ينسخ في كل سنة مصحفا بيده. عاش 85 سنة، وتوفي سنة 1914م.

– باركلل بن أحمد بن محنض ميلود بن اليدالي بن أحمد سالم: ورع قارئ مقرئ إمام.

– أحمد بن باركلل بن أحمد بن محنض ميلود بن اليدالي بن أحمد سالم: ورع قارئ مقرئ إمام.

– الجيلاني بن أحمد بن محنض ميلود بن اليدالي بن أحمد سالم: قارئ أديب.

– محنض أشفغ بن أحمد بن محنض ميلود بن اليدالي بن أحمد سالم: عالم شاعر في اللغتين، راوية خطاط، من خاصة أصحاب الشيخ سيديا بابا وملازميه. ولد: 1298هـ وتوفي: 1382هـ.

– عبد الله بن محنض أشفغ بن أحمد بن محنض ميلود بن اليدالي بن أحمد سالم: صالح عابد. (تـ1376هـ).

- اسليمان بن أحمد سالم بن محنض أشفغ بن الفالي بن بارك الله: عالم عامل، سيد همام، منفق كثير المنافع والمحاسن، جمع بين الدين والدنيا.

- الشيخ أحمدو بن اسليمان بن أحمد سالم: صالح مرب عالم عامل مؤلف نظام شاعر، له تآليف في القراءات، ونظم في الحساب العددي. (ت1300هـ)

- الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان بن أحمد سالم: عالم صوفي رئيس شاعر مؤلف، له كتاب يحتوي على كلمات القرآن المفردة والمتكررة، وتآليف في رسم القرآن، ورسالة في الفقه، وأخرى في الحسبة. (ت1339هـ).

- أحمد سالم بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان: عالم فاضل.

- الجواد بن أحمد سالم بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان: قارئ فاضل. (ت1362هـ).

- سيدي أحمد بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان: صالح حليم حيي حسن الخط ورع. (ت1347هـ).

- الشيخ سيديا بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان: صالح، دين مقبل على ما يعنيه، معرض عن اللغو والفضول. (ت1387هـ).

- أحمدو بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان: قارئ مثقف عابد. (ت1361هـ).

- أبو مدين بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان: رئيس عالم وجيه عاقل، بعيد الصيت. (ت ربيع الثاني سنة: 1379هـ).

- محمد بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان: رئيس عالم أديب، حسن خط. له كتاب حث الأمة على اتباع السنة. (ت1396هـ).

- سيدي المختار بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان: من رجال العصر القراء، له ثقافة واسعة رواية ودراية.

- محمد محمود بن سيدي المختار بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان: أديب أخلاقا ورواية وإنشاء.

- الشيخ سيديا (= ديديا) بن الشيخ أحمدوبن اسليمان: عالم صوفي أديب

أخلاقا ورواية وإنشاء. له شرح على ألفية ابن مالك، وتعليق على أبواب من مختصر خليل وغير ذلك. (ت في ذي الحقدة سنة: 1363هـ).

– أبو مدين بن الشيخ أحمدو بن اسليمان: عالم سني نزيه، ذو صيت طائر، شاعر فصيح، محب لرسول الله عليه وسلم. (ت يوم الجمعة صفر سنة: 1363هـ).

– محمد بن أبي مدين بن الشيخ أحمدو بن اسليمان: من أجلاء علماء العصر، تخصص في علم الحديث، وله مؤلفات عديدة منها: "أسهل المراقي إلى ألفية العراقي"، و"الصوارم والأسنة في الذب عن السنة"، و"شن الغارات على أهل وحدة الوجود ومعية الذات"، و"الطرفة المليحة في أخبار المنيحة"، و"سعد السعود على تحفة المودود في المقصور والممدود لابن مالك"، و"إيصال الشعور في أحكام الشعور". وله منظومة في الحث على الإسرار بذكر الله تعالى. وأخرى في فتح مكة، ومنظومة في إبداع الشهداء. وله "تحرير المسألة عن حكم البسملة". (ت ليلة الإثنين 2 ذي العقدة 1396هـ).

– المختار بن محمد امبارك بن اسليمان: عالم مؤلف شاعر. له منثور في أسماء الله الحسنى ومعانيها وخواصها، ومنظومات في النحو والفقه. (ت1369هـ).

– أحمد سالم بن محمد امبارك بن اسليمان: ماهر بالقرآن وعلومه، مؤرخ، كريم الأخلاق راوية مسالما، لم يغبط أحدا قط ولا عاداه. له حظ وافر من العلم. وكان يحفظ القصيدة من حكاية واحدة. توفي في الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة 1386هـ عن تسعين سنة إلا شهرا.

– محمد بن أحمد سالم بن محمد امبارك بن اسليمان: عالم شاعر.

– شدك بن يعقوب بن باركلل بن يعقوب إنلل بن ديمان: شهير الصلاح ذو كرامات.

– محمد فال بن عبد الله بن يعقوب بن باركلل: عالم جليل.

– المختار خي بن عبد الله بن يعقوب بن باركلل: عالم جليل.

– المختار بن أحمد بن محمد فال بن عبد الله بن يعقوب بن باركلل: عالم شاعر خطاط. (ت1340هـ).

– المنتقى بن المختار خي بن عبد الله بن يعقوب بن باركلل: عالم خطاط.

- سيدي أحمد بن المختار خي بن عبد الله بن يعقوب بن باركلل: عالم خطاط.

- ميلود بن المختار خي بن عبد الله بن يعقوب بن باركلل: عالم خطاط. له مؤلفات منها شرح على إيضاح المرام للرد على جيم الأعجام، وعيون الإصابة في مناقب الشيخ محنض بابه.

- الطالب أجود بن ميلود بن المختار خي بن عبد الله بن يعقوب: قاض شاعر.

- حبلل (=حبيب الله) بن شِنَّكْ بن يعقوب بن باركلل: عالم صالح ذو كرامات. وفي عقبه الصلاح العام.

- بوراص بن سيدي الأمين بن المختار بن يعقوب بن باركلل: عالم حافظ.

- الأمين بن بوراص بن سيدي الأمين بن المختار بن يعقوب بن باركلل: عالم حافظ مؤلف. له منظومة عقد بها مقدمة ابن برنا الجكني في النحو وشرحها المسمى بالسلاح. وكان يحفظ قاموس الفيروزابادي، وتسهيل ابن مالك في النحو.

- محمذن بن محنض بابه بن الفاللي بن المختار بن محمذن بن المزروف بن المختار بن يعقوب بن باركلل: فقيه مشارك في العلم شاعر.

- اعبيد (=المختار) بن أحمد بن المختار بويه بن يعقوب بن باركلل: عالم همام مدبر.

- محنض بابه بن اعبيد بن أحمد بن المختار بويه بن يعقوب بن باركلل: علامة مشهور، إليه انتهت الرئاسة في القضاء، نصبه لذلك أهل الحل والعقد من الزوايا والحاجيين والديمانيين وغيرهم من بني أحمد بن دامان، قتل أشخاصا قصاصا وحرابة وعزر وأيد الله به الحق ونصر، وأظهر أمورا من الدين لم تظهر قبل. وبين كثيرا من الأوهام والتحريفات التي أقرها العلماء قبله. وكان يرى على نفسه وهو في البلاد السائبة ما على الإمام الأعظم، من تنفيذ الأحكام، وأخذ الحق من الظالم، إن استطاع إلى ذلك سبيلا. من مؤلفاته: "ميسر الجليل على مختصر خليل"، فتاويه الفقهية، رسائل في الفقه، أنظام شتى، اختصار تكميل المنهج، سلم الوصول إلى علم الأصول، نظم في أصول الدين، نظم في البلاغة، تعليق على "عقود الجمان" للسيوطي، وطرة على ألفية ابن مالك في النحو، ونظم عليه تعاليق في قواعد النحو الإحدى عشرة المذكورة في آخر مغني اللبيب لابن هشام، ونظم محفوظات،

المجموع، ونظم المجمل، ونظم: سقاية الظمآن في أبنية الأفعال ومعانيها وضع عليه تعاليق، ونظم: فيما يقال بالفتح والكسر من الكلمات، ونظم في المنطق وقد وضع عليه تعاليق، ونظم نسب الموجهات وتعليق عليه، وتسديد النظر في شرح المختصر، شرح به مختصر الإمام السنوسي، في المنطق، وطرتان: مطولة، ومختصرة، على نظم ابن طيب، وطرة على السلم المرونق للأخضري، كلها في المنطق، ونظم في الدفاع عن الطريق التيجانية وتحقيقات فقهية ولغوية مشهورة. (ت ليلة الأربعاء رابع صفر عام 1277هـ عن اثنين وتسعين سنة).

- عبد الله بن محنض بابه بن اعبيد: عالم شاعر ورع صالح صحيح الكشف. (ت1310هـ).

- محمودن بن محنض بابه بن اعبيد: قاض عالم مؤلف. له تأليف جمع فيه ما في حاشية الرهوني على المختصر مما ليس في "الميسر" لوالده. (ت1316هـ).

- أحمد محمود بن محمودن بن محنض بابه بن اعبيد: خطاط قارئ.

- بابه بن محمودن بن محنض بابه بن اعبيد: عالم شاعر. له نظم طويل مفيد في الفقه.

- حامدٌ بن محنض بابه بن اعبيد: قاض عالم قارئ. (ت1323هـ).

- محمد بن حامدٌ بن محنض بابه بن اعبيد: قارئ عابد.

- أحمدو بن حامدٌ بن محنض بابه بن اعبيد: قارئ عابد، جميل الخط. (ت1362هـ).

- المختار (=اگاه) بن أحمدو بن حامدٌ بن محنض بابه بن اعبيد: خطاط متفوق في جودة الخط.

- محنض بابه (=ابّاه) بن أحمدو بن حامد بن محنض بابه بن اعبيد: يقول الشعر، وله نظم في التوسل.

- محمذا (=محمذن) بن حامدٌ بن محنض بابه بن اعبيد: مقبل على شأنه، معرض عما لا يعني مؤثر للاختصار، فاهم عالم، له أنظام. (ت1362هـ).

- أحمد بن محمذا بن حامدٌ بن محنض بابه بن اعبيد: من علماء وأدباء العصر. له نظم في أسماء أهل بدر، ونظم في التعريف بمالك وببعض أصحابه وبأمهات كتب

المذهب، ونظم في العروض.

– المختار بن أحمد بن محمذا بن حامد بن محمذن بابه بن اعبيد: من أبرز أدباء اليوم.

– أحمد بن محنض بابه بن اعبيد: عالم ورع، شاعر.

– محمد محمود بن أحمد بن محنض بابه بن اعبيد: عالم جميل الخط كثير التحصيل.

– عبد الرحمن بن أحمد بن محنض بابه بن اعبيد: ورع عالم عابد (ت1356هـ).

– محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: عالم قاض، له فتاوى ورسائل وأحكام.

– عبد الله بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: صالح منفق. (ت حول 1360هـ).

– باركلل بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: عالم أديب، إمام منفق، قارئ عابد، مدرس مؤلف. له نظم في كسب الأشعري، وله شرح على نظم جده محنض بابه لمفوتات البيع، ونظم في مال العبد وأحكامه، ونظم في أنساب بني يعقوب إنلل بن ديمان.

– محنض بن باركلل بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: عالم نظام شاعر، ضاع أكثر شعره.

– أحمد سالم بن باركلل بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: قارئ مجود، عالم بعلم الأداء، مواظب على تلاوة القرآن، نظام.

– أحمدو بن باركلل بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: عالم أديب، حسن الخط، مقبل على نسخ ودراسة النصوص. (ت 1362هـ).

– محمذن بن أحمدو بن باركلل بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: متفوق في جودة الخط.

– محمذن بن أحمدو بن باركلل بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: شاعر وقاض.

– حامدن بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: عاقل لبيب، حكيم طبيب، فاهم محقق، عالم مدقق، متحر في التحرير أوجز التعبير، وأبلغه في التوضيح مع حسن التنقيح. من مؤلفاته، في الوعظ والنصيحة: تأليف في التحذير من التقاعد عن تغيير

المناكر، التي جرى بها عرف أهل القطر، ونظم في ذلك المعنى يسمى: (الويلية)، ونظم قيل بمناسبة خلافه بين متصوفين معينين، وفقهاء منكرين عليهم، ونظم في حقوق الحق، والخلق والنفس، ونظم في ذم الأنانية، والترغيب في الإحسان إلى الناس، وله مكتوب في أجناس المعاصي الحالية، ورسائل وتقاييد في المعية، وله مكتوب في بيان محل تحكيم الشرع للعادة، ونظم فيه وله في تحرير أحكام تداعي الزوجين، وله في ترجيح الجيم غير المنعقدة: عدة مؤلفات، منها تأليف طويل، وآخر أقل حجما منه، وضعه في مقدمة وستة فصول وخاتمة، وقد طبع في المغرب. وشرح على نظم له فيه أيضا، وله في علم المنطق: مختصر وله نظم فيما شذ من المفعل، تعليقات على باب المفعل، من لامية الأفعال، لابن مالك، ونصايح وتقاييد وفتاوى. (ولد عام 1275هـ وتوفي عام 1363هـ، عن 88 سنة).

– المختار بن حامدن بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: عالم أديب شاعر ناثر مؤرخ. من مؤلفاته موسوعة حياة موريتانيا التاريخية، واحمرار على السلم في المنطق، واحمرار على الطيبية في المنطق، ومؤلف في علوم البلاغة يستشهد فيه بشعر الشناقطة وأدبهم، ومعجم اللهجة الصنهاجية، وأبحاث ودراسات تاريخية منشورة بالفرنسية، ومعجم للمؤلفين الموريتانيين ومؤلفاتهم، وثبت في أسماء المكتبات الموجودة في أنحاء الوطن، وبحث في علم الكلام، ونظم في القبض، ونظم في عدد كلا وبلى في القرآن.

– محمذن بن المختار بن حامدن بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: أديب شاعر.

– امين (=محمذن) بن حامدن بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: شاب نشأ في طاعة الله والانكباب على التعلم والتعليم، كاتب شاعر فقيه لغوي نحوي. له منظومة في اللغة ضاعت، كما ضاع أكثر شعره. (ت حوالي 1359هـ).

– عبد الله بن أمين بن حامدن بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد: علامة قاض شاعر نظام مؤلف. من مؤلفاته خلاصة ما تفرق في الصحف المنشرة، فيما تعلق بأهل البيت العشرة، ومنظومة المناسك في مذهب الإمام مالك، وتذييل لمنظومة السوسي في علم الفلك، ونظم في التوسل بأسماء الله الحسنى، ونظم في التوسل بأسماء رجال

الصوفية، ونظم في الأحرف التي يشار بها إلى العلماء المعزو إليهم في كل من الحصن الحصين، وشرح الثعالبي المدرر اللوامع، وشرح زروق لرسالة ابن أبي زيد القيرواني والميسر، وأنظام عقد بها مواضع من إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، وأنظام متفرقة في فنون شتى.

- **محنض بابه بن امين بن حامدن بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد**: علامة شاعر نظام صالح مشهور. من مؤلفاته المباحث الفقهية، وسلم الضعاف المرتقين إلى درجات التائبين المتقين، ومنظومة البلاغة، ومنظومة المنطق، ومنظومة الإملاء، ولامية النحو، والقصائد الدينية وشرحها، ومنظومات أخرى مختلفة.

إيدينضبهنض:

- **أحمد (=شيخ التلامذة) بن يعقوب بن يدهنض بن مهنض أمغر**: عالم مدرس إمام صالح.

- **المختار بن شيخ التلامذة (=أشفغ ان تجمذن)**: فقيه.

- **محمد بن أشفغ المختار بن شيخ التلامذة**: هديل بني ديمان.

- **اجّمد بن حامتو (=أحمد) بن أشفغ المختار بن شيخ التلامذة**: عالم مؤلف، نظام شاعر، مدرس، أخذ عنه الجم الغفير، وأملى الكتب من حفظه حين ضاعت في شربيه. قيل إن تآليفه زادت على الثلاثين منها نظم في التوحيد وأنظام في النحو. (تـ في صدر ق12هـ).

- **أحمد بن المختار بن مَامِّينْ بن ميلود بن اجمد بن حامتو بن أشفغ المختار**: عالم صالح معبر للرؤيا. (تـ1928م).

- **سيدي أحمد بن المختار بن مَامِّينْ بن ميلود بن اجمد بن حامتو**: عالم سخي همام نفاع، شاعر نظام، له منظومة في ذكر أسماء وبطون أول الأنصار إسلاما. (تـ1350هـ).

- **أبو بكر بن سيدي أحمد بن المختار بن مامين بن ميلود بن اجمد**: سيد عزيز عالم نظام، له منظومة وشرحها في السيرة النبوية، ومنظومة في التوحيد والوعظ، ومنظومة في علم الفرائض، ومنظومة في أحكام الطهارة، ومنظومة في أحكام الحيض، ومنظومة في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم، ومنظومة في تفسير بعض غريب

القرآن، وأخرى في النحو والتصريف. (ت1363هـ).

– احميادات بن الأمين بن اعبيد الغالي بن احمد بن حامتو: صالح مشهور.

– العثماني بن الأمين بن اعبيد الغالي بن احمد بن حامتو: عالم مدرس.

– المختار بن العثماني بن الأمين بن اعبيد الغالي بن احمد بن حامتو: عالم رئيس. (ت1352هـ).

– الأمين بن محمذن بن اعبيد الغالي بن احمد بن حامتو: شاعر أديب.

– حامدن بن الأمين بن محمذن بن اعبيد الغالي بن احمد بن حامتو: مدرس شاعر.

– المختار بن حامدن بن الأمين بن محمذن بن اعبيد الغالي بن احمد بن حامتو: من حملة القرآن. (ت1384هـ).

– ألف بن محمد بن الماح بن عمي حبيب الله بن أشفغ الأمين بن شيخ التلاملة: صالح سائح.

– محمذن بن النجابة بن عبدي بن اكوكي بن عمي حبيب الله بن أشفغ الأمين بن شيخ التلاملة: صالح ذو كرامات.

– أحمدو بن المختار بن محمذن بن النجابة بن عبدي بن اكوكي بن عمي حبيب الله بن أشفغ الأمين بن شيخ التلاملة: من حملة القرآن البارزين فضلا، ودينا، وعلما، وحسن خط. (ت1370هـ).

أهل أكد الحسن (=أكد الحسن):

– الحسن انديوك (=بن أوبك) بن أبي موسى بن أشفغ ابياي بن يعقوب بن مهنض أمقر (=راكب الأسد): صالح ذو كرامات.

– الماح (=الماحي) بن الحسن انديوك: رئيس شجاع صالح، جمع الشريعة والحقيقة.

– الماح بن الماح بن الحسن انديوك: من العلماء.

– الأمين بن الماح بن الماح بن الحسن انديوك: عالم جليل، قاض مفت نصبه لذلك عامة تشمشه، وعنه أخذ كثير من أجلائهم.

– أحمد بن الكنوري بن سيدي بن أَمَّنْ بن المختار بن مهنض بن الحسن

اندوبك: عالم صوفي شاعر مؤلف، له شرح على قرة الأبصار للمطي، وشرح على غزوات البدوي، وقصيدة ذكر فيها منازل النبي ﷺ في سفره وحضره. (ت1323هـ).

– سيدي بن حرير بن محمذن بن الماح بن المختار بن محنض بن الحسن اندوبك: من أهل العلم.

– أبو بكر بن سيدي بن حرير بن محمذن بن الماح بن المختار بن محنض بن الحسن اندوبك: من أهل العلم[1].

إيداابهم:

– الإمام ناصر الدين أوبك بن أبهم بن يعقوب بن أكدام بن يعقوب بن أشفغ ابهنض (=أبهم) يحيى بن مهنض أمغر: إمام الزوايا في شربيه.

– محمذن بن أعمر اليزيكنذه بن محنض بن أعمر مون المعروف بأعمر إيديقب بن يعقوب بن ألفغ ابهنض (=أبهم) يحيى: صالح ذو كرامات مأثورة.

– عبدو بن المامون بن محمذن بن أعمر اليزيكنذه بن محنض بن أعمر إيديقب: عالم مدرس.

– محمذن بن عبدو بن المامون بن محمذن بن أعمر اليزيكنذه: صالح ورع.

– الشيخ أحمد بن محمذن بن الفالي بن المامون بن محمذن بن أعمر اليزيكنذه: علامة مدرس مؤلف شاعر صوفي مرب. له منظومات في شتى الفنون من فقه ونحو. عاش 90 سنة (ت1319هـ).

– سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن محمذن بن الفالي: عالم تقي جواد نحوي لغوي، عليه مدار تدريس اللغة والنحو. (ت في رجب 1323هـ).

– عبد الرزاق بن سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن محمذن بن الفالي: عالم محرر مؤلف، زاهد. له حاشية على طرة ابن بونا، وطرة على لامية الزقاق، وأخرى على متن ابن الحاجب، واختصار لشرح الايدوعيشي لابن بري، وشرح وسيلة ابن بونا في علم الكلام، وشرح على جوهرة اللقاني في التوحيد، ورسالة في التصيير ذكر

---

(1) هنا انتهى ما في جزء ابن حامدن الذي بين أيدينا، وما زالت منه بقية عن أهل الحسن اندوبك لم نعثر عليها بعد.

فيها عدم احتياج المصير إلى القبض الحسي والحوز. (ت يوم الجمعة 22 محرم سنة: 1362هـ) وهو ابن 48 سنة.

– أحمد سالم بن سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن محمذن بن الفالي: أحد أعيان العصر، قاض عالم فقيه مؤلف، له مؤلفات منها: شرح على قرة الأبصار للمطي، وشرح سلم المنطق للأخضري، وشرح على منظومة الكفاف لمحمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي، ورسالة في نفي طعمية العلك. وله تأليف في ترجيح إرسال اليدين في الصلاة. وله شعر حسن. وله تأليف في نفي مطلوبية حوز المصير.

– محمذن (أدي) بن الشيخ أحمد بن محمذن بن الفالي: علامة صالح ورع صوفي، عاش 96 سنة. (توفي بعد الوضوء لصلاة الصبح سنة: 1363م عن 96 سنة.

– عبد اللطيف بن محمذن (أدي) بن الشيخ أحمد بن محمذن بن الفالي: عالم. (ت1387هـ).

– محمد العاقل بن محمذن (أدي) بن الشيخ أحمد بن محمذن بن الفالي: عالم.

– يعقوب بن عبد اللطيف بن محمذن (أدي) بن الشيخ أحمد بن محمذن بن الفالي: من شباب الوقت البارزين ثقافة وأدبا.

– ببَّاه بن عبد اللطيف بن محمذن (أدي) بن الشيخ أحمد بن محمذن بن الفالي: من شباب الوقت البارزين ثقافة وأدبا، ومن شعراء الوقت البارزين.

– عبد الله بن الشيخ أحمد بن محمذن بن الفالي: صالح، مزدوج الثقافة، توظف في الحكومة ولم تؤخذ عليه هنة (ت1958م).

– اسلامه بن الأمين بن محمذن أغربظ بن شيبة بن المامون بن محمذن بن أعمر اليزيكتلد: من أهل العلم والأدب. (ت1939م).

– محمذن بن الأمين بن محمذن أغربظ بن شيبة بن المامون: قارئ نفاع. (ت1916م).

– أحمد بن محمذن أغربظ بن شيبة بن المامون: من فتيان قومه ومحاضريهم.

– اشْنَيْدْ بن أحمد بن محمذن أغربظ بن شيبة بن المامون: جواد عالم مدرس.

– سيدي أحمد بن اشْنَيْدْ بن أحمد بن محمذن أغربظ بن شيبة بن المامون: من

شعراء الوقت المزدوجي الثقافة.

– محمد بن اشْتَيْلْ بن أحمد بن محمذن أعربظ بن شيبة بن المامون: قارئ.

– يحظيه بن محمد بن يامو بن سيدي الفالي بن الهيبه بن محمذن بن أعمر اليزيگنذه: عالم مدرس.

– محمدو بن محمذن فال بن اجَّمَدْ بن محمد بن الهيبه: من أهل العلم.

– أحمد بن محمد فال بن الحمد بن محمد بن الهيبه: عالم قارئ.

– محمد عبد الله بن أحمد بن محمد فال بن الحمد بن محمد بن الهيبه: من شعراء الوقت.

– عبد المومن بن أحمد بن محمد فال بن الحمد بن محمد بن الهيبه: من حملة القرآن، ومن أهل العلم والأدب.

– النجيب بن محمد بن عبد القادر بن الهيبه: عالم خطاط سخي.

– أحمد بن النجيب بن محمد بن عبد القادر بن الهيبه: عالم خطاط سيد (ت1328هـ).

– سيدي محمد بن أحمد بن النجيب بن محمد بن عبد القادر الهيبه: عالم ورع شاعر.

– عبد الله بن محمذن (=أبا) بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن الهيبه: قارئ.

– يحظيه بن محمذن (=أبا) بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن الهيبه: من أهل العلم.

– آمناه بن محمذن فال بن عمر بن الهيبه: عالم.

– سيدنْ بن محمذن فال بن أمر بن الهيبه: عالم.

– عبد الله بن محمذن بن أحمد بن محمذن فال بن أعمر بن الهيبه: من رجال العلم.

– سگم بن محمذن بن أعمر اليزيگنذه: عالم.

– المبارك بن سگم بن محمذن بن أعمر اليزيگنذه: صالح ورع، وتركها كلمة باقية في عقبه.

– بياه بن محمذن بن محنض بابه بن بونه بن سيدي بن سگم: شاعر مجيد.

- محمذن بن محمذن بابه بن بونه بن سيدي بن سكم: من حملة القرآن. (ت1387هـ).

- بباه بن محمذن بن محمذن بابه بن بونه بن سيدي بن سكم: شاعر مجيد مشارك في الفنون.

- سيدي الأمين بن محمذن بابه بن بونه بن سيدي بن سكم: من حملة القرآن. (ت1384هـ).

- عبد الله بن محمذن بابه بن بونه بن سيدي بن سكم: من حملة القرآن. (ت1361هـ).

- محمذن الملقب أبا بتشديد الباء المفخمة بن عمي بن سكم: من رجال الدنيا والآخرة.

- المختار بن محمذن (=أبا بتشديد الباء المفخمة) بن عمي بن سكم: شاعر.

- احماده بن محمذن بن محمذن (=أبَّا): من رجال الخير والعلم والصلاح.

- محمذن فال بن أحمد بن المنجي بن حنبل بن محمذن بن أعمر اليزيكتاه: عالم صوفي شاعر.

- بدي محمد بن حامد بن محمذن فال بن أحمد بن المنجي: صالح مكاشف. (ت حول 1337هـ).

- محمد بن أحمد سالم بن علي بن سيدن بن محمذن بن أعمر اليزيكتاه: عالم تقي حسن الخلق والخلق، شاعر. (ت1320هـ).

- محمذن بن محمد بن أحمد سالم بن علي بن سيدن: عالم تقي شاعر نظام. (ت1348هـ).

- أحمد بن محمد بن أحمد سالم بن علي بن سيدن: عالم شاعر. (ت1348هـ بعد أو قبل وفاة أخيه بليلة.

- المختار بن محمد بن أحمد سالم بن علي بن سيدن: عالم مؤلف. له شرح على إضاءة الدجنة في عقيدة أهل السنة. (ت1379هـ).

- عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد سالم بن علي بن سيدن: عالم ورع.

- محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد سالم بن علي بن سيدن: من أهل العلم،

متخصص في علمي العروض والفلك، شاعر. (ت1960م).

– محمذن فال (=فالي) بن أحمد بن محمد بن أحمد سالم بن علي بن سيدي: من أعيان قومه علما وورعا وعقلا، متخصص في علم الحساب، جلد. (ت1379هـ).

– سيدي الأمين بن أعمر اليزيكثذه: عالم صالح، مشهور الكرامات.

– الفاروق بن سيدي الأمين بن أعمر اليزيكثذه: عالم صالح.

– محمد بن سيدي الأمين بن أعمر اليزيكثذه: عالم صالح.

– انداه بن محمد بن الحسن بن محمد بن سيدي الأمين: بليغ صاحب نوادر محفوظة.

– عبد السلام بن أحمد بابا بن محمد بن الحسن بن محمد بن سيدي الأمين: شاعر مطبوع. (ت1333هـ).

– أشفغ عبد الله بن أعمر اليزيكثذه: علامة شهير، قارئ حجة في رسم المصحف. كان فقيه تشمشه. وهو أول من ألف من الزوايا بعد حرب شربه. من مؤلفاته: "مورد الظمآن الصغير في علوم القرآن"، وله نثر في خط المصحف، ونظم في التوحيد وغير ذلك. (ت1101هـ).

– محمذن بن أشفغ عبد الله بن أعمر اليزيكثذه: عالم عارف.

– عبيدي بن محمذن بن أشفغ عبد الله: سخي عالم مجاز في القراءات السبع. وله تأليف في علم القراءات. (كان حيا 1172هـ).

– سيدي الأمين بن محمذن بن أشفغ عبد الله: أقرأ أهل زمانه.

– انبد بن محمذن بن أشفغ عبد الله: عالم خطاط. هو أول من أدخل القاموس محلة بني ديمان.

– أحمد زين بن محمذن بن عبيدي بن محمذن بن أشفغ عبد الله: عالم ورع مؤلف. له شرح على قصيدة صلاة ربي لمحمد اليدالي، وله فتاوي فقهية وإنشاءات نظما ونثرا.

– زياد بن حامتو بن محمذن بن عبيدي بن محمذن بن أشفغ عبد الله: علامة نظام شاعر مؤلف. له شرح الشنفرية، ونظم ما ترك ابن بونه من التسهيل، وتعليق على ديوان غيلان، وعلى ديوان الشعراء الستة، ونظم في مهاجري الحبشة، ونظم في أهل

الصفة، وأنظام وتقييدات في الفقه وغيره. (ت1248هـ وهو ابن 30 سنة).

– أحمذو بن زياد بن حامتو بن محمذن بن هبيدي بن محمذن بن أشفغ عبد الله: علامة قاض مفت مدرس مؤلف. من تآليفه: تفسيره للقرآن المسمى: "اللجين المذهب الجامع بين الجلالين والجمل والذهب"، ويسمى أيضا: "ذو الفاتحتين"، لأنه فسر فيه الفاتحة أولا وآخرا تفسيرين متغايرين. وهو في أربع مجلدات، وله كتاب في القراءات وتعليق على نظم الشوشاوي وعلى اختصار ابن أبي جمرة، واختصار شرح السجلماسي لمنهج الزقاق، واختصار العهود المحمدية للشعراني، ومكتوب في آبار المدينة وشواهدها من الحديث. وله شعر ومنظومات كثيرة في الفقه وغيره. (ت1322هـ وهو ابن 82 سنة).

– محمد فال بن أحمذو بن زياد بن حامتو: عالم شاعر مؤلف. له رسالة في الحموز، ورسالة في أن العمل بالراجح راجح لا واجب، ورسالة في تساوي الأذان الثاني والثالث مع الأول في السنية، يرد على القائل بندبية غير الأول. (ت1351هـ وهو ابن 80 سنة).

– الأفضل بن أحمذو بن زياد بن حامتو: عالم مدرس مؤلف. له تأليف في الاستعارة، سماه "تحرير العبارة في أنواع الاستعارة". (ت1340هـ).

– محمد محمود بن أحمذو بن زياد بن حامتو: عالم أديب نزيه مقبول مؤلف. له "هالة البدر على أهل بدر" شرح به نظم الشيخ مُحَمَّد المامي لأهل بدر، وله تعليق على قصيدة ابن تولب التي أولها: "سلا عن تذكره تكْتما"، وتعليق على قصيدة أعشى همدان التي أولها: "لمن الظعائن سيرهن تزحف"، وتحريرات وتقييدات وأنظام في شتى الفنون. (ت يوم الجمعة الأخير من صفر سنة: 1343هـ وهو ابن 58 سنة).

– محمد بن محمد محمود بن أحمذو بن زياد بن حامتو: من فتيان العصر البارزين ثقافة وأدبا. (ت1395هـ).

– محمد عالي بن أحمذو بن زياد بن حامتو: عالم شاعر أديب مؤلف نظام. له أنظام في شتى المسائل. منها نظمه فيما جاء من كلام العرب من أفعل وفعل متساويين في المعنى والتعدية، ومنها نظم في ديانات العرب، ونظم في النقباء الاثنى عشر أهل

العقبة، ونظم أزواج زوجات النبي ﷺ، وله شعر حسن. (تـ عصر الجمعة في أوائل شوال سنة: 1361هـ).

– أحمد بن محمذن بن أشفغنا (=آكا) بن محمذن بن عبد الله (=عبيدي) بن محمذن بن أشفغ عبد الله: قارئ أديب إنشاء ورواية. (تـ1373هـ).

– محمذن بن ألجد بن الزبير بن حامتو بن أشفغ عبد الله: عالم صالح ذو كرامات خارقة. له تأليف في فضل القرآن والصلاة على النبي ﷺ، وله فتاوى في الفقه. (تـ1290هـ).

– داداه بن محمذن بن ألجد بن الزبير بن حامتو بن أشفغ عبد الله: صالح عالم.

– الكوري بن محمذن بن ألجد بن الزبير بن حامتو بن أشفغ عبد الله: صالح عالم.

– محمد سالم بن محمذن بن ألجد بن الزبير بن حامتو بن أشفغ عبد الله: صالح عالم.

– محمذن بابه بن داداه بن محمذن بن ألجد بن الزبير بن حامتو بن أشفغ عبد الله: عالم ورع صوفي مدرس مفت مؤلف. له كناش مفيد كالحاشية على مختصر خليل، وله تحارير وتقاييد كثيرة، منها: "السهام المصيبة في نحور أكلة الغيبة"، و"قرة العينين في تشهير تقديم الرجلين"، أي في الوضوء في الغسل، و"الدرر المنثورة في أحكام السهو عن السورة". بين فيه أن السهو عنها لا يبطل. ورسالة في كون النبي صلى الله عليه وسلم كتب أولا. ومكتوب فيما يبيح التيمم، وشرح نظم محنض بابه لمفوتات البيع، وتأليف في الصلاة على النبي ﷺ، وغير ذلك. (تـ1394هـ).

– اسلامه بن أبي بن جيجنْ بن الزبير بن حامدتو بن أشفغ عبد الله: جواد صالح ذو كرامات.

– أحمدو بن محمذن بن ألْفَ بن الزبير بن حامدتو بن أشفغ عبد الله: سيد همام قارئ مقرئ. (تـ17 جمادى 1351هـ).

– محمذن بن أحمدو بن محمذن بن ألْفَ: من قراء العصر الممتازين.

– محمد فال بن محمذن بن أحمدو بن محمذن بن ألْفَ: من حملة القرآن المقرئين.

- عبد الله بن أحمدو بن محمذن بن أَلْفَغْ: من قراء العصر الممتازين.

- محمد بن أشفغ عبد الله بن محمذن بن أَلْفَغْ: عالم شاعر أديب مؤلف. له شرح على قرة الأبصار للمطي، وتقريرات وتحريرات بديعة في شتى الفنون. (ت1334هـ وهو ابن 31 سنة).

- أحمد سالم بن أشفغ عبد الله بن محمذن بن أَلْفَغْ: من أشياخ العصر، عالم فقيه ورع.

- محمذن (=حمتن سيذن) بن الفالي بن أشفغ أوبك بن أعمر إيديقب: صالح مكاشف.

- امين بن محمذن فال بن اكمجمين بن محمذن (=حمتن سيذن): عالم مدرس، (ت1932م).

- المريد بن محمذن فال بن اكمجمين بن محمذن (=حمتن سيذن): جواد منفق من أهل العلم. له رسالة في فضل العلم.

- محمد العاقل بن المداح بن المختار بن عثمان بن يعقوب بن أشفغ ابهنض يحيي بن مهنض أمغر: عالم.

- أحمد بن محمد العاقل بن المداح بن المختار بن عثمان: علامة مدرس قاض مؤلف صالح أعجوبة، مكث أربعين سنة يملي على الناس ويقضي ويدرس من حفظه. وكان ذا كرامات عجيبة. من تآليفه: شرح على كبرى السنوسي، وطرة على سلم المنطق للأخضري. (ت1244هـ عن 93 سنة).

- محمذن بن أحمد بن محمد العاقل: علامة بركة شاعر أديب مؤلف، ذو كرامات وأحوال. من تآليفه: شرح على وسطى السنوسي، وشرح على باب الحج من خليل. (ت1281هـ).

- أحمد بوره بن محمذن بن أحمد بن محمد العاقل: عالم ذو كرامات عجيبة. (ت1311هـ).

- محنض بن أحمد بوره بن محمذن بن أحمد بن محمد العاقل: عالم شاعر أديب.

- امحمد بن أحمد بوره بن محمذن بن أحمد بن محمد العاقل: نادرة عصره

وأعجوبة قطره علما وأدبا وكتابة نظما ونثرا. من مؤلفاته: منظومة في أصول الفقه، وأخرى في الإبدال، وأخرى في الفرائض، وأخرى في شوارد الفقه سماها "فرحة الصبي" أجاد في جميعها. أما شعره فكله درر غرر. من مؤلفاته: "إخبار الأحبار بأخبار الآبار". (تـ في ذي القعدة سنة: 1340هـ). عن أولاده السادة النبهاء العلماء الشعراء: محمد بابه، ومحمذن بابه، وسيدي بابه، وأحمدو بابه، وأحمد بابه (=شمّاد).

– **كراي بن محمد بابه بن احمد بن أحمد يوره بن محمذن بن أحمد بن محمد العاقل:** صالح عالم شاعر.

– **محمد فال (=ببها) بن محمذن بن أحمد بن العاقل:** أعلم من كل أهل فن في فنهم، مع ورع وحسن خلق. وما ترك فائدة شاردة من العلم إلا قيدها، ولا لغزة ولا عويصة إلا حل عقدها. من تآليفه: "دمية المحراب فيما للقرآن من تصريف وإعراب" (مجلد كبير)، ونظم فواصل السور، ونظم فيما انفرد به نافع عن القراء، والمواهب الأحدية في ذكر الشمائل المحمدية، ونظم في حوادث حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ونظم في آل النبي صلى الله عليه وسلم، ونظم في جدات النبي صلى الله عليه وسلم، وتأليف في صحابة الرسول ﷺ ذكر فيه كل صحبي روى حديثا فأكثر مع مروياتهم. ورسالة في الصحابيات راويات الحديث النبوي مع مروياتهن، ونفحة الياسمين في الصلاة على سيد الكونين، وتحفة الأطفال في توكيد الأفعال وشرح محاجاة المختار بن بونه لمولود اليعقوبي، والمسائل العشر في التوحيد، ومختصر في النحو، وأنظام كثيرة في شوارد الفقه والسيرة، وغير ذلك. وله "أهبة المنتطق في علم المنطق"، و"ترياق اللسع في المسائل التسع"، وهي مسائل سئل عنها. ورسالة في حرف الجيم، ومختصر في النحو. وله قصيدة بديعية في الألغاز الفقهية وتعليق عليها. (تـ عصر السبت يوم عرفة سنة: 1334هـ عن 93 سنة، مع أخيه عبد الله المتوفى عن 90 سنة).

– **محمذن (=اميي) بن محمد فال بن محمذن بن أحمد بن العاقل:** القاضي. له منظومات بديعة في شتى الفنون من فقه وتاريخ ولغة. منها: منظومة في آخر الصحابة موتا بكل أرض، ومنظومة في علم الخط على الرمل، ومنظومة في تاريخ حوادث

السنين. (ت1385هـ).

- حامدٌ بن محمد فال بن محمذن بن أحمد بن العاقل: العالم الورع القاضي.

- بله (=عبد الله) بن المختار بن عثمان بن يعقوب بن أشفغ ايهنض يحيى بن مهنض أمغر: علامة جليل ت1100هـ.

- متالي (=المختار) بن محنض بن بله بن المختار بن عثمان: العالم النظام المتكلم الشاعر ولد سنة 1050هـ، ذكر له محمد اليدالي أبياتا يهنئ بها تشمشه، وذكر له أيضا في كتاب فرائد الفوائد أبياتا في المطالب السبعة المعروفة في علم الكلام في حق الله.

- الأمانة بن المختار بن الأبن المزضف بن بله: العالم المدرس ت1315هـ، وبيته بيت مشهور الفضل والدين وكرم الأخلاق.

- محمد فال بن محمذن بن الأمانة بن المختار بن الأبن المزضف بن بله: قارئ مثقف.

- الصافي بن المختار بن المزضف بن بله: صالح كثير الكرامات.

- محنض بن اسليمان بن محمذن بن سيدي بن الصافي بن المختار بن المزضف بن بله: السائح القارئ.

- الحريري بن المختار بن المزضف بن بله: بيت شرف وثقافة واسعة ومهارة بالقرآن العظيم.

- والد بن الحريري بن المختار بن المزضف بن بله: بيت شرف وثقافة واسعة ومهارة بالقرآن العظيم.

- محمد بن والد بن الحريري بن المختار بن المزضف بن بله: بيت شرف وثقافة واسعة ومهارة بالقرآن العظيم.

- سيدي بن محمد بن والد بن الحريري بن المختار بن المزضف بن بله: القارئ الأديب الراوية المؤرخ. ت1381هـ.

- محمد بن سيدي بن محمد بن والد بن الحريري بن المختار بن المزضف بن بله: قارئ.

- محمذن بن اجدود بن أبي الحسن بن بله: عالم مشهور.

– محمذن بن علي بن السيد بن أبي الحسن بن بله: عالم لغوي مدرس مؤلف له "تحصيل السيوب فيما للعرب من الحروب" مجلدان الأول فيما وقع في الجاهلية والثاني فيما وقع في الإسلام، وله شرح على المعلقات، وشرح على لامية الشنفرى، وقصيدة تبلغ 309 بيتا في معجزات النبي ﷺ وشرحها، وكانت مدرسته عامرة بالطلبة يعلم القرآن والعلم، ويقوم على المسجد والضيف ويحفر الآبار بنفسه.

– أحمد سالم بن محمد بن أحمد بن السيد: عالم جليل برع في تدريس القرآن الكريم[1].

– حبيبي بن أبي الحسن بن بله: صالح مشهور[2].

– محمدو بن العاقل بن حبيبي: عالم رئيس[3].

– آب بن المبارك بن حبيبي وبنوه: كلهم ذو علم وسيادة وفضل[4].

– محمذن فال بن جيج بن أحمد بن محمذن بن بله: رجل صالح[5].

– حويبك بن الفالي (=عمي) بن المختار بن عثمان بن يعقوب بن أشفغ ابهنض يحيى بن مهنض أمغر: العالم الصالح.

– الأمين (=مينين) بن حويبك بن الفالي بن المختار بن عثمان: عالم جليل.

– محمذن بن الأمين (=مينين) بن حويبك بن الفالي بن المختار بن عثمان: عالم جليل.

– محنض بن محمذن بن الأمين مينين بن حويبك بن الفالي بن المختار بن عثمان: عالم جليل. له شرح على الكبرى للسنوسي، وشرح الشمقمقية، وشرح محفوظات الجموع لمحنض بابه، وطرة على الكوكب الساطع للسيوطي، وشرح

---

(1) لم نجده فيما وجدناه مرقونا مما كتب ابن حامدن عن إيدابهم، حيث لم نجده كاملا. وهو في المطبوع إضافة من المحقق. (المختار بن حامدن، حياة موريتانيا، الجزء السادس عشر، بعض المجموعات الشمشوية، مرجع سبق ذكره، ص331-343).

(2) المرجع نفسه، والصفحات نفسها.

(3) المرجع نفسه، والصفحات نفسها.

(4) المرجع نفسه، والصفحات نفسها.

(5) المرجع نفسه، والصفحات نفسها.

على جواهر ابن الطيب، وسلم الأخضري كلاهما في المنطق.

– خالنا بن عمي بن المختار بن عثمان: عالم صالح[1].

– محمد والد بن المصطفى بن خالنا بن الفالي (=عمي) بن المختار بن عثمان: العلامة الحبر المؤلف النظام الكاتب الشاعر الناثر، حدث عن البحر ولا حرج. من تآليفه "شفاء الغليل وراحة العليل بشرح مختصر خليل"، وتسميه العامة "معين والد"، وله كتاب في أنساب القبائل فقد أكثره، وكتاب في كرامات أولياء قبيلة تشمشه عكس فيه قدرته البلاغية، وغزارة مادته اللغوية.. وله شعر غزير باللغة العربية، وله أيضا قصائد باللهجة الصنهاجية، ومقطعات صنهاجية أخبر فيها عن مغيبات ظهر ولا زال يظهر صدقه فيها، وله منظومة في وفيات الأمراء والكبراء من أهل الكبلة ت. أواخر 1212هـ.

– محمد فال بن محمد والد بن المصطفى بن خالنا بن الفالي بن المختار بن عثمان: الذي كان يستر كراماته. خلف أباه والد في علمه وصلاحه وكراماته وكشوفاته، توفي 1248هـ عن ابنته الصالحة امنيانه "وما شر الثلاثة..."، وهي أم العلامة امحمد بن أحمد يوره وأخيه محنض.

– محمدن (=بدن) بن سيدي بن أحمدناه بن محمدن بابه بن المختار بن محمدي بن عبد الله بن المختار بن خالنا: شاعر أديب باحث[2].

– محمدن بن بابكر بن آبر بن محمدن بن حوبك بن عمي بن المختار بن عثمان: عالم له اليد الطولى في التركة[3].

– عبد الله بن المختار بن محمدن بن بابكر بن آبر بن محمدن بن حوبك بن عمي: صالح معروف كريم[4].

– محمد عالي بن محنض بن محمدن بن الأمين بابه بن عبدي بن محمدن بن

---

(1) المرجع نفسه، والصفحات نفسها.

(2) المرجع نفسه، والصفحات نفسها.

(3) المرجع نفسه، والصفحات نفسها.

(4) المرجع نفسه، والصفحات نفسها.

حويك بن عمي: علامة متفنن متصرف. أنشأ محظرة كبيرة لتدريس العلم والقرآن. وكان بارعا في سر الحرف. له رسالة في الفلوس، ورسالة في حكم جلود الأضاحي [1].



---

(1) المرجع نفسه، والصفحات نفسها.

جرد بأهم مواطن إيگيدي

– أگننت (42 كلم جنوب الكلم 70 شرقي انواكشوط): بئر لقبيلة إيجگوجي الشمشوية احتضنت تشمشه الذين أسسوا بها حلفهم، وكان أحفادهم يتعاهدونه بها. من المدفونين فيها خليد بن متيلي بن سيدي الفاللي.

– انفزي (26 كلم شرق الكلم 60 جنوب انواكشوط، 4 كلم غرب الفريوه): إلى الغرب منها ربوة انبراگه 2كلم منها) وبين انفزي وامبراگه قبر ديمان.

– ابير محمد (11كلم جنوب غرب الكلم 71 شرقي من السبيخات): بقربها قبر باهنيتا بن الفاللي بن يدوك حفيد معصم صار الديماني.

– ابير لحمار –بترقيق الراء– (=بير الصلاّح) (5كلم جنوب بلشائه): بها قبر إبراهيم بن الكوري بن سيدي الفاللي الديماني.

– أگنوذيللّ (3 كلم جنوب الكلم 63 شرقي انواكشوط): بها مقبرة دفن من أعلامهما محمد الكريم بن الفاللي بن الكوري بن سيدي الفاللي الديماني.

– آخويجيل (18 كلم جنوب الكلم 66 شرقي انواكشوط): بها مقبرة معروفة من أعلامها بابحمد بن يعقوب إلل بن ديمان حضر مع أحمد بن دامان توقيع اتفاقيته مع الهولنديين، وابنه الفاللي بن بابحمد.

– ابير النص (30 كلم شمال المذرذرة، 10كلم شمال انيفرار): سكنها أهل أعمر إيديقب الديمانيون فترة من الزمن.

– إيفرشي (20 كلم جنوب الكلم 65 شرق انواكشوط غرب تندگسمي): بها قبر يدن يعقوب –جد إيدودنيعقب– سادس الخمسة (=تشمشه).

– أفنغيل (20 كلم جنوب الكلم 70 شرق انواكشوط): 2كلم جنوب شرق تندگسمي): من أعلام مقبرتها الغلاوي بن الفاللي بن بابحمد الديماني.

– اعگيلت الوزغه (23 كلم جنوب الكلم 87 شرق انواكشوط، 5 كلم جنوب شرق تنديله) بقربها قبر الحسن دوبك (راكب الأسد) جد أهل أگد الحسن (=أگد الحسن) الديمانيين.

– آونيگات (75 كلم شرق انواكشوط)، بها حاضرة لأولاد أشفغ حبلل الشمشويين.

- إكرم (85 كلم شرق انواكشوط): بها الآن حاضرة لأولاد بابحمد بن يعقوب إنلل بن ديمان، إلى الشرق منها ربوة إكرم إحدى الربوات (="زيرات الاشواف") المشهورة في المنطقة.

- انهكاره (18 كلم غربي المذرذرة): بها الآن حاضرة مشهورة للألفغيين.

- انويش (30 كلم شمال شرق المذرذرة): عن شمالها الشرقي (6كلم منها) تن امهيتين في حدود إيكيدي الشمالية الشرقية، وعن جنوبها الغربي (5كلم منها) آكويفيطات، وعن شمالها الغربي (3كلم منها) ابير المعلوم.

- آشكركط (30 كلم شمال المذرذرة، 10 كلم جنوب الدوشلية): بها مقبرة كبيرة من أعلامها احمد بن حامتو الديماني اليدهنضي، وزياد بن حامتو الديماني الأبهمي (ت1248هـ/ 2-1833م)، وأشفغ يحيى بن أحمد شلل، وابن أخيه الفاللي بن الكريم، والمختار بن ألجد المشهور بنوادره، ثلاثتهم من أولاد بوميجه الديماني، وحويك، وبابه فال صاحب النوادر المشهور، الأبهميان. كان آشكركط من منازل أهل انيفرار، ومثله بوحفره الواقع جنوب شرقيه.

- آمساديغ (30 كلم شمال غرب المذرذرة): بها مقبرة من أعلامها متالي بن محمد بن بلله، ومحمذن بن أشفغ عبد الله، وابنه انبد ثلاثتهم من إيدابهم الديمانيين.

- انيفرار (40 كلم شمال المذرذرة): سميت في عهد ناصر الدين بانوثلل (=ذي المساجد) لكثرة ما بني فيها من المساجد (كانت مبنية بالثمام) في سنوات التوبة. وهي الآن حاضرة لأهل أعمر إيديقب الديمانيين الأبهميين اشتروها من الألفغيين الذين سكنوها فترة طويلة ثم ارتحلوا عنها. وحول انيفرار مدفنان: بومراره ومن أعلامه المصطفى بن شدار الديماني الفاضلي، ومحمد فال بن الحمد، وابا بن أبا وأشفغ عبد الله بن ألفا بن الزبير من أهل أعمر إيديقب الديمانيين. وأغكْجس وبها عدد من أعلام آل الشيخ أحمد بن الفاللي الديماني الأبهمي. وعلى بعد 3 كلمترات من انيفرار شرقيه لعبونه سكنها أهل انيفرار فترة من الزمن، كما سكنوا بوزيله على نحو 4كلم غربيه. وبإنيفرار دفن الزوايا طبلهم بعدما أودعوا فيه حلي النساء تحسبا للهزيمة في شربه، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها لم يعثر عليه لانطماس محله.

- انيارگن (45 كلم شمال المذرذرة، 5كلم شمال غربي انيفرار): كان بها حرث

للشيخ أحمد بن الفالي الديماني الأبهمي، وملكيتها الآن لإيدگبهني الشمشويين.

– أبكاك (24 كلم شمال المذرذرة): كانت بها حديثا حاضرة لبعض أولاد باركلل الديمانيين.

– أغنجبرت (17 كلم شمال المذرذرة): اندرست، وكانت من أول ما حفر في أيگيدي بعد شربه، بقربها قبر انبيكله بنت سيدي الأمين بن باركلل بن يعقوب إنللا بن ديمان والدة محمد اليدالي، وقبر سبطه المعروف بالصلاح محمذن بن حرود الفاضلي. وإلى الجنوب الشرقي من أغنجبرت (7كلم) تنديدكان سميت باسم إحدى قبائل انگادس القديمة، بها قبر محنض بن الحاج بن المختار أگد عثمان الديماني الأبهمي.

– أگندنيت (8 كلم شمال المذرذرة): بها مقبرة كبيرة أول من دفن فيها أحمد زروق بن الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي الديماني، ومعه بگي بن سيدي الفالي، وابنه البراء (ت1336هـ/ 7-1918م).

– ابير حبيلل (20 كلم شمال شرق المذرذرة إلى الغرب من التاگلالت): بها مقبرة مشهورة، من أعلامها سيدي الأمين بن أعمر اليزيگتيذه الديماني الأبهمي، والماقوز بن الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي الديماني، وعمر بن ابن عبلدم (ت1334هـ/ 15-1916م) الديماني الفاضلي، وأحمد بن المنجي الديماني الأبهمي، وخديج بنت العاقل الديمانية الأبهمية العالمة المشهورة بالبراعة في المنطق.

– ابير هلي (27 كلم شمال غرب المذرذرة): بجواره مقبرة، من أعلامها الفقيه سيدي أحمد بن الحاج التمگلاوي أول من جلب شرح القسطلاني على البخاري إلى هذه البلاد، قادما من الحج.

– ابير التورس (13 كلم غرب المذرذرة): بها حاضرة أهل المختار أگد عثمان الديمانيين الأبهميين.

– انتجبرن (50كلم شمال غرب المذرذرة): غير مأهولة حاليًا.

– اخروفه (60 كلم شمال غرب المذرذرة): أقام بها الفرنسيون مركزًا عسكريًا سنة 1320هـ/ 1902م قبل أن يغادروها إلى المذرذرة.

– انبنبات (تبدأ من حدود النمجاط الجنوبية 65 كلم شمال غرب المذرذرة):

سلسلة أنجاد مرتفعة متشابكة، بها آبار معروفة أكثرها دارس منها: بوتيشطايه، والعارف، وابلعكاك، وبومعيزه، وافكيرينات، وابير لمسيد، وشك الخيمة، والفاطم، وما ينظاك، والمعركب، والمان...إلخ. من أشهرها انبيه (انبيت أحمد)، بقربها مدفن شهير فيه أحمد بن العاقل الديماني الأبهمي (ت1244هـ/ 28-1829م)، ومحمذن بن الفظيل الديماني الفاضلي (ت1315هـ/ 1897م)، وكثير من الأفاضل والأعيان.

- انبيكت أجمال (46 كلم شمال غرب المذرذرة، 6 كلم شمال غرب انيفرار): بجوارها مقبرة كبيرة فيها كثير من الأعلام الشمشويين.

- انبيكت اديار (40 كلم شرق الكلم 65 جنوب انواكشوط (1298هـ/ 1881م).

- انبيكه الساحليه (35 كلم شمال غرب المذرذرة، إلى الشمال من ابير التورس): بجوارها اخناثات وهي ربوات عالية سميت على اخناثه بنت أنيوال الكتيبية التي كانت مضرب المثل في الحسن والحظوة.

- انبيكت أولاد ساسي (36 كلم شمال المذرذرة، 4 كلم جنوب غرب الدوشليه): بقربها مدفن فيه عدد من الأبهميين منهم العالم الشاعر محمذن بن علي بن السيد.

- انبيكت النص (30 كلم شمال المذرذرة): وهبها أهل أعمر إيديقب الديمانيون لإيدودن يعقب، فحفروها وعمروها فترة من الزمن.

- انبيكان (23 كلم شمال غرب المذرذرة، قريبا إلى الشرق من بودفيه): كانت من حواضر السوادين القديمة، ثم نزحوا عنها جنوبا خلال الاجتياح الحساني للمنطقة. وإلى الشمال منها زيرت النص، وآككان، والمتريفده، وواد البكص.

- انتماظي (50 كلم شمال غرب المذرذرة): بقربها مدفن به عدد من الأعلام الشمشويين، وعن شمالها الشرقي آرويگن، وعن شمالها الغربي اندوشت.

- انتوطفين (33 كلم جنوب الكلم 71 شرق انواكشوط): بها مقبرة شهيرة من أعلامها محمد بن أشفغ مينحنه الديماني الفاضلي المودي، والفاللي بن المختار أگد عثمان الديماني الأبهمي. وعن شمالها (7 كلم منها) بومبيبيغه.

- انتوفكت (40 كلم جنوب الكلم 70 شرق انواكشوط): بها مقبرة شهيرة من

الشمشويين.

– انتيزيت (7 كلم جنوب الكلم 70 شرق انواكشوط، بين السبيخات وآوليگات): بها قبر بل (=عبد الله) بن المختار أگد عثمان الديماني الأبهمي (ت 1100هـ/ 1689م).

– اندبقو (35 كلم شرق الكلم 55 جنوب انواكشوط، 12 كلم شمال شرق الفريوه): كانت قديما موطنا لبافور. بجاورها قبر بوتف (=المصطفى) بن مودي مالك الديماني الفاضلي، وبالقرب منها بئر أيتمر (=المريفگ)، وبئر انگكو، وقد درست.

– اندشّيج (30 كلم جنوب الكلم 71)، بقربها قبور بعض الأعلام الشمشويين.

– انگيگم (35 كلم شرق الكلم 75 جنوب انواكشوط، نحو 15 كلم جنوب الفريوه): بها الآن حاضرة لليعقوبيين الشمشويين.

– بير السعادة (68 كلم شرق انواكشوط) تمثل الحدود الشمالية لإيگيدي بها قبر سيدي الفالي بن محنض بن ديمان (ت 1047هـ). كانت تسمى ابير المدلش، وتنداعمر ابداك بطن منهم، فلما قال ناصر الدين إن من دفن بها مع سيدي الفالي لا يعذب في البرزخ ولا في الآخرة سمتها الناس بئر السعادة.

– بولمساك (15 كلم جنوب الكلم 71 شرقي انوكشوط إلى الشرق من السبيخات): بها مقبرة كبيرة لليداليين الشمشويين.

– بلشانه (45 شرق الكلم 60 جنوب انواكشوط): إلى الشرق منها على بعد 3كلم تقع الربوات القديمة المعروفة ببلشانات، وإلى الشمال منها (1كلم منها) اتويگميط التي كان بها تشمشه عندما جاءهم الخاظير قائد الرماة لتغريمهم فصرفه الكوري بن سيدي الفالي الديماني عنهم.

– باجليلاي (7 كلم غرب المذرذرة): بها قبر أشفغ الأمين بن سيدي الفالي الديماني (ت 1101هـ/ 1689م). وإلى الشمال الغربي منها باجليلاي الجديدة. بها حاضرة لليداليين الشمشويين.

– بنيامز (42 كلم شمال المذرذرة، 3كلم جنوب اللبين): بها قبر الأمين بن الماحي بن الحسن دريك الديماني، من قضاة تشمشه في عصره، وممن أخذ عنه

محنض بابه بن اعبيد الديماني.

- بودفيه (20 كلم شمال غربي المذرذرة): بها قبر الشيخ سيديا بن الشيخ أحمدو بن اسليمان بن أحمد سالم، والمختار بن محمد امبارك بن اسليمان بن أحمد سالم، وجدنا أحمد بن محنض ميلود بن اليدالي بن أحمد سالم الديمانيين الباركلليين.

- بظي (10 كلم شمال شرق المذرذرة): اغتيل عندها المختار السالم بن الأمير محمد الحبيب 1290هـ/ 4-1873، من طرف بعض رجال الأمير اعلي بن محمد الحبيب.

- بئر اشبار (50 كلم شمال غرب المذرذرة، 5كلم شمال المنار): من المنازل التي نزل ناصر الدين، وفد عليه فيها وفد تنيخلف الديمانيين.

- بوسدره (55 كلم شمال غرب المذرذرة، جنوب المنار قريبا منه): بقربها مدفن به عدد من الأعلام الشمشويين.

- التاكوفيت (35 كلم شمال شرق المذرذرة، جنوب شرق انويش): عندها اجتمعت تشمشه أوائل القرن 11هـ، حذرا من جيش العروسي الذي كان يسعى إلى تغريمهم. بقربها مقبرة معروفة، من أعلامها سيدي أحمد بن مامين (ت1350هـ/ 1-1932م)، وأخوه أحمدو بن مامين توفي قبله بقليل، والمختار بن العثماني، وحامدن بن الأمين الديمانيون اليدهنضيون.

- تندگسمي (20 كلم جنوب الكلم 68 شرق انواكشوط): أول من دفن بها أشفغ يعقوب بن أشفغ أبياي (=أبياج) يعقوب بن مهنض أمغر الديماني، على كثيبها الغربي. بها الآن حاضرة لإيدوداي، وبها مقبرة عامرة من أجلائهم على كثيبها الشرقي. وعن غرب تندگسمي (1كلم) تقع أم الطبل، وعن شمالها (2كلم) تقع بئر العارف، وعندها حاضرة لليداليين، وعن شمال العارف تقع بئر السبيخات، بها هي الأخرى حاضرة لليداليين أيضا. وعن جنوبها الشرقي تنورلل بئر قديمة بها قبر محمد بن أحمد أشفغ انتجمذن (=شيخ التلامذة) الديماني اليدهنضي.

- تن الضّيج (32 كلم جنوب الكلم 71 شرق انواكشوط): بها مقبرة مشهورة فيها أحمد بوراص بن مودي مالك الديماني الفاضلي.

- تنفنجه (20 كلم جنوب الكلم 65 شرقي انواكشوط، 3كلم غرب تندگسمي): بئر قديمة كانت موطنا لإدغبانو وباران وجاران والرغيوات. بها ضريح مينحنه (ت1151هـ) بن مودي مالك الديماني الفاضلي.

- تنومك (23 كلم جنوب الكلم 62 شرقي انواكشوط، 7كلم جنوب غربي تنفنجه): عندها الآن حاضرة لإجكوجي الشمشويين.

- تنديلمه (19 كلم جنوب الكلم 83 شرق انواكشوط): أقطعها أولاد رزگ لامرابط مكه، ثم آلت إلى الألفغيين، وعندها الآن حاضرة منهم، وإلى الجنوب منها (7كلم) آوليگ تنديله به آثار حفريات قديمة.

- تينشيكلي (25 كلم شمال غربي المذرذرة) أول ما حفر من إيگيدي بعد شريبه، حفرها الفاللي بن الكوري وسيدي بوبكر الفاضليان، وأقام عندها الفاللي على أيتام شريبه. بقربها مدفن كبير من أعلامه الخير بن ماهي بن سيدي الفاللي الديماني وهو أول من دفن به وبابه بن الفظيل الديماني الفاضلي.

- التاگلالت (20 كلم شمال شرق المذرذرة): بها الآن حاضرة أولاد سيدي الفاللي بن محنض بن ديمان. من أول من دفن بها شدار (=سيدي المختار) بن آشفغ الأمين بسيدي الفاللي الديماني.

- تنبراره (53 كلم شمال غرب المذرذرة): بئر مندرسة للألفغيين الشمشويين.

- تمغرت (35 كلم شرقي الكلم 60 جنوب انواكشوط، جنوب شرقها): مشهورة بقبر أحمد بزيد بن يعقوب الشمشوي اليعقوبي، ابن خالة بابحمد وأحمد شلل (=بوميجه) وباركلل أبناء يعقوب إنلل بن ديمان.

- تنگن (15 كلم شرق الكلم 95 جنوب انواكشوط): بقربها مقبرة معروفة. وإلى الشمال الشرقي منها (5كلم) بئر الثيان (=احسي البارد)، وإلى الجنوب منها (5كلم) ابريبيره، وإلى الجنوب الغربي من ابريبيره تنغيدسات.

- تنورمي (3كلم من آگننت غربيه): بئر قديمة أخبر ناصر الدين بأن بها قبرا لأحد النيسابوريين.

- تنيخفيج (=تنيخفي) (45 كلم شمال غرب المذرذرة): غير مأهولة اليوم.

- تميلفه (54 كلم شمال غرب المذرذرة): بها قبر أحمد الورع بن الفاللي بن

بابحمد الديماني البابحمدي، وحرود بن ميلود الديماني الفاضلي، وداداه بن محمدذن بن ألمين والمختار بن ألفه الديمانيان الأبهميان.

– تيفدّي (30 كلم جنوب الكلم 75 شرق انواكشوط): غير مأهولة اليوم.

– تنديجتاج (40 كلم شمال غرب المذرذرة): بقربها مدفن من أعلامه سيدي الغليظ بن متيليّه من أهل الحسن دويك الديماني.

– الدوشليه (40 كلم شمال المذرذرة): بها الآن حاضرة أولاد بوميجه (=أهل أحمد شلل بن يعقوب إنلل بن ديمان).

– الديخن (50 كلم شمال غرب المذرذرة، 3كلم شمال غرب المنار): بقربها مقبرة كبيرة من الشمشويين.

– الطرحه (16 كلم جنوب الكلم 73 شرقي انواكشوط): بها مقبرة كبيرة من الشمشويين.

– الگللي (55 كلم شمال غرب المذرذرة): بها قبر العالم المدرس احبيب بن حمدن الديماني الأبهمي. وبقربها اجفيفد (5كلم شمال غربه) بها مقبرة كبيرة مندرسة.

– تگرمن (50 كلم شمال غرب المذرذرة): بها الآن حاضرة لإيداشغه الشمشويين.

– لبهيگه (30 كلم شمال غرب المذرذرة): غير مأهولة اليوم.

– لغويف (3كلم جنوب شرق الكلم 58 شرقي انواكشوط): غير مأهولة اليوم.

– لفلاقد (8كلم شمال غرب آمنيگير): واحد من سلسلة من الغلفد، وهي أنجاد وأغوار بالمنطقة بها نبات متسلق للشجر. بقربه قبر محمد العاقل بن محنض الديماني الأبهمي. وقريبا منه إلى الشمال انتاترامته، ولغوينم.

– لفريوه (30 كلم شرق الكلم 60 جنوب انواكشوط): بها الآن حاضرة من المدلش.

– اللين (45 كلم شمال المذرذرة، 4كلم شرقي انتمركاي): بها قبر الصالح الفاضل العادل بن آبر البوميجي، واعبيد (المختار) بن أحمذن بويه الباركللي والد محنض بابه بن اعبيد، وحفيده بابه بن محمودن.

- المحرد (58 كلم شمال غرب المذرذرة): كانت بها حاضرة لأولاد حبيني الألفغيين الشمشويين، رحلوا عنها 1982م، وأسسوا المحرد الثاني شمالي المذرذرة.

-المذروم (20 كلم غرب المذرذرة): غير مأهولة اليوم.

- المذرذرة (150 كلم جنوب شرق انواكشوط): كانت تسمى تن ديگرتن باسم إحدى قبائل انگادس القديمة، واشتراها من عندهم أولاد بزيد في عهد الأمير أعمر بن المختار بأربعين جذعة من البقر. ويقربها إلى الشرق منها أغزگريت (8كلم منها) اشتراها حرمه بن المختار بن المعزوز الديماني الفاضلي بأربعين بنت لبون من بنيوگ بن احميتي رئيس أولاد عايد أوان نزوحهم إلى شمامه. وقريبا منها جنوبي غربها (3كلم) بئر الميسر. وعن جنوب غربها (8كلم منها) أفجار المحفورة حديثا. وعن جنوبها (8كلم منها) الشارات، حاضرة الطلابين الشمشويين التروزيين. وعن غربها (4كلم عنها): الدار البيضاء حاضر إيدودن يعقب الشمشويين. وعند مدخلها الشمالي الغربي (3كلم) تن بيظه: كانت من حواضر الفاضليين الديمانيين. وعن شمال غربها (7كلم): احسي المحصر، تحضرت عنده حلة الإمارة مدة ثم رحلت عنه.

- ملزم الزريبة (45 كلم شمال غرب المذرذرة): سمي بذلك لأنه كان في حدود الزريبة التي زرب بها شداد بن أشفغ الأمين بن سيدي الفالي الديماني إيگيدي لحمايته من السباع. به مقبرة مشهورة من أعلام تشمشه.

- المنار (45 كلم شمال غرب المذرذرة، 10 كلم جنوب شرق النمجاط): من حواضر إيدوداي الشمشويين، ويقربها ربوة أيدگندز بجوارها مقبرة مشهورة بها عدد من أعلام تشمشه.

- المنحر (55 كلم شمال المذرذرة): بقربها مقبرة من أعلامها المبارك بن الماقور وخيلوم بن محمد بن المزضف (=المصطفى) الديمانيان الفاضليان.

- الميمون (57 كلم شمال غرب المذرذرة): بها مقبرة شهيرة من أعلامها محمذن بن أحمد بن العاقل الديماني الأبهمي (ت1281هـ/ 64-1865م)، وابنه عبد الله، وأخوه محمد فال المشهور ببيها (ت1334هـ/ 15-1916م)، وابن هذا الأخير محمذن الشهير بامبي، وامحمد بن أحمد يوره (ت1340هـ/ 1922م).

- النمجاط (65 كلم شمال غرب المذرذرة): كانت لإيدوادي، وآلت للشيخ

سعد بوه بن الشيخ محمد فاضل الكلكمي، فأصبحت حاضرته وذريته من بعده. وعن شمالها الغربي (7كلم منه) لمعركب، وعن شمالها الشرقي (3 كلم منه) تن انجو التي جاء أوديكه الاكرع الامباركي إلى بني يعقوب فيها يريد المغرم، فجاءه النذير وارتحل عنهم، ولم يظفر منهم بشيء.

****

ومن لمكل المعادية لإيكيدي التي استوطنها أولاد ديمان في فترة من الفترات أو تشمشه فانسحب عليها حكم إيكيدي:

- أمنيكير (60 كلم شمال أو شمال غرب المذرذرة): كانت عگلة للمحسنيين فاشتراها منهم أحمد بن باركلل بن يعقوب إنللي بن ديمان بأربعين جذعة من البقر. عندها الآن حاضرة لأولاد باركلل، وبها مدفن دفن فيه محنض بابه بن اعبيد (ت1277هـ) وعدد من أبنائه وحفدته. وعن الجنوب الغربي لأمنيكير (12 كلم منه) بئر بري وقد اندرست، وعن جنوبها (7كلم منه) بئر انيكنن، وقد أقفرت، وعن شمالها (6كلم منه) وادي انديگني كان وطنا لحامدن بن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد.

- أتش بئر (50 كلم شمال المذرذرة، 10 كلم شرقي آمنيكير): بها رأى ناصر الدين رؤياه التي كانت مبتدأ أمره، فأصبحت تسمى بئر ناصر الدين، وحفرها الجديد إلى الشمال عن موقع حفرها القديم.

- أودش (15 كلم جنوب الكلم 86 على طريق الأمل شرقي انواكشوط): بقربها مدفن من أعلامه محمذن بن المختار بن محمد الكريم الديماني الفاضلي. وإلى الجنوب من أودش: أودش الگبلي، كان به أولاد أبييري، وبمقبرته عدد منهم من أعلامهم اعلي بن محنضنلل شارك إلى جانب الزوايا في حرب شرببه، والمختار بن عبد الفتاح.

- أجله (65 كلم جنوب الكلم 111 على طريق الأمل شرقي انواكشوط): إلى الغرب منها بئر أكتص، وإلى الغرب منها وادي انتمارض.

- انتمركاي (40 كلم شمالي المذرذرة، 5كلم شرقي الدوشلية): بقربها مقبرة من أعلامها سيدي أحمد بن أسمه الديماني البابحمدي (ت1392هـ/ 1973م).

- تنيخلف (60 كلم شمال المذرذرة، 11 كلم شرق آمنيكير، و9كلم شمال غرب الدوشلية): بقربها مدفن شهير من أعلامه الكوري بن سيدي الفاللي الديماني (ت1112هـ/ 1700م)، وأخوه حبلل، وبوبكر وزين العابدين ابنا أشفغ الأمين بن سيدي الفاللي الديماني، وأحمد بن امحيميد الديماني الفاضلي، ومحنض بن الغلاوي بن الفاللي بن بابحمد الديماني، وحفيده وبيدح بن الناسك بن محنض،

ومحمذن بن احميد البوميجي الديماني، واسليمان بن أحمد سالم وابنه الشيخ أحمدو وابنه الشيخ سيدي محمد (=اباه ديدي) الديمانيون فم من أولاد باركلل، ووالد بن خالنا الديماني الأبهمي. وإلى الشمال من تيجقلف (3كلم منها) لعظيميه، وإلى جنوبها وادي اندوشن، وإلى جنوبها الغربي بئر بقاس.

- الشكاط (60 كلم شمال المذرذرة، 9كلم شرق آمنيگير): بقربها مقبرة من أعلامها أبو بكر بن محنض انهايت الديماني البابحملي، وإلى الشرق منها عن قرب لعوينات، كانت تسمى انتدججن (=الأواسي).

- لحجوريه (5 كلم جنوب الكلم 90 من طريق الأمل شرقي انواكشوط): بها مقبرة من أعلامها المختار بن قطرب وابنه أحمدو، وعبد الله بن المختار بن بيليح الديمانيون البابحمليون.

ومن العريه المحاذية لإيگيدي التي استوطنها أولاد ديمان في فترة من الفترات أو تشمشه فانسحب عليها حكم إيگيدي:

- أغورص (30 كلم جنوب الكلم 55 من طريق الأمل شرقي انواكشوط): عندها الآن حاضرة لأهل بوفلان الشمشويين. بقربها مدفن شهير من أفاضل الشمشويين.

- تنياشل (26 كلم جنوب الكلم 57 من طريق الأمل شرقي انواكشوط): كانت من معاقل أولاد رزگ، ثم سكنها تشمشه بعدهم، وعندها الآن حاضرة لإيجكوكي الشمشويين. من أعلام مدفنها أشفغ عبد الله بن أعمر يزيگنذه الديماني الأبهمي، والمختار بن محمد الكريم الديماني الفاضلي. وعن جنوبها الغربي انبيز، وهو حرث قديم لمحم صار بن همر صار الديماني الفاضلي المودي دفن به، وعن غربها ريوانت انوجيج، وعن شمالها بئر الملروم.

- تيلماس (17 كلم جنوب الكلم 37 شرقي انواكشوط): كانت بها إحدى وقائع حرب شربه المشهورة[1].

❁❁❁

(1) المختار بن حامدن، حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، دار الغرب الإسلامي، 1994، ومحمذن بن عبد الله، التعريف بالأماكن في مناطق إيگيدي والجزء الغربي من العگل والعريه، بحث لنيل شهادة الاجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة انواكشوط، 2001-2002.

نظم الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا الأبييري

لنوادر هزل أولاد ديمان

يا رائما هزل بني ديمانا   دونك منه جملا حسانا

واعلم بأن منهمُ فرسانا   قد سلكوا من قبل ذا الميدانا

وقصب السبق بذا المجال   مسلم فيه لباب فال

وهو الذي قد قسم الفيل على   جميع من كان لهم مستقلا

وألزم التياب في القسامه   نسأل من إلهنا السلامه

"كنيج" من الأيمان بين الحجر   في أنحس الأيام بعد العصر

وكلما لقيه ممن أنكسرا   نبحه طورا وطورا "عرعرا"

سيان من يدري وغير الداري   في هزله كالخنفسا والفار

والحمد من نفسي لبزوم الخمُر   للنوق مثل "لبنات" الحمُر

ومنه فيما قد روى رواته   لم تنج أمه ولا بناته

فأمه بينما تسير جانيه   بعض الجنى يوما هوت في هاويه

فرام كتم أمرها أخوه   ولم يساعد بباب فال فوه

فجعل الأخ له جماله   وحين جاء صحبه استقاله

وبنته لم تات بنت بسان   وهي تميس مثل خوط بان

كأنما البيض لها مفروش   فقال ذاك كله "منفوش"

لاقى من إيشكي فتى فأعجبا   بسمته حتى استفز أرنبا

فصفق الفتى بلا توان   وقال: مرت بنت "إنجكان"

وقال للذي أمامه انبرى   سبقتني لكن سبقتك ورا

وإذ تكاثرت شيوخ التربيه   أشرك "منكو" معهم في التسميه

ومنهمُ محمذن ميلود ... من ظرفاء عصره معدود

وهو الذي قد سقط العجل عليه ... بعد إبائه فضمه إليه

حبا رئيسا بركوب جمله ... بشرط أن يمسك بعض ثقله

وقال للذي به استعانا: ... دعني فإني قد سمعت الأنسا

في قوله المشهور لم يختلفوا ... أنا وعثمان هنا والكتف

ومنهمُ نجل الفظيل بابا ... فتح من سبل الذكاء بابا

كتابه قطعه من آذا ... كل الأذى فقال: ما معنى ذا

وقال إذ أوتي بلحم الحوت ... ديمان لا تأكل لحم الكوت

وابن الكريد جاء ذا تطفل ... لفتية تجمعوا للمأكل

فقام منهم واحد فلطمه ... فمسح العيش وبادر فمه

وقال: إني للنوال حامد ... أعد بها إن الكريم عائد

ومنهمُ أيضا سليل امخيطرات ... وهو الذي قد فاز بـ"المصطحبات"

لاقى كبيرا من أكابر "البنوس" ... حضر مرتين فتنة الفؤوس

وكم حكاية له ظريفه ... تنبئ أنه هو الخليفه

ومنهمُ أيضا كذاك الكسور ضال ... أقواله ماكان يحصيها مقال

منها فتاة أخذت حمارها ... من بعلها وأدركت أوطارها

وقال في عيش الرحى حين بدا ... ما كان يغني عنه عيش أبدا

وحبذا المبدع للبغال ... بغاله بديعة المثال

منها "بضيل" وهي بالإبدال ... أي جعل ضاد في مكان الدال

كذا التي كانت هي "الفيجال" ... ومثلها الوزن "فاعيعال"

ومن كلامه البديع المنتخب ... مع الأحبا أدب تسرك الأدب

ومنه من سافر بالإثنين ... رجّع سالمًا بدون مين

عند التنازع أبدان الأمرا   بقوله ضرب زيد عمرا

وصحفت السين فصارت شينا   كقوله شجبين في سجينا

وصحفت الحاء بخاء أعجمت   كقوله خُديجة واتقمت

ونصبوا وخفضوا ورفعوا   وجزموا وصرفوا ومنعوا

واقترن الحسر المكشف الأبي   من قوله سبحانه «اغفر لأبي»

وقائل في أبيه الشيخ المولي   ليس له توجه للإبل

والشيخ دون الجلف الجرفم   كمثل "الفرج" بلا قدوم

وجعلوا الأشياخ إذ عموا البلاد   في كثرة مشابهي عمي الجراد

وإن تعددوا بحي فالحجا   يكسون إذ ذاك إلى كهف الوجا

وهذه الأقوال عند العاقل   يبدو عليها وسم أهل العاقل

وبعضهم قال لمن مسح فاه   لا تنس في مسحك مسح الشفاه

وقال بعضهم لمن لم يربط   سرواله ركبتي بالملط

كذاك دفع بعضهم إناء   فثاتبا لطالب غطاء

وقال إذ أعطاهما من وقته   ضع فوقه هذا وذا من تحته

وامرأة كريمة الآباء   قد خلعت من عينها العوراء

ومن شفوت لضيفها نعليه   وقربتها فقرى إليه

وإذ تغدى الضيف قالت لما   سألها إنهما اثنما

ومن زيله عليه صولا   فقال هلا "دست" صاح أولا

وناقة للنحر شدوا عقلها   لما دنى الناحر خافوا قتلها

ومن الذي بعض أتى ليطردا   دنيا بحي منهم قد شردا

فما أجابوه لتلك الطِّلبه   بل عكسوا بطرده القضيه

لنحر أرضهم والأشياخ   فيها توقف على الطباخ

وفرقة الأشياخ ليس يرضى ... منها لسفيهم ممن يملك الأرضا

في أرضهم يؤول للفساد ... ممن ليس منهم أكمل الفساد

والملك للأرض بكمل فساد ... عابوا به بعض ذوي الإنشاد

كذاك عابوا غلط "التيار" ... في حوك بعض حاكة الأشعار

وإن تكن بين المعاني تعميه ... فذاك عندهم فساد التعميه

وسار وقدهم إلى الحي ... يرضونه من أسماء يكيد

حتى أناخوا عنده وسلموا ... ويجلسوا مقداره وعظموا

وسمروا وحكوا الأخبارا ... وطربوا وأنشدوا الأشعارا

فطرب العيش وطابت نفسه ... وطلعت بعد الأفول شمسه

فصار يهتز على الدوام ... حتى خشوا إراقة الإدام

حدثني محمذن نجل أحمد ... وكان في الوفد الذي له وفد

وهو الصدوق الثقة الظريف ... أن الذي أطربه الخفيف

وقال لا يسمعني سرداني ... ولا أصافح سوى ديماني

وكان يسأل عن الأحباب ... ذوي المودة وعن الأصحاب

وبات كلهم قرير العين ... لما رأى صلاح ذات البين

ومن ثنائهم عليه الفاخر ... عيش بسري أوله كالآخر

فهذه الجمل كالعنوان ... على نوادر بني ديمان

وإن تكن هزلا ففيها الجد ... إذ علمها به ينال الجد

لما انطوت عليه من إشاره ... ومن كنايه مع استعارة

يكتسب البصير منها والسميع ... علم المعاني والبيان والبديع

كذاك يجتنب سبل السفلا ... ويقتدي بالظرفاء النبلا

والحلم والحيل منها والأدب ... والفهم والجدال أيضا يكتسب

وقد أفنيت لظريف واجد   غير الذي ذكرته من زائد
أن يثبت الذيل لسلك المنظم   والله يحبونا بحسن الختم.

❀❀❀

تذييل المختار بن جنكي اليدالي

لنظم الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيديا

وامرأة خطب بنتها فتى ... قالت له حين رسوله أتى

إن ابنتي في الناس أجمعينا ... لم تتزوج المكلفينا

وفتية قد صنعت يوما غدا ... ورصدت أخرى لتلك رصدا

وبعد ماجاء الغدا قال النفر ... هلم إن العيش يا قوم حضر

قال لهم قوم الغدا وانقلبوا ... حائون عند العيش حتى تذهبوا

وإن أسا أكلا لديهم رجل ... قالوا له "أنهيج" أي كل يا فل

ورجل ركب يوما بقره ... وأنكروا فعلته المستنكره

فأمروا بنفخها عيدا لهم ... وغضب الفتى وعاب فعلهم

قالوا له إذ أغضبوه يا سري ... دونك فانفخ كل هذا البقر



كما يمكن تذييله
بهذه الأبيات متفرقة

من نظم بابكر بن إمام البدالي
لأنساب أولاد سيد الفاللي

وانسب لسيدي الفاضل النبيه	من ماله في العز من شبيه
منقذ الشا لذوي الجدال	من أسفل فانغلقوا في الحال
وزوجة الأمين نجل أحمدا	سليل سيار بن باب أحمدا
وبعد أن منها البنين ولدا	طلقها ثم عليها وفدا
متوهبا بنيه أجمعينا	فأنكرت أبوة البنينا
فنسبت لقيتهما ابن الحساحي	وضيفها الزرقاني من سفاح
واستشهدت شقيقها على المقال	فقال لا عما تقولين يسال.



نظم المختار بن جنگي اليدالي في طبع أولاد ديمان (مجمع البحرين)

بسم الإله أبتدي والحمد … لله أهل الحمد أعني بعد

فهاك نظما رائقا في الوزن … يستشنف الأذن بكل مستحسن

نظمته لمن بدينه احتفل … وعرضه ومن سواهما اختفل

يقي أذى الدارين من يأتمر … به ومنه الوجه لا يخمر

وذاك أن رأيت نهج المصطفى … ببدع سراجه قد انطفى

وطبع ديمان رسومه عفت … طباع غيرهم طباعهم نفت

أردت أن أنشر ما قد دثرا … لعله ينفع من قد عثرا

لأنني بالسنة الغراء … مذكر والفئة الوضاء

لعل ذكراي القلوب تنفع … وخفض حالي الإله يرفع

والسوء والبلاء عني يدفع … وفي أحمد الشفيع يشفع

وأرتجي من الكريم ذي المنن … نظمي في سلوك من أحيى السنن

ومنه أرجو نيل ما سألت … وهو حسبي وكفى فقلت

فحضرة الدنيا وهي بحران … موجهما ملتطم المران

وإن ترد عبرهما الأفواج … سباحة تقذفها الأمواج

ومستحيل للمجد العابر … أن يقطع البحر بلا معابر

فمعبر الحضرة هو الورع … نجا به الذين فيه كرعوا

وحده الأحوط في الأمور … جميعها المنهي والمأمور

فامتثل الأمر وللنهي اجتنب … في ظاهر وباطن بذا تنب

وسلم الحكم لرب قادر … ولامتثال الأمر فلتبادر

وروح الأعمال يرى الإخلاص … إذ في سواه لم يكن خلاص

والمرضى قصد اللبيب المداري ... وذاك لا يدرك في ذي الدار

والأمر صبرك الذي لا ينتهي ... وكظم نفسك عن الذ تشتهي

وقفو آثار النبي العالي ... في العقد والأقوال والأفعال

وترك الاحداث والابتداع ... لأنه إلى ضلال داع

في زمن الدخن والشوك التي ... أخبر عنهما مستقيم الملة

ولم يكن ملجأ سوى الكتاب ... والسنة الغراء للمرتاب

نسأل ربنا انكشاف الغمة ... عن الهوى عند فساد الأمة

ونرتجي عصمة الاعتقاد ... من الخطا وسوء الانتقاد

ومعبر الدنيا هو التيمن ... إذ هو ركن في الطباع أيمن

وغيره بالجانب اليساري ... عاد به ذو ثقل وسار

لأنه موسوم إلى طباع ... أفضل خير الخلق والأتباع

صلى عليه ربنا ما ازدانا ... بخلقه العظيم من قد دانا

وليس ذا الطبع يخص بملا ... معين بل هو طبع الكملا

وغالبا قد كان في ديمان ... لذا لهم أضيف في الأزمان

وحده الوقوف في مراصد ... علائم الحال من المقاصد

والعلما ذووه لا يعوزهم ... جهل المجهول بل ولا يهمزهم

وإن أذاع الجهل لم يبالوا ... بجهله لأنهم جبال

شأنهم التلويح والإشاره ... شأنا به تستهجن العباره

وترك الانهمام لذي التصافي ... لأن جل أمرهم محان

وحسن ومن أسى من الورى ... لم يفش ذاك حاضرا بله ورا

وأنت في تفخيم دينك ملوم ... والمال والصهر وجسم وعلوم

وطلب الحاجة بالإيماء ... عندهم ولو بنيل الماء

من غير تكرير ولا سؤل جواب ... بل كل ذاك عندهم ليس صواب

وزده سؤلك لسي موضحي ... عندي وإن شاء العلي مقضي

والكتم للمقاصد الدقيقه ... ولا يبينون لهما حقيقه

عن ذي الجفا وهو لديهم طرد ... وربما بقي وهو فرد

والطرد للضيف أتاك الليل ... ولا يكن للغير عنك ميل

أي فلتبت أخي إلى الصباح ... فأنت عاجز عن الرواح

أي فل كل فما أقل أكلكا ... واعلم بأن ذا جميعه لكا

ولرسول الخاطبين مرحبا ... بك وبرسالة لنا حبا

وذا المراد عندنا أن تستشر ... فلاننا لنا بذا الأمر يشر

والترك للغلو في الكلام ... وفي الطعام بل وفي المرام

والقصد في كل الأمور والقصص ... بل كل ذا يأتون منه بحصص

والضيف لم يمنح بذي الأموال ... و الرفعاء بل بكالموالي

والقسم للقريب والأشراف ... من الأودا ليس في الأعراف

والعرض في الطعام و الإمامه ... والسقي بالبير لهما علامه

بل كل ذا كالصدر في الذبائح ... لغير ذي السن من الفضائح

وأشيب وذو البنات والولي ... قد قبحوا رؤيتهم في الجدول

ومترب في مجلس كذي الترب ... وعالم كالغير إلا لأرب

وقارئ تراه غير قار ... فذاك ليس عندهم بقاري

ولم يفه بسره الأواب ... موصدة من دونه الأبواب

والانهماك في الدنا والجدل ... ذووهما عن الطريق عدلوا

وليس من يجهر بالتأديب ... للعبد والنداء بالأديب

والركض والصخب والسفور ... فذي بها عن ميسة نفور

ويمنع عزة لديهم الحيسا ... فيما به وأي أيما ثم حيسا
وناشئ بأكل أو ببادي الكلام ... والضحك مع ذي شيبة جدا يلام
ذو الحمق إن يزد على السلام ... على الغريم جاء بالملام
ولاق بالغريم أن يسلما ... لحقه من قبل أن يسلما
والحبس لليسر وتشمير الثياب ... لدى الملا أقبح عيب بالشباب
والأصل المسقي الرفيع دائما ... يحذف إن وجد وقتا تائبا
فأديهم بأدب يستطر ... ولا يجنا فيه بما يكتدر
ويذكرون العلم فيه والأدب ... وشكر من إلى المروءة نسب
وليس فيه صخب ولا هذر ... ولا جفا وكل ما منه ضرر
وذاك لم أفهمه يا فلان ... فذاك في تكذيبه إعلان
وأبلغ المسمع فلان جابر ... وليس للمنهي عنه جابر
بالجذب والصلاح قد يعنونا ... الحمق والخبل و الجنونا
والضيف بالبشر وبالترحيب ... يلقى وبالمزاح والترجيب
وقد أسا تاركه بلا ردا ... أو باتكا أو آكلا منفردا
وليس من يشكو من الزمان ... أو يضرب العبد بالسايماني
ولم يكن مسرفا في الطعام ... مكث يوما أو كنحو عام
وهو في مذهبه إن ذهبا ... كالذهب الذهاب نعم المذهبا
ونهيهم بالرفق في كل مجال ... لقول خير الخلق ما بال رجال
كالمشي والأكل وشرب وجواب ... لا السؤل عن غير صواب وصواب
وبالكنى خطابهم لا اللقب ... إذ عنه في الأدب لم يلقبوا
ومن أهم شأنهم قد كانوا ... […]هران لا يحويهما مكان
ولا أب لو كثرت مستوه ... معه سوى مكانه بنوه

والبيت لا ينسب للبيت الداني	ويكتم القريب ذو العيب الداني
مجلسهم مطهر من كل ما	يسو كما كرك الإما لابن الإما
وكل ماله الطباع تنافره	بل هي نواد للمعاني وافره
فعلهم للاقتداء فعلا	بقول ربنا تعالى لعلى
صلى وسلم بالانتها على	ذي الخلق العظيم جل وعلا
صحبته بمجمع البحرين	صلاحه يكفي أذى الدارين
نظما لمن في الوزر ذو تخال	مختار نجل جنكي نجل غالي
نظمهم في زمرة الأبدال	ربي وابن زين اليدالي
وودهم بعدهم والآن	بالشيخ عبد القادر الجيلاني
وجده صلى عليه الله	بقدر ما من فضله أولاه
أحمد من رسل الإله قد ختم	وضا به نور النبوءة وتم.



نظم بابه بن محمودن الديماني
في طبع أولاد ديمان

الحمد لله الذي قد جملا طباع خير العالمين أجملا

من غيره من سائر الطباع فكان أجدر بالاتباع

ثم الصلاة والسلام تسال على النبي وصحبه والآل

وبعد فالغرض بالديوان نظم شمائل بني ديمان

وذكر ما في عرفهم يستقبح وربما ضممت إليه مليح

فالاقتدا بطبعهم قد اجتنب فما ترى اليوم إليه منتدب

معبرا في غالب الأحوال بما المنع من فرط في الاستثقال

وربما ضمنت فيه شطرا من الخلاصة يحاكي الدرا

ورحم الرحمن من أعانا آمين آمين من استعانا

طبعهم الوقار والسكينه كما الحيا حلي لهم وزينه

يجزون من عداه أهل الظلم مغفرة خوف اكتساب الإثم

دأبهم الكتمان والتستر على البوائق التي قد أضمروا

لم تدر بين متناصرينا منهم وبين متغاضبينا

إساءة الجليس جرم عندهم حسن المعاشرة هو دأبهم

صغيرهم من الكبير منخجل كذا الكبير عنه أيضا منعزل

بمالهم لا يتحدثونا بل بالطباع يتفاخرونا

واستثقلوا النجوى على الكريم لغير ما أمر بدا عظيم

تجاوز الحدود في الأمور مستثقل أيضا على المشهور

كلامهم زينه التلويح وشره عندهم التصريح

ودأبهم تجنب الخلاف وطلب من غير ما إلحاف

بين الخيام مترسلينا ... يمشون لا يمشون مسرعينا

لا يتتابعون كالسودان ... في مشيهم وكبني حسان

ومدك الرجل له شناعه ... لدى الكبير أو لدى الجماعه

كلام حسان على الصغير ... مستقبح بحضرة الكبير

كذاك أيضا سبحة خضراء ... ومثلها البيضاء والحمراء

واستثقلوا التمائم الحمر على ... صدر الفتى البعض على البعض علا

وربما رأيت في ذا الزمن ... منوطة بالرسغ أو بالرسن

وهكذا إدارة القناع ... بالجيد والرأس بلا صداع

كذاك أيضا لبسهم للسروم ... إلا على مترجم للسروم

واستثقلوا تغشية الرواحل ... إلا لأهل التل والسواحل

وهكذا إطالة الأظفار ... وأنكروها أيما إنكار

وبعضهم يزين بالحناء ... أظفاره كزينة النساء

كذاك من بدائع الدهور ... أن الفتى يقرب في المرور

أما النساء باعتبار الآثمات ... لا باعتبار المومنات القانتات

أعاذنا الله من الآثام ... وسيئ الأفعال والكلام

لهن أحوال تزينهنا ... وأيضا احوال تشينهنا

أعني بذاك في اعتقاد الجاهلين ... لا في اعتقاد العارفين العاملين

يظهر للمرأة في حال الفتى ... ما ليس في ضميره إذا أتى

فحيث تنظر إلى الرجال ... خروجها من أقبح الأفعال

ولا عليها حرج إن خرجت ... إذا من الرجال قطعا أمنت

صماتها مستحسن عند الرجال ... وأن تجيبهم على طبق السؤال

ثابتة الأعضاء غير مسفره ... فتلك بين زائريها جوهره

أما من ألفيت تحدث بما ... مضى وما يأتي وما قد علما

رافعة بصوتها وتضحك ... أغرب بها فالسمع منها يستك

ومن ترى بموضع قد جلست ... قبل به من الرجال افتضحت

إن كلام البكر في الأسبوع ... في عرفنا عد من الممنوع

وعكسها الثيب منها يقبل ... لكنها إن أكثرت تستثقل

ومشيها تمشي خلف الأمة ... على الوفا أكرم به من عادة

وأن تكن تقدمت فقصر ... عنها لأنها عروس الكسور

وأخذها بطرف الزمام ... وهي عروس موجب الملام

وقودها خليلها قد بانا ... القبح فيه لبني ديماننا

وغيرة الكهل على الشبان ... مما تهابه بنو ديمان

والصهر عنهم صوته يخفيه ... مجتنبا لضحك السفيه

مروره عمدا على الأصهار ... مستقبح وهو من "السدوار"

لا سيما بعد طلاق بنتهم ... فلا تمر أبدا ببيتهم

وعلقة خاصلة بتابع ... كعلقة بنفس الاسم الواقع

رد طعامهم به جرى العمل ... والأكل نزر وأبوا أن يختزل

والأرز عندهم له سنام ... فتركه ونثره حرام

وربما له أبيح ذان ... لغير ما صهر ولا براقي

والعيش عندهم له مكانه ... تقصر عن تبينها الإبانه

لذاك لا يحسن ضحك واجده ... وحسنوا في العرف ضحك فاقده

لكنه يحتاج للصناعه ... والحبر أجمل له القناعه

واستحسنوا أكل طعام العصر ... وقت الغداة والعشا والعصر

كذا طعام من أتى برجله ... لا بأس في شرابه وأكله

وجوزوا استعمال ما قد أرسلا   لوالد وعامل والغير لا

إرسال خل لخليله القرى   بقبحه لديهم العرف جرى

وفي المقام حين سال سائل   أنشد نعم ما يقول الفاضل

وليلتان عادة الأخيار   من الإقامة لدى الأصهار

وفوق ليلتين لا تقمه لا   يقمه في العادة إلا الثقلا

وربما شرعت الضروره   زيادة في غيرها محظوره

ومن يكن ذا صرية قليله   لكنه سيرته جميله

فإنه حق له القبول   وقلما ما خاب فيه رسول

كذلكم من ملقه مينا   معنى به يكون الاسم أمكنا

بحسب الزمان والشخص اختلف   صداقهم وذاك من عرف السلف

والحكم في قسمته نصفان   نصف لها ونصفه سيان

والأصل ترجيح لأهل الأهل   وقد يجاء بخلاف الأصل

والنصف لا يكون في الصداق   وكملوا العشرة باتفاق

ومعظم العبد يرد للحليل   ومنعوا نقصانه بعد الرحيل

ركوبه بين الخيام للجمل   مستقبح وما عليه من عمل

ركوبه وقوده سيان   كلاهما يقدح في الأعيان

إلا إذا ما قد مضى عامان   من زمن الشراء كاملان

وبيعه من قبل عام منعوا   لكنه يمضي إذا ما يقع

كذا الثنا عليه مما يمنع   وهبه من الثناء أشنع

إن كان لا بد من الدخان   في شأنه عليك بالاتقان

البيت لا يرى من "الشدار"   إن لها في عرفنا استتارا

ولن ترى في صنعه من عار   إذا انتمى إلى ابنة المختار

فاحذر من الزكي فالزكي أثقل مما يفعله الغبي.

❖❖❖

مقطع من نظم محمذن بن ابوه الديماني في طبع أولاد ديمان

تكـــن خليلـــي ســـيد الفتيـــان   كـــريم طبـــع ثابتـــا ديمـــاني

ولا تقـــل "صـــرة أمـــي وأبـــي"   وتجعـــل الكـــم فويـــق المنكـــب

قلـــل للالتفـــات والبـــصاقِ   وقـــصر الرجـــل لنـــصف الـــساقِ

واعلـــم بـــأن "الرجفـــه" و"الهـــداتِ"   صـــاحبها يعـــد في الأمـــواتِ

واعلـــم بـــأن أعظـــم الآفـــات   أكـــل طعـــام صـــاحب البنـــات

ولا تـــضف كـــسابلي وبقـــري   وإن تـــشاور فقلـــنْ "شـــاو الـــشري"

ولا تقـــل فلانـــة مـــن البقـــر   تعـــش ضـــيفين كزيـــد وعمـــر

والنعـــل إن كـــان مـــن الجلـــود   فلبـــسه لـــيس مـــن المعهـــود

إلا لـــــشيخ ذي عيـــــال وان   "كـــسابتين وابنتـــين يجريـــان"

ولـــبن الحليـــب لا يـــستعمل   وشـــربه لـــيس عليـــه العمـــل

والخـــل مـــا أتـــى بـــه للخـــل   فجـــائز "تجـــديره" بالكـــل

ولـــبس ثـــوب أبـــيض خـــيط هنـــا   خـــيط قمـــيص لـــم يكـــن مـــستدمنا

هـــذا إذا مـــا لـــم تكـــن "كلميـــه"   فـــإن تكـــن جـــازت لأهـــل التربيـــه

ولـــم تكـــن مكاشـــفا تـــزارا   ذا لمـــة تطلـــب منـــك "مـــزارا".

❁❁❁

مقطع من المتوسط المبين
لمحنض بابه بن أمين الديماني
في عادات أولاد ديمان

واعرض على السنة والقرآن ... عادات سادات بني ديمان
فاقتدين بهم في كل ما ... لست ترى فيه خلافا لهما
وهو كثير بعضه ترجى الأجور ... به وتدفع ببعضه الشرور
فمنه حسن الرفق والتأني ... والصفح عن ذي الجهل والتجني
والالتزام للوقار والتفا ... ني والمداراة لجبار طغى
ومنه الاتقاء للبذاء ... والفحش واستدامة الحياء
دون نكوص عن بيان لصواب ... بادي الوجوب أو نكول عن جواب
ومنه حسن الانحياز عن ثقيل ... جمعهم به مبيت أو مقيل
فليس يبدو حال حب أو قلى ... منهم لدى اجتماعهم بالثقلا
ومنه الاتقاء للتعرض ... لما التعرض له لم يفرض
فلا يرى منهم تعمد لشجار ... بين بنيات من الجارات جار
ومنه الاتقاء لاستراق ... سمع من الجيران والرفاق
فليس عندهم تطلع إلى ... سر أولئك وسر هؤلاء
ومنه الاتقاء للمواربه ... لذي مجاورة أو مصاحبه
من غير إفشاء لما لا ينبغي ... إفشاؤه إن ابتغاه مبتغ
ومنه الاحترام للأحياء ... وذكرهم بأحسن الأسماء
والاتقا لسب جد أو أمه ... لأهل تلك الساحة المحترمه
ومنه طول الاكتنان في البيوت ... والميل في الحفل الكبير للسكوت
والخفض للصوت مع الإسماع ... والمد للخطو بلا إسراع

ومنه إشعار مليح الحركات ... وغض الأبصار وترك الالتفات

والانتقا للحركات اللائي لا ... تجلب نفعا عاجلا أو آجلا

ومنه ترك الخطر باليدين ... في المشي والإبداء للجنبين

والاقتصاد في القعود والقيام ... بقرب ذي يقظة أو ذي منام

ومنه قلة التشكي للمرض ... من غير إنكار لما فيه عرض

والقصد في المدح وفي الذم إذا ... دعا لذلك داع أو دعا لذا

ومنه الاتقاء للمنازعه ... في رتب لها النفوس نازعه

من غير الاعتراف بالفضل لغير ... مشتهر بعلم او عمل خير

ومنه الاكتفاء في استعجال ... عمالهم بما الأمر للعمال

مع مراقبتهم من بعد ... ذاك بقرب منهم أو بعد

ومنه تهوين الأمور لاتقا ... تفاقم الشقاق بين الأصدقا

أو سد باب بغي باغ ذي حسد ... ليس بتعظيم اعتدائه يسد

ومنه لين القول في النصيحه ... للمجلسي بذنب أو فضيحه

مع أداء ما من التغيير ... يجب في ذلك بلا تقصير

ومنه الاتقاء للإحفاظ ... إذا بدا تحتم الإغلاظ

فليس في تأنيبهم للمذنب ... ذكر لذنب الأم أو ذنب الأب

ومنه الاتقا لما فيه إسا ... ءة لبعض الرفقاء والجلسا

من غير إيهام الرضى بترك ما ... وجب أو بفعل ما قد حرما

ومنه حسن الرد للخاطب إن ... فيه الكفاءة لهم لم تستبن

من غير إطماع ولا تملق ... له ولا لمن من أهله لقي

ومنه إغباب الزيارة التي ... تسرى لذي رحم او ذي خلة

مع اختيار وقت ان فيه يزر ... ذلك أو ذا بالزيارة يسر

ومنه الاختصار في الزيادة   على المناسب بلا زيادة

ولا احتفاء مفرط ولا اقتصراف   ذنب والاشعار بقصد الانصراف

ومنع الالقا لما عند السلام   يدور بين الناس من لغو الكلام

والاكتفاء بثلاث كلمات   أو أربع من الفضول سالمات

ومنه الاعتدال في الأحوال   دون تصنع بالاعتدال

فلا يرى منهم رضى أو سخط   مفرط او حال سوى ذا مفرط

ومنه صون النفس كانت في الملا   أو في الفلا عما يشين النبلا

من كل ما الطبع السليم منه   يانف أو ما الشرع ينهى عنه

ومنه قلة المبالاة بما   عليهم افتري أو توهما

فعلم حال النبلاء مغن   لهم عن النفي للغو الطعن

وعن تتبع طريق خبر   رواه ذو توهم أو مفتر

وليس ينفي سفه السفيه   تكذيبه للطاعنين فيه

ومنه قول الحسن للمخالف   في الرأي حفظا للإخاء السالف

فالكل للذي رأى يرجح   ولمخالفيه لا يجرح

بل يتحرى ألين التعبير   وأقرب التعبير للتحرير

وهم مع التحرير والتحقيق   ليسوا يبالغون في التنميق

ومنه ترك الفخر والتزكية   للنفس والإطراء للذرية

والاكتفاء في السؤال والجواب   والأمر والنهي بأوجز الخطاب

وليس في إيجازهم إبهام   لما سوى المراد أو إيهام

فاللفظ بالمعنى الذي به أريد   يفي وإن كان عليه لا يزيد

وقد يشيرون لمعنى بكنا   يات لهم لا تعدم القرائنا

وربما عن ذي الكنايات نبا   فهم امرئ ليس بها مخاطبا

ومنه إعداد النفوس للقبو ل فهل منا بفعله تطالب

فهم يهطلون المصران ليسقطوا إليه باستطراد

فأمرهم للمنفس ليس يعدم للطف تمهيد له يقدم

ولا يبالغون في تأكيد الأمر ولا إطالة التمهيد

ومنه الإكرام للأضياف بدون قصد المباهاة بما منه يكون

مع اتقاء كثرة الإطعام بالكرما والزهد في الإكرام

فالضيف سائل وفقد الحاجة يثني عن استباحة الضيافة

والظلم للكرام بالإبرام يحرم مثل الأكل للحرام

ومنه الالتزام للتعاون بلا تواكل ولا تهاون

فالكل يعطي في السديات والضيا فات جميع ما عليه راضيا

ويقتدي عند انغلاق العسر وعند عقر اليسر ذا تشمير

وربما خالف ضعف البدن أو عدم المال فتى غير دني

فناب في ذلك عنه قوم ليس لهم عن مثل ذاك صوم

دون مساءلة ذي التخلف عما من أعذار التخلف خفي

وكل ما قد مر ذكره حسن يجب بعضه وبعضه يسن

ومن عوائد بني ديمانا ما خالف السنة والقرآنا

وهو في الكثرة كالذي مضى وليس كالذي مضى في الارتضا

فلا تقلدنهم في ذي العوا ئد لتغوى مثل من منهم غوى

فالغزوي لم ينل مزيه بغيه لما غوت غزيه.

❀❀❀

وصف سيد أحمد بن أسمه الديماني لطباع المرأة الديمانية

فهن تفقن سالف الأزمان   يرسمون أن يوصفن بالحسان

من كل غيداء ذات حسن وأدب   صفرا كفضة يمسها الذهب

تسبي لقلب كل من لها رأى   ترنو بطرف فاتر مثل الظبا

بهية ذكية حظية   حيية تقية نقية

منصورة مشهورة مذكوره   بحسن سيرة وحسن صوره

شريفة عفيفة ظريفه   ليس لها ورد ولا وظيفه

إلا الذي يقال صبحا ومسا   في الحصن ذاك الورد أولى بالنسا

ولا لها سوى الإمام الأخضري   شيخ فذاك الشيخ بالنسا حري

لا تحسن التسيار في البلاد   ولا تشوّف لخرق العادي

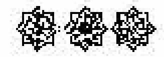
لا خلل يصيبها في عقلها   ولا ترى الفضل لغير أهلها

لا تلبس الدهر بغير علم   والدها أو خالها والعم

تجد فيها غنج النسوان   ترى لها طبع بني ديمان

لها أمانة لها صيانه   لها ديانة لها رزانه

لها وسامة لها فخامه   لها سلامة من الملامه.



وصف الشاعر الحسني ولد مبارك ولد يمين الكنتي لطباع الشباب الديماني

عـيـل نبـغـان أنَّ نگـسـفَ ... مـا ينـدار فيـه وظـبـرفَ

مـن ذيـلك الحـرفةَ والحـرفَ ... كـافيهم منـسة شي كيـبافي

مـا يـشكار افكلـت نخـسفَ ... ولا فـيهم ول آدم حـافي

ولا يكـدر شـي عـنهم يخـفى ... ولا يـبغـو تظـهـار الخـافي

يـوم امكـيـل عـنـد آوجـبـر ... رحـت ألهـم فالليـل امكـافي

منـصاب أشـدام مـا يجـبـر ... حـد امسـح طـبـع متنـافي.



منظومة العيش لأبي بكر بن محمد بن أبي بكر الديماني (=بكن)

قال أبو بكر سمي جده ... المرتجي طلوع سعد جده

الحمد لله الذي قد جعلا ... للخلق رزقا واسعا تفضلا

به عليهم وبعض فضلا ... فيه على بعض كما قد نزلا

ثم صلاته على من خلقا ... من أجله الأكوان كلا مطلقا

وبعد ذا نظمته ان هو صالح ... فيه سداد فنتم إحراز المالح

لأنه في العيش الجناح ... فالظرف ما له ذوو ارتياح

محتسبا لله فيه الضحكا ... للمسلمين منه حين يحكي

منبها فيه على رجحان ... أذهان ديمان على الأذهان

ومظهرا فيه بيان علة ... حبهم للعيش في الأطعمة

سميته إذن مزيل القيش ... بين المطاعم وبين العيش

فهي وإن تكاثرت ألوانها ... ثم تفاوتت لذا أثمانها

فبين أمرين إذا ما خيرا ... بينهما اختار الأخف الأيسرا

وهو الذي يمكن للدوام ... عليه دون سائر الطعام

وفيه جل عيش أهل القبلة ... ففقده علة أي علة

إذ لم يك القمح لهم معروفا ... ولا الثريد عندهم مألوفا

فليس كالرز أي اللحم اللذين ... لم يوجدا يوما بنقد أو بدين

ولم أكن مفضلا عليهما ... شيئا لما قال النبي فيهما

اللحم سيد الطعام خبر ... مما عن النبي كان يؤثر

وجاء في الأرز مثل ذلك ... لقوله لو كانت الملائك

لكن في العيش لمن يختبر ... بعض خصال عنه سوف تذكر

منهن الاكتفاء باليمين ... كذاك الاستغنا عن السكين

وفي الضروس لم يكن ليستخلا ... فيحوج الآكل أن يخللا

ولم يكن يحتاج للمضغ الكثير ... فأمره حينئذ سهل يسير

لكنه أغفل منذ أزمان ... حتى استوت في صنعه اليدان

وليسراع حقه من ثمنا ... لما يطابق اسمه المسمى

فعيش ديمان الذي قد شاعا ... في الناس حبهم له وذاعا

ليس كغيره له أحكام ... تخصه يأتي بها النظام

وها أننا أخذ في تعريف ... أوصافه وحده الظريف

فالحد فيه ما عليه صدقا ... من غير قيد اسم عيش مطلقا

إن لم يضف لشيء أو لم يضف ... له إذن بدونه لم يعرف

وفيه أل للعهد لا للجنس ... منكشف عنها قناع اللبس

والعدل فيه ينبغي أن يرعى ... كما يراعى في الفروع شرعا

كالعدل في فرائض الصلاة ... جميعها وسائر العادات

فللعبادات وللعادات ... مكتملات بعض الإجراءات

كذاك للعيش أمور تفعل ... يتم أمره بها ويكمل

فالعدل فيه أولا أن يستخلا ... وإن تأتى غسله أن يغسلا

إذ يطلب الإنقاء لكن أحري ... بما ذكرت أن يكون "متري"

ثم يدق ويغربل إلى ... حد الملوسة لكي ما يسهلا

وماءه بقدر ما يكفيه ... من غير إيباس ولا تمويه

يملح في التنور قبل الحط ... وقبل ذلك لأجل الخلط

حتى يصير من صفات الذات ... في العيش لا من عارض الصفات

واستدركنه إن يفت من بعد ... حط فغير جبره بالبعدي

وذا بأن يجعل في الإدام | إذ عنه لا استغناء للطعام
لكي يكون مالحًا إن يفسد | آكله فيه أصابع اليد
ففيه جا عن خير الأنبياء | تسميه مرأة بلا حياء
وطرحه إن سقط حتى تذهبا | أو رفعه كان لكل مذهبا
ومذهب التربيد مذهب قوي | لخبر عن النبي قد روي
والوسط المختار في الأمور | أيضًا كما في الخبر المأثور
واصحب عليه اللبن الإداما | وإن يكن دهنا فلا ملاما
فالدهن والسكر إن كان ينال | أحد شين فهو شرط في الكمال
بل إن أتى بتلكم الأوصاف | يسوغ أن يؤكل وهو "حاف"
لأنه قد كملت مفاخره | أوله حيث وحيث آخره
وهو الذي ما فوقه عند بني | عدنان إكرام لمن به اعتني



نظم الثقلاء لحمدن بن التاه الديماني

من ثقلاء عصرنا بليتا ... بفتية قد كملوا ثلاثينا

فصلها ابن حنبل تفصيلا[1] ... وهو بسبق حائز تفضيلا[2]

لكنه لم يك كان في زماني ... لزاد نظمه بنظم ثاني

والباب مفتوح لكل من يري ... من ثقلاء عصره ما كثرا

أولهم وأمره كبير ... المصاحب الملازم الخبير

يلقاك في طريقه مبتسما ... وثقله فوق الجبال ارتسما

وللسلام وحده مناضل ... كأنما يصب منه الحنظل

وبعده أسئلة طويلة ... من أسف ليلة إلى كليلة

وبعد ذا يسأل أين تذهب ... وهو إذا جئته ما يطلب

حتى إذا ما وصل المكانا ... وفتش البيوت والأركانا

جلس في مجرى الرياح والمصب ... وجرّ الباب وكسر الخشب

وفتح المطباع من أكسان ... ليبني لهما في الوقت من يبسان

وبدأت يداه في أعمال ... تكسر الصحن بكل حال

من أنفه وفمه ومن شعر ... وجلده يرمي السائل قد انتشر

وربما يلقى تحت "المظلة" ... ومفردا يأتي وياتي جملة

ثم أتى وسادة بريئة ... ليس لها ذنب ولا خطيئة

ورنحه "المظلة" والكرسيا ... بإصبعيه عابثا عليا

---

(1) يشير إلى نظم الثقلاء لعبد الله السالم بن الشيخ محمدي بن حنبل الحسني، ومطلعه:

الحمد لله وصلى الله ... على نبينا ومن تلاه

هذا والتقيل عند الظرفا ... ما يقتضي من حاله أن يعرفا

ودورة المياه إن أتاها … رفيع سمكها وما سواها

وبعد ذا يتركها مفتوحه … مياهها جارية مكفوحه

وحولها من ورق مبلول … مما يمنع الداخل من دخول

وربما يقضي بها زمانا … وغيره قد قارب الهوانا

وبعضهم تلقاه عند الباب … منتظرا لساعة الإياب

يرميك بالحاجة والسلام … مودعا طبعا بوقت حام

وليس يدري كل ما تعاني … من مشكلات البيت والإخوان

ومشكلات العمل الرسمي … وحالك النفسي والجسمي

وبعضهم يأتي إلى العيال … يلهو مع الأسرة والأطفال

وبعضهم يأتيك وهو يحمل … كتابه وما حواه يجهل

وبعضهم يأتي بشكل صوفي … يرجع إن فتشت غزل صوف

وبعضهم يثير بالفراسه … مسائل الدولة والسياسه

وبعضهم يطرب للألحان … وربما مال إلى الغواني

وبعضهم ينتفخ من شدقيه … المدح والهجاء في جنبيه

وبعضهم يأتيك في وقت العمل … مهزوزا بطاقة من الكسل

يقلب الهاتف والأوراقا … ويجعل الوقت له إطلاقا

لحاجة شخصية مستعجلة … وحاجة رسمية مفتعلة

وبعضهم ينفض قبل الأكل … يديه حول الناس بعد الغسل

وبعضهم يتقصد "القيّاما" … والملح والشراب والطعاما

وبعضهم يدعوك للصلاة … ورب دعوة بشر تاتي

وبعد ذا ينازع الإمامه … من وراءه ومن أمامه

وربما يعين المفضولا … جهالة والرجل المجهولا

ويعضهم يدعوك يوم الراحه ... لحفلة ضمّنها أفراحه

لكنها يحضرها أقوام ... طباعهم ينقصها النظام

والثقلا في جانب السيارة ... تصدع الرأس على الحجارة

أثقلها الملازم المرافق ... من طبعه للطبع لا يوافق

والذاهب الحاضر للمسير ... وطالب التوقف الكثير

ومنهم الباحث عن محل ... يجهله وهو ثقيل القبل

والذاهب المصحوب بالأطفال ... وبالحقائب وبالأثقال

وطالب السيارة الخفيفه ... في تربة رمليّة كثيفه

واللحم والسمك والأغنامُ ... أثقل ما يحمله الأقوامُ

والسائق الثقيل لا يطاقُ ... علاجه القضاء والفراقُ

والراكب الزائد عن أعداد ... ما يمنح القانون من أفراد

وعدَّ بين الثقلا من يأتي ... عند خروجك إلى الساحات

لراحة القلب من الأعمال ... لجلسة طويلة المجال

وعدَّ منهم صاحب الأشعار ... وصاحب الأنباء والطواري

وكل من قد شغلوا زماني ... بما لهم من رفعة المكان

لو راجعوا نفوسهم لقالوا ... ما باله لكل ما يقال

وناطق بالمنهج النحويّ ... في حالة التخاطب العاديّ

أثقل من كل ثقيل حقا ... لو سملَتْ عيناه لاستحقا

«ومُصلح الشكل لدى حكاية ... غير حديث المصطفى والآية»

وقاطع الكلام بالكلام ... وداخل من غير ما سلام

وجالس بالقرب يوم الحشر ... لاسيما إن لم يكن ذا جشر

وعطر من للذوق لم يوفق ... وذو الدخان في المكان المغلق

مجموعة حقيقة لا تصير   وفي سوى بلادنا لا "تجبر"

بذوب رُدَّ طولهم في العرض   زلترم عنا بعضهم ببعض

وبُعد لهم بخفة الأرواح   وخفة المزاح والأشباح

وحول العالم منهم جاهلا   وحول الصوفي منهم غافلا

وظهر الأرض من الدنيا   حقيقة قد كدروا علينا

فإنهم وإن دعوك يا أحمد   لحاجة قد سألوا كل أحد.



ألفية أولاد سيدي الفالي الديمانيين للمختار بن حامدن الديماني

الحمد لله وبعد فالثنا   بفعلة زاد في البديع ثمنا
إذ ضمن الأعجاز من ألفيه   مقاصد النحو بها محويه»
أحسن ذا الفاضل في ذا العامل   قولا فـ«نعم ما يقول الفاضل»
في الشيخ أحمد الرضى ابن العاقل   من كان منه «نيل خير نائل»
منه اقتنى علما بقفوه وفي   و«العلم نعم المقتنى والمقتفى»
فكان فعله مثالا يحتذى   بنهجه فـ«حبذا الفاعل ذا»
وكان يحيي درس الخلاصه   منها «اقتضى غنى بلا خصاصه»
يأخذ من ثمارها ويعطي   ما يـ«قتضي رضى بغير سخط»
ساق خباياها فهبت تستبق   و«أنشأ السائق يحدو وطفق»
فيها له كان غنى عن «لاحق   وشذقم وهلبة وواشق»
فود أن يجد من هذا الصدد   أمثلة و«فائز أولو الرشد»
وهذه أمثلة في رجز   «تقرب الأقصى بلفظ موجز»
تطلعه من ذلك المعنى على   «ما ليس معناه له محصلا»
وزارني ذا أمل فيما دخل   فيه و«زرته وإني ذو أمل»
فقمت أجمع له العون و«من   يصل إلينا يستعن بنا يعن»
إن «له علي» حقا «عرفا»   إذ كان «كابني» هو «حقا صرفا»
مخاطبا له عليه مثنيا   بـ«افعل أمر ومضي بنيا»
للسيد الفاضل كن مثيلا   «وهو بسبق حائز تفضيلا»
وانبه كما نبه واسع ما سعى   إلى السعادة «تكن متبعا»

فإنه كان «أزهد» قد «قنع» ... وكان «محمود المقاصد الورع»

والنفع في مزاره قد انجلى ... «للمسح ما قد كان عنه نقلا»

فقيل واحد بنفع «أخبرا ... حدث أيضا كذاك خبرا»

وكنت «أزرقه وإني ذو أمل» ... فيه «علي جل المهمات اشتمل»

إذ كان لي عليه مرة عمر ... فـ«ـسر بالذي سررت فهو بر»

وزره فاضلا «وقبله اليدا ... واعرف حقه وخذ نيلا هدى»

«كالمصطفى والمرتضى مكارما» ... منجبكم كمن «انقض حكما لازما»

فوسمكم بحمد فائق الفلق ... كـ«ـوسمه أو وسم ما به اعتلق»

فيكم ربما ما كان فيه قد ربا ... «فهو به في كل حكم ذو ائتسا»

ومما لأولكمُ ممن ارتقى ... «للثان والثالث أيضا حققا»

إن كان ماضيكم ترقى في العلا ... فـ«ـغير ماض مثله قد عملا»

إذا اكتسى عمر منكم حبره ... من التقى فـ«ـعند زيد نصره»

وكلكم ظن وظنناه «أخا ... زيدا وعمرا أخوين في» السخا

إذا مضى منكم فتى نور «أتى ... زيد منيرا وجهه نعم الفتى»

حلفت بالبيت ومن قد حج له ... وإن «إن يمينـ»ـي «مكمله»

لنعم أنتم من دراري درر ... غر «وفي نص يمينـ»ـي «ذا استقر»

صغيركم يسابق الكبيرا ... للمجد كي «يستوجب التصديرا»

يجري له الشيخ الضعيف السواني ... «كابنين وابنتين يجريان»

وأنت يا يحيى على هذا الصدد ... تسير «سيرتين سير ذي رشد»

فإن تقدم لتشمل البررا ... فـ«ـيجوز التقديم إذ لا ضررا»

كذيد كمن وكنيته والبررا ... وابن البرا و«كعسى» أعمل «حرى»

عبد كابن عبدلم وتحليه الغرر ... و«كان سيدا» كأحمد «عمر»

كن في خلائقك مثل الباقر ... الـ«ـطاهر القلب جميل الظاهر»

مثل لنا بكّي ومثل زعدرا ... ويكو إنهم «سراة شعرا»

وكن كمركاب الذين نوظروا ... فيما «به عنه مبينا يخبر»

فإنه هناك شاع الفضل له ... «وشاع نحو كامل وكمله»

وصاحب التورع إن تتصفا ... بوصفه فـ«ـفيك صدق ووفا»

كمثل إحبيبد كن فهو الولي ... «في الخبر المثبت والأمر الجلي»

كآل إبراهيم كن فإن ذا ... «لقد سما على العدى مستحوذا»

كابن الفظيل كن تكن جليلا ... «مستوجبا لثنائي الجميلا»

وكالولي نجل إسحق الذي ... قد كان «فيها أو هنا غير البذي»

وكالكريم في المروءة و«ما ... قارنها فنعم عقبى الكرما»

وكن كمعشر الذي نوقره ... جميعنا فـ«ـنعم قوما معشره»

وفرع متيلي قلد في العلا ... والفضل «والتفريع ليس مشكلا»

وكابن غازي كن وكالبزي ... حبر بـ«ـبشر تابع البكري»

وكن كمشهورين «غير ذي الحمد» ... في ذلك «المعنى» و«طب نفسا تفد»

ـن فاضلين صميم كبرا ... «أو واقع موقع ما قد ذكرا»

فكل من نسبه تعلقا ... بالقوم فـ«ـاعلم إنه لذو تقى»

كمثل منا نحن الأولياء كن ... إن تك مثله فـ«ـجد شكرا ودن»

أعلام خير لأبي تحافه ... قد «شاع في الأعلام ذو الإضافه»

نسبهم إلى أبي بكر «أتى ... في النظم والنثر الصحيح مثبتا»

نحن بنو يعقوب مثل ذلك ... «أحمد ربي الله خير مالك»

«مصليا على الرسول المصطفى ... وآله المستكملين الشرفا»

وعمر منا وعثمان فـ«ـجا ... أوفى خليلنا وأصدق بهـا»

فسبح الثلاثة منها وصرفه ... بالمجد والفضل «بما له اعترفا»

والحسن السبط ذو الهادي الأسد ... «ومنه منقول كفضل وأسد»

وناصر الدين وعثمان الرضى ... فاخش الزوايا «بعد أمر من قضى»

كمل إلى الصديق حاز السنا ... «كذا وأكرم بأبي بكر أبا»

والسن تروى في الشام من رفيق ... أولى به «الفضل من الصديق»

كان لنا فخر بذاك وجلال ... به فـ«لحن العرب أسخى من بلال»

والله للمهدي جدورنا شرح ... فـ«اعرف بنا لإثباتنا الممتنع»

فإن توليت بحسبي هذا الملا ... منزلة فـ«أنت أعلى منزلا»

لا تحد عنها سنتهم أو أخذنا ... ولا فؤادا و«عندنا امكثت أزمنا»

فليس ثم ظاهر من الجلي ... أو «تسكين لغير رفع أهملا»

إن تك مثل من ولا فعالا ... فـ«إنك ابتهاجك استمالا»

إن امسك السائر فيها كالمثل ... «يتبع في الإعراب الأسماء الأول»

ألهمت فعلا حسنا أحيانا ... «يعني به يكون الاسم أمكنا»

في الخير فارغب وعليك بالعمل ... «بين مبين وليس غير ما لم يقبل»

وصل ذوي الأرحام غير آل ... «وقسام الأخص في اتصال»

واعطف على ضعافهم «عطف النسق» ... و«اخصص بمد وثناه من صدق»

أسبغ عليهم مثريا وعطشا ... و«أحفظ ما دمت مصيبا درهما»

ألحق بهم في الحظا ذات النسا ... و«ببناغ أختنا وبنات ابن نسا»

متقين متشارعين ... «تلبيهما أو متخالفين»

والخال كن له كذاك أبدا ... «مختصا بالنساء أو مجردا»

وحاجة المسكين فاقض إن تره ... «مفردة جاءتك أو مكررة»

أشفق على الجار منا دون من ... و«البس من زاركم نسج اليمن»

إن الذي إن من يوما «أتى ما ... عاقبه يحمد في حيث عنا»

واصفح لمن ساءك منهم واعف ... عمن جفا و«قارما لا تجفا»

والغيظ فاكظم إذ «لا يمحي إنا كنا ... وقد بغى واعتدنا عيناكا»

واجمع لشيعتك «قيسوا بسرا ... ومنسوين عسلا وتمرا»

وإن تخير بين أمر وخلف ... له فالأيسر سل تكف الكلف»

وإن أردت أن تفوز بالمنح ... «فما أبيح افعل ودع ما لم يبح»

وأسقط الحشو متى تحكي «الخبر ... إذا المراد صح مقوله ظهر»

وإن سمعت من لسوم خبرا ... فالأصل في الأخبار أن تؤخرا»

مثلك لا ينبغي يوما لكلم ... ما لم يكن «اللفظ مفيد كاستقم»

وإن إلى خلي دعيت فاستجب ... لها و«أما أنت برا فاقترب»

لا تهب إن ما الا كثيرا نهبا ... لو «كان مثل ملء الأرض ذهبا»

والله فاسأل خلفنا وقاصده ... فـ«الله بر والأيادي شاهده»

مر بكم ذلك مرات وما ... يمر بكم «بالمر بقوم كرما»

والعلم والأدب فما أهين بهما ... و«لهما كن أبدا مقدما»

بعلماء السلف اقتد و«ما ... كان أصح علم من تقدما»

فهم إلى أحمد أقرب مدى ... و«ما لنا إلا اتباع أحمدا»

وانصر أخاك القائم الفقيرا ... واستدع «من علمته نصيرا»

وآت ذا الحق من السهام ... «ما» بالمستحق دون الاستفهام»

أما الدراسة التي تحضر ... فـ«افعل أو الحق تغتبط إذ تشكر»

اعمل ولا تبرح تواصل العمل ... و«جد كل الجد وافرح الجذل»

نرجو لك الفوز بكل مستحب ... من المقاصد و«من نرجو يهب»

والعذر إن لم أوف بالحق فذو ... إنك «زيد عاذر من اعتذر»

إن لم يكن هذا بحقك وفي ... فـ«إن يقدم مشعر به كفى»

لا زلت فينا ذا اعتلاء ثم لا ... لا زال «أخو أبيك» فينا «ذا اعتلا»

وقس محمد بن يحيى والحسن ... «لأن قصد الجنس فيه بين»

وعاش في السرور والحبور ... منكم ذوو «غيبة أو حضور»

في بيتكم لنا جمال ومنا ... و«رجل من الكرام عندنا»

هذي لكم كلمة مستجله ... «على ضمير لائق مشتمله»

على بني الفاضل فيها القول عم ... «وكلمة بها كلام قد يؤم»

وما حكت بنات هذي الشفه ... «حقيقة القصد به منكشفه»

وما به هذا الإنشاء رشحا ... قد «كان ظل بات أضحى أصبحا»

ود حفظته لهذا الحصي ... «وليس أن يبدل بالمرضي»

ما قلت غير الحق فيه «وأتم ... تبيني الحق منوطا بالحكم»

«والله يقضي بهبات وافره ... لي وله في درجات الآخره»

منظومة منها ستقضي العجبا ... من «بعد كل ما اقتضى تعجبا»

ضمنت فيها بعض ما هنالك ... «قال محمد هو ابن مالك»

سببها ود وقربى عرفا ... وألفا عن «بعض من قد سلفا»

إن المودة وإن النسبا ... أمران قد «يبينان السببا»

هذا له حقوقه الشرعيه ... «وتلك محضة ومعنويه»

وما ذكرت أنه كان السبب ... فـ«كونه ذا سببية وجب»

من لنا السلف ودا مدا ... لنا «على الحد الذي قد حدا»

هم بدأوا تأسيسه مشيدا ... «ورفعوا مبتدأ بالابتدا»

والوفد الذي يحاكي والده ... كـ«الخبر الجزء المتم الفائده»

ومن يشابه أبه في ذي الصفه ... فهو ذو «وجهين عن ذي معرفه»

وإن تحصل بعض ما للسلف ... من ذاك فـ«المعطى كفافا يكتفي»

«وعلقة حاصلة بتابع» ... كعلقة بنفس الاسم الواقع»

وليس منها حاضر بمحتمل ... «إن كان من مضمه بمعزل»

هذا وما من الخلاصة حذف ... فإنه «استغني عنه إذ عرف»

«وحذف ما يعلم جائز» يصح ... «إن كان عند الحذف معناه يضح»

فهاك ذا سديجا منظما ... ولم يعق عن عمل قد علما»

وهل رضيت نظم هذي الطرر ... مني «وطبت النفس يا» يحي «السري»

فإن تطب نفسا فقد تم العمل ... «وما بجمعه عنيت قد كمل».



لامية إيدابهم الديمانيين للمختار بن حامدن الديماني

إن السبيل التي بشر السبيل التي ... أبناء عثمان أرعى فيه «صدق ولا»

وما حكمت لذي بشر السبيل به ... لذي المساجد «هذا الحكم قد بذلا»

فمثل أبناء عثمان بنو عمر ... حرفا كحرف وفعلا كالذي فعلا

صنوان بالفضل «لا» شرب قد عرفوا ... و«بالشجاعة والجاري على سهلا»

يعقوب جدهمُ ما كان يدركه ... ركن اليعاقيب مهما «جد من عملا»

لله جد وعم منهمُ وأب ... عال وخال لقوم جنبوا «الخللا»

والجد للكرام كان منشيهمُ ... إلى التقى والنقا «كمشية الخيلا»

وسيد حسن الأخلاق طيبها ... وعاقل زكي من أحمد العقلا

عف إن مدت الأيدي لمائدة ... يوما فـ«مستندر تميم خبل وكلا»

وحامد نعم المولى وشاكرها ... فـ«الحمد لله لا يبغي به بدلا»

مستقن للجناب المجد أكسبه ... حمدا ومنقبة «تبدو لمن عقلا»

وصالح ونجيب منجب ولدا ... يعطي الجزيل «ولم يعبأ بمن عذلا»

وقارئون نحاة حاملون على ... ما لـ«الكسائي في ذا النوع قد حملا»

قراء علم وأضياف همُ ولهم ... فتوى وإسعاف «آت ضيع من سألا»

ما مثل إحياء علم الدين حيهمُ ... وللندى والمعالي «مثل أي فملا»

علومهم مورد الظمآن أنهله ... منها فقيههم و«علمه ماسلا»

بيوتهم لبني غبراء منتجع ... و«المحشر مسكن محل من نزلا»

تسري الأمانة في أوساطهم ويسري ... فيها الأمان لمن كان «قد وجلا»

إن الندى عمهم كلا فلست ترى ... من حاد عنه وقد «شح أي بخلا»

قوم أحسن إليهم دائما أبدا ... كما لأم طلا قد كان «حن طلا»

كل أقدره حقا وأمدحه ... مدحا فتحت له «الأبواب والسبلا»

هذا الثناء فإن تسمع به جملا ... تحوي التفاصيل إن تستحضر الجملا»

❀❀❀

نظم اللقطات الحية في أبناء يعقوب إنلل الديمانيين للمختار بن حامدن الديماني

حمداً لمن أبناء يعقوب جعل ... في العلم والصلاح مضرب المثل

فكان منهم من رجال المجد ... بابحمد راعي جمال الوفد

وبارك الله على المرتبه ... له حمار لم يقف في العقبه

وثالث الأخوين أحمد وما ... دون الأخوين أحمد أخوهما

أنجب خير البحيوين حسبا ... صرح ناصر به لمريما

وصنوه الكريم وسما واسما ... وهو المجاهد الشهيد الأسمى

أخوهما محمذن بذال ... معجمة لا الدال بالإهمال

قد أنجب المختار من قد حلا ... معضلة قد أعيت الأجلا

إذ قال ذو رأسين ذو رقبتين ... في جثة واحدة لا في اثنتين

فرد إذا لا حقتم تألما ... إحداهما من خنق الأخرى منهما

هذا جزاء عقد بنت بلمه ... وحل أخرى بعده أخ لمه

ألقى مشعوذ بثعبان على ... قدح فألقى هو هرا فعلا

أما الكريم فهو ذاك المنجب ... ذاك الذي الموتى به قد رحبوا

منه الفتى محمد بن الوالد ... مدبج القصائد الفرائد

ومنه عبد الله نجل أبيه ... وهو بشد ويد بنا به

كدرس في التفسير والأصول ... حياته وسيرة الرسول

وإخوة له وإخوة أب ... جميعهم أصابع من ذهب

والجد فاذكر وحبيب الله ... بيت السيادة وبيت الجاه

ويا عبيد في صفوف الشعرا ... والعلماء ذكره تكررا

ومن بني يحيى ابن أحمد شلا ... يذكر من أئمة المصلى

محمذن سبط حميد الشذي ... برز في العلم وفي الطبع الشذي

سجل في مصطلح الحديث ... وفي الحديث أنفع الحديث

واذكر أخاه عمرا ومن ذكر ... يوما أبا بكر سيذكر عمر

واذكر بني عم كراما كاتبين ... وقارئين عالمين عاملين

بابكر نجل محمد فال ... منهم وكان مضرب الأمثال

وآل يحيى منهم وحبذا ... منهم ألائك وذلك وذا

والصالح الأعجوبة ابن عاون ... ما كان بالطاعات ذا تهاون

والعادل الأواه والأواب ... ترعى له غنمه الذئاب

ومثله بنوه في سيرته ... وباب منهم وبنو إخوته

ومنهم المختار نجل بابنا ... من نهلت من علمه طلابنا

ومنهم الشيخ أبو مامينا ... كان رشيدا هاديا أمينا

وإخوة له ذوو أبناء ... ما فيهمُ عن المعالي ناء

وباب أحمد وما أدراك ما ... بابحمد أنجب قوما كرما

صبارة محمذن والفاضل ... وعلماء كلهم أفاضل

كان سفيرا للزوايا منهمُ ... محمذن أيام شربهم

ومنهم احمد بباب في أيامه ... كان مجاع أرخوا بعامه

وبالمناسبة كان ينحر ... في كل يوم للذين حضروا

صبارة ست يسماه الزقا ... فالتأم الرزق وكان انشقا

من زعماء نسله أخيارهم ... يذكر مهما ذكرت خيارهم

والخير ابن الماح وابن بلا ... محمذن حمامة المصلى

ومنهمُ سيد احمد ابن أسمه ... إن يذكر الأعلام يذكر اسمه

والفاضل العلامة الحكيم ... صراطه المستوي مستقيم

ومن بنيه كان أحمد الورع ... أسما ورعا ولزهد ذا قنع

منه البيوت الطيبة السيرة ... في حسن صورة وحسن سيرة

من الحجيلي ومن الغزالي ... والمان كانوا عصب الدوالي

ومن بني الفاضل لا لصلبه ... فقد ضرب والمودد في عقبه

كم جلبوا منفعة ودفعوا ... مضرة وربما نهبا رجعوا

وسيبويه وهي ابن مقلة ... زمانه من سادة القبيلة

قلمه الواحد يسجل به ... ما خط في حياته من كتبه

وجدي والمامون كانا ابني جملا ... وكان أبناه جملا من نجملا

كذا الطبيب الماهر المشالي ... أحمد محمود ابن أحمد فال

بناته منه ورثن عنه عقله ... وطبه وعزه وفضله

ومنهم المختار نجل أهلمين ... من المدرسين والمؤلفين

منهم أبو بكر وأحمد ابنه ... كلاهما من هابت مدينه

كانا إماميين وعالمين ... مدرسين ومؤلفين

ومنهم المختار نجل يحيا ... من علماء المسلمين المصلحا

برز في الفقه وفي القرآن ... والنحو والمنطق والبيان

ورث علمه بنوه الحامدان ... والعابدان وطباعه الحسان

وبارك الله له بنينا ... منهم أمينون موزينا

كان ابن غازي من بني سيدي الأمين ... وكان أنجب رجالا قيمين

مثل البدالي وعبد الملك ... ولم يلد هذا سوى بمر زكي

وكان من هذا الأمين النفع ... والرفع فيه ظاهر والنفع

منهم أمين وبنوه وأخوه ... مولود واقتدى بمولود بنوه

ومنهم أحمد نجل صبا ... رة وكان زاهدا وقطبا

وكان تابعا له صلاح ... العارف المشهور بالصلاح

وشاد في بيته الصلاح حي ... والعلم حي في بني المختار حي

وفي محنضين وباب الدينا ... ومثلوا مروءة ودينا

ولابن بويه ولد المزروف ... السلف الصالح والمخلوف

خلفه كل سليم عرضه ... ودينه لا نقصه وعرضه

يشفي من الداء العضال طبه ... وضع في كل القلوب حبه

ممن بارك الله جل بالمجير ... لقبه والد من خير السير

في بيته التقوى وفي أبناء ... سيدن كان مجلس القضاء

أما سليمان فيملأ الفضا ... يملأ العلم بنوه العظما

خلفهم في المجد مثل السلف ... والفقه والتجويد والتصوف

وفي البيان ولغات العرب ... وخشية الله وفي مدح النبي

وللبدالي ولسيدي نوننا ... يتلون ركاعون ساجدونا

وقارئون مقرئون أحمد ... نجل محنض منهم والولد

محنض بابه وبنوه كانوا ... من الأولى نذكرهم ديمان

ومن بني بني محنض بابه ... محمدا وحامدن وبابه

ويبارك الله وفي بنيهم ... ما كان فيهم وفي أبيهم

والعفو إن الشعر ليس يصلح ... إلا إذا ألقي فيه ملح

هذا وهذي اللفتات الحية ... فكرتها لحمدن الأصلية.

نظم اللقطات الحية في
إيضنضهنض الديمانيين
للمختار بن حامدن الديماني

الحمد لله وبعد فالسماني ... جمل ديمان ذوي طبع سني

جمل في أبناء يدهنض ... كل فضيلة وطبع مرضي

فمنهم في السنين والمروءة ... برز كل رجل وامرأة

شيخ التلامذة منهم كانا ... علم أسلاف بني ديمانا

من ابنه محمد شدابهم ... عليه ليس ينقضي عسوباهم

وأحمد ابنه قد اعلى الكتبا ... إذ ضاعت الكتب في شمربا

ومنهم ابنهما أشفغ المختار ... من نوره اقتبست المختار

ميمود منهم وعبيد الغسالي ... ذي العون للمريض وبذل المال

بالعلم والصلاح مشهوران ... يا حبذا الوالد والابنان

خلفه سيد احمد وأحمد ... وفيهما ما كان فيه يوجد

العلم والمواهب الجزيله ... والسعي في مصالح القبيله

واذكر محمد وصنوه أبنا ... بكر وأكرم بأبي بكر أبا

قد كان في العلوم مثل والده ... وفي مزاياه وفي فوائده

وفي التآليف وفي مدح النبي ... والاختصاص في لسان العرب

أما محمد فنه أحمد ... يا حبذا الأب ونعم الولد

ذوا سكينة ذوا وقار ... وخلق كالمسك والعقار

أما الأمين بن عبيد الغسالي ... فشعره في الحسن كاللآلي

وحامدن نجل الأمين هذا ... في العلم والصلاح لا يحاذى

أما محمد بزيد يسماه ... في وسط الاسم يلحق الحاء

فكان حاتما وكان معنا	ومثله في الجود كان الأبنا
إن غاب عنا مدة زمان خال	أحمد عبد الله واليدالي
فولد اليدالي يبنا يسرى	محمد كذلك سبط عمرا
وإن يفتنا أحمد ابن فابن	أحمد في المعنى كأحمد ابن
والعلم والعمل والتقاة	جمعها العثمان واحميدات
والعالم المختار للإمامة	والحسن الأذان والإقامة
وفي ابنه المرحوم عبد الكافي	من حسن الأوصاف وصف شاف
محمد سليله نسلو به	فإنه يحكيه في أسلوبه
وساد ممن ينتمي لعم	حبل كل مخول معم
مثل البرامك بني النجابة	بيت الندى والعز والنجابة
عاطفة تحركت تحركا	جعلني أذكرهم تبركا
فرحمة الله على ذاك السلف	وبركاته على هذا الخلف.



نظم اللقطات الحية في أهل أكد الحسن (= أكد الحسن) الديمانيين

للمختار بن حامدن الديماني

والشيخ أبيباي لمه نعم الولد ... المحسن أنشويك واكسب الأسعد

خَلَفه في المجد وفي الصلاح ... بنجله البر الشهيد الماحي

يدفن قومه أضحات نجله ... خالفه محمديه ونجله

العالم المدرس المشهر ... أخذ عنه عالم كثير

خلفه ابنه الأمين قاضي ... تمشي بالإجماع والتراضي

خليد منهم وحبر الأخوان ... العابدان العاملان الصالحان

وأحمد بن الكور نجل حبيبي ... من علماء الدين والتوحيد

في شرحه لقرة الأبصار ... للمطلسي قرة الأبصار

وابن أخيه العالم المختار ... يذكر مهما تذكر الأخيار

وسالم الأعراض آل السالم ... من غرر الأعيان والعيالم

وأحمد بن الحسن المعمم ... والمخول البعيد عنه الذم

محمدن يُهم بهمٍ وأمم ... حفيده محمدن بنه يهم

وخص بالتعميم والتعيين ... مسك ختامنا بني ييبين

وحيث كانوا كلهم أعيانا ... وكان عد مجدهم أعيانا

فأخذنا ببعض أصابع اليد ... نعني به أخذ جميع الجسد

إن الندى يعم ذلك الندي ... من مفرد منهم وغير مفرد.



ثبت بأهم مراجع البحث

أبن عمار الصغير، التفكير العلمي عند أبن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

أحمدو بن أحبيب، كتاب الأعداد المسمى سلم العلم والآداب ومعراج الحكمة وفصل الخطاب، هاراسوويتز للنشر، ويسبادن، 2012م.

امحمد بن أحمد يوره الديماني، إخبار الأحبار بأخبار الآبار، تحقيق أحمدو [جمال] بن الحسن، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1993م.

امحمد بن أحمد يوره الديماني، الديوان، مرقون.

امحمد بن الطلبة اليعقوبي، الديوان، شرح وتحقيق محمد عبد الله بن اشبيه بن ابوه، دار الرضوان، انواكشوط، 1419هـ، 1998م.

بابه بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، دراسة في التاريخ السياسي الموريتاني، دراسة وتحقيق: إزيد بيه بن محمد محمود، ط 2، المعهد التربوي الوطني– شركة الكتب الإسلامية، 1994م.

الحسين بن محنض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، دار الفكر، بيروت، 2010م.

الحسين بن محنض، تاريخ موريتانيا الحديث، دار الفكر، بيروت، 2010م.

الشيخ سيد محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان (ت1339)، رسالة في التاريخ، تحقيق: سيد أحمد بن أحمد سالم، مجلة الوسيط عدد4، 1992.

الشيخ محمد المامي بن البخاري الباركي، ديوان الشعر الفصيح، مركز الدراسات الصحراوية، دار رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.

الشيخ محمد البدالي، الديوان، تحقيق: الأمير بن آكاه، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2016.

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الحاوي للفتاوي، ضبط وتصحيح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000م.

عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن

عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م.

عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1988.

عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، وقف على طبعه: أوكتاف هوداس، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، 1981.

عبد القادر جغلول، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون، دار الحداثة للطباعة والنشر، الجزائر، 1987.

عبد الله بن أمين، عقود الجمان في أنساب بعض بني ديمان، مخطوط.

عبد الله بن عبد العزيز بن محمد أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

عبد الودود بن الشيخ، البداوة والإسلام والسلطة السياسية في مجتمع البيضان قبل الاستعمار جامعة السوربون، اكتوبر، 1985م.

عبد الودود بن الشيخ، البداوة والإسلام والسلطة في مجتمع البيضان قبل الاستعمار، مجلة الوسيط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، العدد1، 1987.

عبد الودود بن عبد الله (ددود)، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن الثاني عشر (18م)، مركز الدراسات الصحراوية، 2015م.

فتحي زغروت، العلاقات بين الأمويين والعبيديين في الأندلس والشمال الإفريقي، ط 1، 2006، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

لوسي مير، مقدمة في الأنثربولوجيا الاجتماعية، ترجمة وشرح: شاكر مصطفى سليم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981م.

محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري، الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية، تقديم وتحقيق: إزيد بيه بن محمد محمود، سيدي أحمد بن أحمد سالم، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1998م.

محمد فال بن عبد اللطيف، كتاب أنساب بني أعمر إيديقب، مرقون.

محمد المختار بن السعد، حرب شرببه أو أزمة القرن 17 في الجنوب الغربي

الموريتاني، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1992م.

محمد اليدالي، الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: الراجل بن أحمد سالم اليدالي، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط 1، 2014م.

محمذن بن باباه، تاشمش ودورها السياسي والثقافي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 2017م.

محمذن بن باباه، مدخل إلى تاريخ موريتانيا، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 2017.

محمذن بن باباه، الشيخ محمد اليدالي، نصوص من التاريخ الموريتاني، بيت الحكمة، تونس، 1990.

المختار بن حامدن، حياة موريتانيا، جزء أولاد ديمان، مرقون.

المختار بن حامدن، حياة موريتانيا جزء إيدوداي، مرقون.

المختار بن حامدن، حياة موريتانيا، جزء إيدگبهني، مرقون.

المختار بن حامدن، حياة موريتانيا، جزء المدلش، مرقون.

المختار بن حامدن، حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مرقون.

المختار بن حامدن، حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، دار الغرب الإسلامي، 1994.

المختار بن حامدن، حياة موريتانيا، الجزء السادس عشر، بعض المجموعات الشمشوية، منشورات الزمن، الرباط، 2009.

المختار الهراس، القبيلة والدورة العصبية، قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع المغاربي، المستقبل العربي، ع 9، إبريل 1987م.

مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل الشريف، تقديم وتحقيق: عبد الهادي التازي، ط 1، 1993م، مطبعة إديال، الدار البيضاء.

محمذن بن عبد الله، التعريف بالأماكن في مناطق إيگيدي والجزء الغربي من العگل والعريه، بحث لنيل شهادة الإجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة انواكشوط، 2001-2002.

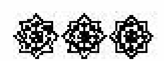
Abdel Wedoud Ould Cheikh, LA SOCIETE MAURE Eléments d'enthropologie historique, Centre des Etudes Sahariennes 2017, Bouregreg- Rabat.

ISMAEL HAMET, Chroniques de la Mauritanie Sénégalaise (Ernest Leroux, Paris, 1911).

OSWALD DUCROT, Dire et ne pas dire principes de sémantique linguistique, deuxième edition corrigée et augmentée, Hermann, 1972.



الفهرس



تنويه

أصل هذا الكتاب أطروحة تقدم بها المؤلف لنيل درجة
التخصص (الماستر / الماجستير) ونوقش في يوم
الخميس الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة 1440 هـ
الموافق الحادي والعشرين من فبراير (شباط) سنة 2019 م
بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية في جامعة
الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بانواكشوط
وحصل معدها بعد المناقشة على درجة
التخصص في الحضارة والإعلام بميزة ممتاز